

بسم الله تعالى نضع بالرحم تصحيحه في هذه النسخة

د. د. الحادي

د. يوسف علي رابع الثقفي

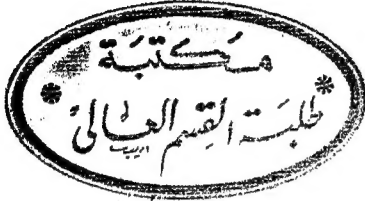
د. عبد الرقيب عبد الله بن دهر

الطالب / نصير أحمد نور أحمد

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القيوين
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا النائية

١٧

٩٤٥/٥/٢٢



عَصْرُ الْكِينِ

سلطان الدولة المغلبيّة الإسلاميّة في الهند
رسالة مقدمة من

١٣٠٢٠١٢



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٩٨٣

نصير أحمد نور أحمد

للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث

٩٨٣



إشراف
الأستاذ الدكتور: محمد بن يوسف بن بركي

١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م

كيفية نطق بعض الحروف الفارسية الواردة في البحث :

People	پ : تلفظ كحرف P ، كما في كلمة
Chair	چ : تلفظ كحرف CH ، كما في كلمة
God	گ : تلفظ كحرف G ، كما في كلمة

المقدمة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

كانت رغبتي العامة هي أن أختار موضوعا فى تاريخ المشرق الاسلامى ، اعتقادا منى بأن ذلك التاريخ لم ينل حقه فى الدراسات الجامعية العربية المتخصصة ، وتأكدت لدى هذه الرغبة ، بتشجيع من أساتذتي الأفاضل وعلى الأخص أستاذي المشرف ، الذى نظرا الى إجادتي اللغة الفارسية ، ورأى ، على حد قوله ، أن يفتنم هذه الفرصة فى الاستفادة من المصادر الفارسية الأصلية ، التى حال الحاجز اللغوى من الرجوع إليها فى الدراسات التاريخية العربية المتخصصة ، ومن ثم رأيت أن يكون الموضوع من موضوعات تاريخ المشرق الاسلامى الحديث ، وذلك نظرا لأهمية ذلك التاريخ فى تكوين العالم الاسلامى المعاصر ، كما لمست ذلك فى دراستى بالسنة المنهجية ،

ولما كانت اللغة الفارسية هي لغة الثقافة بصفة عامة فى المشرق الاسلامى فى مطلع العصر الحديث ، فقد جاءت أمهات المصادر بهذه اللغة ، وقد اتفقت مع أستاذي المشرف فى أنه من الأهمية القصوى أن نعود الى المصادر الفارسية كمصدر أساسى ، لأن كل الذين كتبوا فى تاريخ المشرق الاسلامى بلغتنا العربية قد رجعوا الى ما كتبه الأوربيون ، وأنه قد آن الأوان لأن نقفز من فوق هذا لنصل الى المعين الأساسى ، ولا نظل أسيرين لكتابات الأوربيين وأفكارهم ، وسمعت من أستاذي المشرف يؤكد أكثر من مرة أن

تاريخ الدولة العثمانية يقتضى حتما معرفة اللغة التركية وتخطى الحاجز الأوربي والأخذ من المعين الأصلى ، وكذلك الحال بالنسبة للطرف الشرقى من الشرق الإسلامى ، فقد آن الأوان لهذا القفز والوصول إلى المصادر الأصلية الفارسية وهذه هى الطريقة المثلى والحتمية لتصفية مخلفات الاستعمار الأوربي الثقافية والفكرية فى عالمنا الإسلامى .

ومن ثم عمت فى موضوعى هذا وأنا أشعر شعورا عميقا بأننى أؤدى واجبا إسلاميا ..

كان من الممكن أن أختار موضوعا فى الدولة الصفوية ، ولكننى وجدت أن هذه الدولة قد تطرقت إليها البحوث التاريخية العربية ولو بشكل ضمنى ويسير ، لأن هذه الدولة كانت فى نزاع مستمر مع الدولة العثمانية ، فكل من كتب أو بحث فى الدولة العثمانية ، تطرق بشكل أو بآخر إلى الكلام عن الدولة الصفوية أيضا ، فقررت أن يكون موضوعى من موضوعات التاريخ الإسلامى الهندى الحديث ، آمل أن أضيف جديدا إلى المكتبة التاريخية العربية ، حيث رأيتها بحاجة ماسة إلى مثل هذه البحوث ، لأن الحاجز اللغوى كما قلنا حال دون الدراسات التخصصية فى هذا المجال وبالتالى لم يتيسر لمؤلفيها مراجعة المصادر الأصلية .

ومما لا شك فيه أن تاريخ الهند الحديث جد يربالدا دراسة العربية المتأنية الفاحصة الشاملة ، ولا ترجع هذه إلى أهمية شبه القارة الهندية

لذاتها فحسب ، بل ولأن تاريخ الهند الحديث ، كان ذا تأثير كبير فى
مصير البلاد المجاورة ، والبلدان التى كانت تقع على طرق أوروبا البحرية ، إلى
الهند .

ويعتبر تاريخ الدولة المغلية الإسلامية فى الهند ، هو تاريخ الهند
فى مطلع العصور الحديثة ، تلك الدولة التى حكمت شبه القارة الهندية لعشرات
من السنين ، بعد أن وحدت معظمها فى نظام مركزى قوى ، مع استمرار
محاولاتها لتوحيد جميع أجزاء شبه القارة ، ولقد وضعت أسس هذه الدولة
واتضحت معالمها فى عصر جلال الدين محمد أكبر شاه ، وصحيح أن بابر شاه
جد السلطان أكبر كان هو الفاتح والمؤسس ، ولكن دولته لم تدم طويلا ، وجاء
حفيد ليؤسس من جديد ثم يوسع ويوحد ، ومن ثم ترك لخلفائه دولة
موحدة مركزية قوية مترامية الأطراف ، هى التى شكلت تاريخ الهند الحديث ،
وأخترت سقوط الهند فى براثن الاستعمار الأوربي إلى عشرات من السنين ،
ومن هنا كان اختيار عصر السلطان أكبر موضوعا للبحث ، على أمل أن
يعتبر هذا البحث خطوة فى سبيل الدراسات التاريخية الجامعية العربية
المتخصصة ، لهذه المرحلة الهامة من مراحل تاريخنا الإسلامى فى الهند .

هكذا كانت قصتى مع اختيار الموضوع ، ولكننى كنت أحس أثناء الاختيار
وبعد الاختيار ، بأننى سوف ألقى من الصعاب الشئ الكثير ، ومع هذا ، كان
الارتياح للمجال ^{الجسم} وتشجيع أستاذى المشرف المستمر يدفعنى إلى تخطى
العقبات ومذل الجهود لتذليلها ، وأول ما واجهته فى هذا المجال هو كيفية

توفير المصادر اللازمة للبحث ، لأن المراجع العربية والمعرية المتعلقة بالموضوع والمتوفرة في الأسواق والمكتبات ، لا تلبى إلا جزئاً ضئيلاً مما يتطلبه الموضوع ، إلا أن الجامعة ، سهلت لى مشكورة القيام برحلة علمية إلى باكستان ، للبحث عن المصادر والمراجع التى تحتاجها الرسالة ، وهناك تجولت فى المدن الباكستانية ، ولم أنس قول أستاذى المشرف أن مهتم الأساسى هو أن يجعل أصلى هوايتى الأولى البحث عن الوثائق والمصادر ، وهالننى وأنا أتجول أن اللغة الفارسية فقدت أهميتها التى كانت تتمتع بها كلفة الثقافة والدبلوماسية ، وحلت محلها فى هذه الناحية اللغتان الإنجليزية والأردية ، والتالى لم أعثر من الأسواق والمكتبات التجارية على أى مصدر فارسى مطبوع ، إلى أن وصلت إلى مدينة لاهور ، حيث المدينة العلمية لباكستان ، وهناك تمكنت بجهد شخصى ، أن أتعرف إلى أستاذ جامعى متقاعد ، قيل لى إنه كان قد ادخر كتباً تاريخية كثيرة بين مخطوطة ومطبوعة ، وربما يكون مستعداً لبيع مجموعة منها ، فذهبت إلى بيت ذلك الرجل ، وفعلاً وجدت عنده مجموعة قيمة من المصادر الفارسية المطبوعة القديمة ، والتى أصبحت فى حكم المخطوطات نظراً لعدم وجودها فى الأسواق ، واشتريت هذه المجموعة من ذلك الأستاذ الجامعى المتقاعد لتستريح نفسى قليلاً ، بعد أن كانت قلقة بدافع الخوف من الفشل ، ثم كان دور مكتبات الجامعات والمكتبات العامة ، وتيسر لى بحمد الله الحصول على مجموعة طيبة من المصادر المخطوطة والمطبوعة فى مكتبة جامعة بنجاب ومكتبة بنجاب العامة ، حيث قمت بتصويرها تصوير ميكروفلم ، وهناك تلقيت كل ترحيب ومساعدة من القائمين على المكتبتين ، وعلى الأخص

القائمين على مكتبة جامعة بنجاب ، حيث تزودت منها بأكثر كمية من مصادر مخطوطة ومطبوعة قديمة ، وقمت بتصوير حوالي ثلاثة آلاف صفحة من هذه المصادر كما تمكنت من الحصول على معجم لغوي فارسي ألف في الهند ، وقد أفادني كثيرا في حل بعض الكلمات والمصطلحات المستخدمة في مصادر البحث ، وذلك عدت إلى مكة المكرمة منشراح البال ، بعد أن وفقني الله للحصول على المواد اللازمة لإتمام البحث .

عند البدء في استخراج المادة العلمية من هذه المصادر المخطوطة والمطبوعة ، وجدت من الصعوبات ما لم أكن أتصورها ، إذ رأيت أن لفظة كثير من هذه المصادر قد مضت عليها حوالي أربعة قرون من الزمان ، وبحكم التطور اللغوي ، أصبحت غير مألوفة إلى حد ما ، بمقارنتها مع اللغة الفارسية الحديثة ، والأهم من ذلك أن هذه اللغة تداخلت مع بعض اللغات الأخرى ، من سنسكريتية ومغلية ،^(١) مما جعلني أقف كثيرا عند بعض المصطلحات والكلمات حتى أطمئن وأقتنع من المعنى الذي يعنيه ذلك المصطلح أو تلك الكلمة ، وفي معظم الأحيان كنت أجد حلا لمثل هذه الصعوبات باستخدام المعجم ومتابعة المصادر ومقارنة بعضها ببعض ، ومع هذا حدث أنني لم أجد تفسيراً لبعض المصطلحات ، فهناك على سبيل المثال مصطلح "ديك" فهذه الكلمة تعني بالفارسية القدر وجمعها "ديكها" أي القدر ، ولقد تكررت هذه الكلمة في أكثر من مصدر ، ولكنني لم أكن أقنع بمعناها المعروف ، لأنه لا يوافق القرائن والسياق ، ولم يقدم لي المعجم حلا ، كما رأيت أن المصادر

(١) السنسكريتية : هي لغة الهند القديمة التي كتب بها تاريخ الهند القديمة وأساطيرها .

المتقدمة والمتأخرة، تذكرها دون أن تقدم لها شرحا ، مما يشير الى أنها كانت معروفة لدى الجميع ، بحيث لم تكن بحاجة إلى التعريف ، إلى أن وجدت لها حلا فى مرجع فارسى حديث ، حيث ذكر أن هذا المصطلح كان يطلق على نوع من المدافع الثقيلة (١) ، وهكذا كانت بعض المصطلحات والكلمات تشغلنى أيا ما وأسابع ، وكأننى قمت ببحث كل معلومة وتحقيقها وترجمتها ، ولا ننسى أن حجم بعض المصادر كان أكثر من ألف صفحة من المقياس الكبير القديم ، صحيح أننى لم آخذ جميع ما كتب ، ولكنه كان يلزمنى قراءة كل هذه الصفحات حتى أستخرج ما هو المناسب واللازم .

وأما فيما يتعلق بمنهجى فى البحث ، فلقد تأثرت واقتنعت بمنهج أستاذى المشرف ، وفحواه أن التاريخ هو العلم الشامل ، وأنه لا فاصل بين الحضارة والتاريخ ، بل ان النظم والحضارة جزء لا يتجزأ من التاريخ ، ومن ثم جاء متن الرسالة محققا لهذا المنهج ، ونحن حين قلنا : عصر أكبر فأننا نقصد تاريخ هذا العصر بكل ما فيه من حضارة ونظم واقتصاد واجتماع وسياسة وحرب ، بل وأدب وقانون أى تاريخ عصر السلطان أكبر .

والرسالة هذه عبارة عن مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، وفى المقدمة التى تلى هذا التمهيد ، قدمت نبذة موجزة عن جغرافية شبه القارة الهندية ، لأن الجغرافيا هى مسرح التاريخ ولها دورها فى تكوين الحضارات ، وفى رقعة شاسعة كالهند وفى ظل بدائية المواصلات ، لا يكتمل فهم طبيعة الأحداث

(١) عبد الحى حبيبى : تظهير الدين محمد با بر شاه ، ص ١٤١ .

التاريخية دون أن تكون عندنا فكرة عن جغرافية الهند الطبيعية والبشرية .
وفى هذه الناحية أيضا ، بدأ منهج أستاذى المشرف من حيث اهتمامه بالجغرافية
كأساس لا بد منه لموضوعات التاريخ الحديث بالذات ، حيث اتسع العالم وارتبط
أكثر من أى عصر آخر سابق ، وما زلت أذكر كلماته وهو يقول : رب نظرة لخريطة
تغنى عن قراءة كتاب ، وإذا كنا قد توصلنا فى هذا البحث إلى نتائج جديدة
وقيمة للغاية ، فإن إحدى هذه النتائج هى أن جغرافية الهند هى التى
شكلت نظرية الحكم فى الدولة المغلية الإسلامية فى الهند الحديثة .

وفى الفصل الأول تكلمت عن الحالة غداة بدء عصر السلطان أكبر ،
وهى عبارة عن فترة التمكين للدولة ، حيث تمكن السلطان من القضاء على المخاطر
الكثيرة التى تهددت بقاء الدولة المغلية الإسلامية فى الهند ، واستطاع
السلطان فى خلال هذه الفترة أن يثبت وجوده وجدارته فى الحكم ، بعد أن
وطد أركان دولته التى لم تكن فى البداية أكثر من تعبير جغرافى ، ووصلنا
فى هذا الفصل إلى أن السلطان اطمأن على الأوضاع داخل دولته وأصبح
هو المسيطر والموجه لمجرياتهما ، ليبدأ بعد ذلك فى التوسع والفتح ، وهذا
ما تكلمنا عنه فى الفصل الثانى ، ولقد وجدنا أن التفاصيل التى عرضناها فى
هذا الفصل بالذات ، من الأهمية بمكان ، لنستكشف من خلالها مدى ذلك
الجهد الجبار الذى استدعاه حكم الهند فى مطلع العصور الحديثة ، ما
كان له تأثيره الضاغط فى مجالات عدة ، بل وفى تكييف النظرية المغلية
لحكم الهند ، وكانت نتيجة هذه الجهود تكوين دولة مغلية إسلامية

موحدة قوية ، تشمل معظم شبه القارة الهندية ، وطبيعة الحال ، لم تكن كل هذه المدة عبارة عن الحرب وخوض المعارك ، بل كانت هناك إنجازات أخرى في سائر مجالات الحياة ، لا تقل أهمية عن انتصارات السلطان العسكرية ، وهذا ما بحثناه في الفصل الثالث تحت عنوان : الأحوال الداخلية ، وفي الفصل الرابع تكلمنا عن علاقات السلطان الخارجية وموقفه من الوجود البرتغالي على الساحل الهندي ، وما أن العلاقات الخارجية تتأثر بالأوضاع الداخلية ، اتضح لنا ما عرضناه في هذا الفصل ، أن السلطان كان حريصاً على تحسين علاقاته بجيرانه ، وأنه اقتصر في هذا المجال على جيرانه الأقربين ، بمعنى أنه لم يدرك أهمية الاتصال بالدولة العثمانية وتوثيق علاقاته بها ، والذي لو كان قد تم لربما تغير وجه التاريخ الحديث وساره .

وفي الخاتمة ، جاء التحليل والنتائج ، ولقد تعلمت من أستاذي المشرف كذلك أن الخاتمة يجب أن تكون صلب الرسالة وأهم جزء فيها ، لأنها هي النتيجة المباشرة لفكر الباحث وقدرته على التحليل والنقد والاستنتاج وآمل أن تكون خاتمة رسالتي كذلك ، وأن أكون قد وفقت إلى إضافة جديدة للعلم .

وأرى أن من واجبي هنا أن أنوه بكل الذين ساعدوني في اجتياز هذه المراحل ، فأشكر المسئولين في هذه الجامعة الفتية ، والذين لم يدخروا وسعاً في سبيل توفير كل ما كان يلزم لإعداد هذا البحث ، وأخص بالشكر

القائمين على كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، والمسؤولين في مكتبات الجامعة ، كما أقدم شكرى وامتنانى لجميع أساتذتى الأفاضل الذين تتلمذت عليهم في قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، وعلى الأخص أستاذى المشرف الأستاذ الدكتور محمد عبداللطيف البعراوى ، أطال الله في عمره ، الذى كان خير مشرف لى بخبرته الواسعة المتمرسه في مجال البحث التاريخى ، وبتوجيهاته السديدة وحنانه الأبوى الذى لا ينسى ، وإلى الأساتذة أعضاء لجنة الفحص والمناقشة الموقرين ، والله أسأل أن يوفقنا لخدمة الإسلام وإحياء تراثه المجيد .

فإذا انتقلنا الى القسم الثانى من المقدمة وهو ما نعتنى فيه بتقديم نبذة موجزة من جغرافية الهند ، فانه من الأهمية أن نشير الى أن الهند استمدت اسمها من سند هو . وهو الاسم الهندى لنهر إندوس أو نهر سند المعروف ، ومنها اشتقت كلمتا إند و هند ومعناهما الأرض التى تقع فيما وراء نهر إندوس ، وأصبح سكان هذا الإقليم يسمون الهندوس أو الهنود ، كما أصبحت بلادهم تعرف بهندوستان (١) ، وتؤلف الهند من الناحية الطبيعية ، ^{علا} ~~علا~~ مستقلا ، بحيث جعلتها فى عزلة لما أحاطتها بها من جبال هائلة وشاهقة ومن بحار محيطية ومتلاطمة . (٢)

ويمتد شبه جزيرة الهند من خط ٢٧° شمالا حتى ٨° جنوبا ومن خط طول ٧٠° شرقا حتى ٩٦° شرقا . وتقع فى شمالها مرتفعات هماليا ذلك الحاجر العظيم الذى حوى الهند من غارات الرعاة الموجودة فى مناطق الإستبس شمالا ، فاستغنت بها الهند عن بناء سور كما فعلت الصين فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، حماية لها من غارات القبائل التى تدفعها ظروفها القاسية الى الهجوم على الجهات المعمورة والزراعة .

(١) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، ص ٢٠ .

(٢) غوستاف ليون : حضارات الهند ، ص ٢١ .

وعلى الرغم من هذا ، فإن الهند قد شهدت منذ القدم غزوات وغارات
أنتها من مراتها في الشمال الغربي ، وأهمها مرخيبر ، صاحبة
معها العقائد والتقاليد واللغات والثقافات الموجودة في الشمال ،
ومن أهم المؤثرات التي دخلت الهند هي الديانة الإسلامية .

كذلك تمتاز الهند بسواحلها الطويلة ولكنها قليلة التعاريج
فلم تر الموانئ الكبيرة التي تتناسب مع سواحل الهند الطويلة ،
فالساحل الغربي صخري ، وأما الشرقي فأقل صخرية ولكن البحر
ضحل على طول الساحل ، فلا يساعد السفن على الاقتراب من
الشاطئ (١)

إن شبه الجزيرة الهندية ليست بالبلد الواحد أو القطر الصغير ،
فليس من السهل الإحاطة بها من كل الجوانب ، وهي بلاد شاسعة
وواسعة ومتراصة الأطراف وبعيدة الأكناف يصح أن نطلق عليها اسم
قارة قائمة بذاتها ، وأن نفرق بين مناطقها ، ونجعل من كل منطقة
قطرا يخطف كل الاختلاف عن جاره من كل وجه ، فهي - وإن جمعتها
الوحدة الاسمية - بلاد كثيرة مختلفة باختلاف أقطارها ، واختلاف أصول
سكانها قديما وحديثا ، ومختلفة أيضا باختلاف عقائد أهلها ودياناتهم
ولغاتهم .

(١) دولت صادق : جغرافية العالم ، ج ١ ، ص ٩٤ - ٩٥ .

ولم تكن هذه البلاد بلدا واحدا بكل معنى الكلمة ، ولا كانت تحت سيطرة حكومة مركزية واحدة ، بل كانت بلادا متفرقة يحكمها أمراء مختلفون ، ما عدا فترات من أيام الحكم الاسلامي المفلّي وما عدا زمن الإمبراطورية البريطانية الاستعمارية فيما بعد (١) .

ويتألف أكبر حد للهند من جبال هماليا التي هي أعلى سلسلة في الكرة الأرضية ، ويزيد ارتفاع طرفها الأعلى عن ستة آلاف متر ، ويبلغ معدل علوه المتوسط أربعة آلاف متر ، وتوجد بينها من الشواهد ما يصل ارتفاعه الى ثمانية آلاف متر أو تسعة آلاف متر .

وتشغل جبال هماليا أرضا تزيد عن مساحة فرنسا ، وهي أمتع مانع أقامته الطبيعة بين بلدين أو أمتين .

وفي الشمال الغربي من النطاق المخيف الذي ضربته الطبيعة حول بلاد الهند ، ثغرة نهر كابل ، ومن ضفاف هذا النهر أخذ المغفل والأفغان وغيرهم طريقهم الى شبه جزيرة الهند . (٢)

ويلو المرتفعات الشمالية ، إقليم السهل من الجنوب ، وقد تكونت من الرواسب الفيضية التي حملتها أنهار السند و كَنَك وراهما پترا ،

(١) احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٧-٩ .

(٢) غوستاف ليهون : حضارات الهند ، ص ٢٥ - ٢٨ .

والأفرع العديدة المتصلة بهذه الأنهار ، وتمتاز الأنهار التي تقطع هذه السهول بأنها لا تجف إطلاقاً بخلاف أنهار دكن التي تجف في بعض شهور السنة ، كما تعتبر منطقة السهول من أخصب بقاع الهند وأكثرها سكاناً . (١)

وفي الثلث الجنوبي من الهند يقع إقليم دكن ، حيث تزداد حرارة الشمس والجفاف ، إلا إذا لطفتها نسائم تهب عليها من البحر ، ولكن الحرارة هي العنصر الرئيسي السائد من دهلي ، إلى سيلان . (٢)

وكان اسم دكن يطلق على قسم الهند الجنوبي المقابل للقسم الشمالي المعروف بهندستان . (٣)

ومما جاء في تاريخ بابري أن الهند بلاد العجائب برسومها وعاداتها وبلدانها وصحاريها ، وتنبع من جبالها في الشمال أنهارها الكبيرة التي تسير إلى كثير من بلادها وقراها ، وتسير سبعة من أنهارها إلى الغرب حيث يجتمع في نواحي ملتان وتنضم إلى نهر السند الذي يصب مياهه في بحر عمان (٤) قرب ديبيل ، ومن هذه الأنهار ستلج و بيا و راوى ،

-
- | | | |
|-----|----------------|--------------------------------|
| (١) | دولت صادق | : جغرافية العالم ، ص ٩٧ . |
| (٢) | ول ديورانت | : الهند وجيرانها ، ص ١٣ - ١٤ . |
| (٣) | غوستاف ليون | : حضارات الهند ، ص ٧٣ . |
| (٤) | أى بحر العرب . | |

و چناب و بهت ، ويقال لنهر سند نيلاب أيضا (١) .

وهناك أنهار أخرى كثيرة ، تنبع من الجبال وتسير إلى الشرق ، من أمثال
نهر گنگ الكبير و رهيت و كوى وغير ذلك ، وتلحق هذه الأنهار بنهر
گنگ الكبير بعد ولاية بنگاله ثم تصب في البحر .

وهناك أنهار أخرى تنبع من سائر الجبال كأنهار جيل و نياس
و سون و سوى وتنضم هذه الأنهار أيضا إلى نهر گنگ ، وتوجد في دكن
أيضا أنهار كثيرة من أمثال گنگ و نريده و تبتى و پورنه و گنگ الصغير
و كشته و هيوره و تندره ، وتسير الثلاثة الأوائل إلى جهة الغرب ،
والبقية تجرى إلى الشرق .

وبواسطة وجود الأراضي السهلة يمكن أن تمتد الجداول من أنهارها
بقصد الزراعة وإحداث الحداثق ، ولكن لم يعرف عن سكانها هذا الأمر ،
فلم يكونوا يملكون ذوقا لمشاهدة المياه وهبوب النسيم . (٢)

وتضم وديان نهري گنگ و سند أغلب أراضي الهند الزراعية وأخصبها ،
والتي تعد كذلك أكثر مناطق الهند ازدهاما بالسكان ، ويفصل بين وديان
هذين النهرين صحراء النار (تر) أعظم صحراوات الهند ، وتعرف في

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٨ .

عبدالحى الحسنى : الهند في العهد الاسلامى ، ص ١١ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

التاريخ كذلك باسم صحراء الراجبوتانا . (١)

وبرغم ما بالهند من أنهار كثيرة ، فإن مياهها لا تكفى سعة أراضيها
ولذلك كان اعتماد كثير من الأراضي الزراعية على الأمطار الموسمية التى كثيرا
ما يؤدى امتناعها إلى مجاعات مروعة . (٢)

ويبدأ موسم الأمطار فى هندوستان من أواخر الجوزا وينتهى فى أوائل
الميزان (من يونيو إلى أكتوبر) ، وفى خلال هذه الفترة يكون الجو فى غاية
الجودة ويكون ربيعها أحسن ربيع (٣) ، وهناك بعض المناطق تسقط عليها
الأمطار فى الشتاء أيضا ، كما يوجد بعض المناطق مثل صحراء ثار وأجزاء
تقع فى ظل المطر ، لا تنزل عليها الأمطار ، وعلى العموم فهى مساحات
محدودة للغاية ، والسبب فى ذلك هو مرتفعات هماليا فى الشمال ،
حيث عطلت حاجزا يمنع تسرب الرياح الموسمية إلى مناطق بعيدة ، فتركزت
معظم أمطارها على شبه الجزيرة . (٤)

وكثيرا ما تسبب الأمطار الموسمية سيولا وفيضانات ، تقضى على الحبوب
والنسل وتخلف وراءها خرائب ومؤساء وأمراضا متعددة ، وأغزر مناطق

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدولة الإسلامية بآسيا وحضارتها ،
ص ٨ - ٩ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٩ .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ١٠ .

عبدالحى الحسنى : الهند فى العهد الإسلامى ، ص ١٤ .

(٤) دولت صادق : جغرافية العالم ، ص ٩٨ .

الهند بالمطر هي المناطق الشرقية مثل بنكالة وآسام . (١)

ويوجد في الهند كل الأجواء بسبب اتساعها وتفاوت ارتفاع بقاعها الكثيرة ، فبينما يكون الحر شديدا في سواحل طيار و گور ومندل وسهول البنجاب ، ترى ربيعا ساحرا في ردا ف الجبال وريحا صرصرا تلطم صرود الشمال العالية ، وأغطية من الثلوج مشابهة لما في القطبين ، تستر شواهد هماليا . (٢)

ونظرا لمجاورة الهند للمحيط وكثرة الأمطار فيها ، تسود مناخها الرطوبة . ومن خصائص الهند فصولها الثلاثة وهي فصل الصيف وموسم الأمطار وفصل الشتاء ، ولكل فصل أربعة أشهر . (٣)

ومن ناحية الجغرافية البشرية ، فالهند بلاد الأسرار والأساطير ، ومجتمع الشعوب والطبقات ، بل مجتمع المجتمعات ، تكثف فيها الأديان وتتعدد اللغات والألوان (٤) ، وهي كتلة بالغة الضخامة من اليابس ، فيه إجمال لجميع أوار تاريخ البشرية في شتى صوره ، ففيها تمثيل كامل لعروق الأديمين ، وما عرفوه من معتقدات منذ ظهور الوثنية وحتى اعتداء

(١) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ، ص ٣٠

(٢) غوستاف ليهون : حضارات الهند ، ص ٢٢٠

عبد الحق الحسني : الهند في العهد الاسلامي ، ص ١٤٠

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٩

(٤) أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى ، ص ١٩٠

الناس بالتوحيد (١) .

ولا ينظر إلى الهند كأمة واحدة ، بل هي قارة بأسرها ، وفيها من كثرة السكان واختلاف اللغات ما في القارة الأوربية ، وتكاد تشبه كذلك هذه القارة في أجوائها وآدابها وفلسفتها وفنونها . (٢)

وتوجد في شبه القارة الهندية حوالي ٢٤٠ لغة و ٣٠٠ لهجة ، وهناك أهمية خاصة للغة السنسكريتية بكونها لغة الكتب الهندية القديمة التي يعتبرها الهندوكيون مقدسة ، وقد أتى على هذه اللغة حين من الدهر كانت وقفا على رجال الدين من البراهمة ، ولقد شجع سلاطين المسلمين - وفي مقدمتهم السلطان أكبر - على إحياء آداب الهند القديمة والتي كتبت بطك اللغة .

وفي أيام السلاطين المسلمين - وخاصة سلاطين المغل - كانت اللغة الفارسية هي لغة الثقافة والبلاط ، والتي ألقت بها الكتب وترجمت إليها معارف الهند القديمة وآدابها ، حتى دخل البريطانيون الهند فعملوا على تشجيع اللغة الأردية ، هادفين بذلك إلى قطع كل صلة بين مسلمي الهند ، وإخوانهم في البلاد المجاورة . (٣)

والخلاصة أن الهند ضخمة في كل شيء ، في مساحتها وعددها

(١) أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ص ٧

(٢) ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣ .

(٣) أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، ص ١٣

سكانها ولغاتها ولهجاتها وعقائدها ، وتبلغ مساحتها بالإضافة إلى جزيرة سيلان ٣٠٨ مليون كم^٢ . (١)

ومن الناحية الاقتصادية كانت الهند تعتمد على الزراعة والتجارة والثروات الحيوانية والمعدنية، إضافة إلى بعض الصناعات والمهن اليدوية ، ويعتمد نمو الزراعة وزيادة المحاصيل على كثرة الأمطار ، حيث تجعل أسعار الفللال رخيصة وتساعد على العمران ، وهناك توجد المناطق التي كانت تعتمد على زراعتها على مياه الآبار ، ولكن أغلب الأراضي الزراعية تروى بمياه الأمطار.

وأكثر الأراضي تصلح للزراعة ، وكان يزرع ربعا مرتان في السنة ، وفي بعض المناطق كانت تزرع أكثر من مرتين . (٢)

وتنتج تلك الأراضي أنواعا من الحبوب ، وجميع غلاتها لذيذة ، وتوجد فيها أيضا أنواع من الفواكه الربيعية والخريفية والتي يقتضى إحصاؤها كتابا منفردا ، وكذلك توجد فيه أنواع النباتات والخضروات ، وأنواع الزهور والتي لا توجد في إيران وتوران وسائر الولايات . (٣)

وهناك موسمان للمحاصيل الزراعية الهندية ؛ الموسم الخريفي ويكون موافقا للسرطان والأسد والسنبلة والميزان ، وتكون ترويتها بمياه الأمطار

(١) د ولت صادق : جغرافية العالم ، ص ٩٤ .

(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ١١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١١ - ١٣ .

والموسم الربيعى الذى يوافق العقرب والقوس والجدى والدلو ، ومحاصيل هذا الموسم لا تحتاج لأية مياه من الجداول أو الآبار ، بل تكفيها رطوبة الربيع وبرودته ، وتثمر فى غاية الجودة ، والتي توجب حيرة الجميع . (١)

ويوجد فى تلك البلاد حيوانات كثيرة مختلفة الأجناس ولا سيما الفيل فهو عندهم كالجمال عند العرب . (٢) وتختلف حيوانات الهند باختلاف نباتاتها وأجوائها . (٣)

وعلى الرغم من أنه توجد فى بعض أقطار هذه الديار خيول أكثر جودة من الخيول العراقية والعربية ، إلا أن الفيل يبقى من عجائب حيواناتها ولا نظير له فى السيرة والصورة ، ويكون شابا بعد ستين سنة من عمره ، ويكون عمره الطبيعى كالإنسان مائة وعشرين سنة ، ويضع الحمل بعد ثمانية عشر شهرا ، ويكون التوالد فى الصحراء ، ولا يتم ذلك فى المدينة أصلا ، وحتى لو جئ بالأنثى الحامل إلى المدينة ووضعت فيها حطبها ، لا يكون لولدها يمن لصاحبه ، ومن حيواناتها أيضا الكركدن والجاموس الوحشى والجاموس الأهلى وغيره . (٤)

وعلى الرغم من أن معادن الماس والياقوت والذهب والفضة والنحاس والأسرب والحديد والطح وغيره كانت توجد فى هذه البلاد وتستخرج ، إلا أن العائدات كانت تعتمد على الزراعة اعتمادا كبيرا . (٥)

-
- (١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .
 - (٢) يوحنا افندى ابكاريوس : قطف الزهور فى تاريخ الدهور ، ص ١٥٨ .
 - عبد الحى الحسنى : الهند فى العهد الاسلامى ، ص ٥٠ .
 - (٣) غوستاف ليمون : حضارات الهند ، ص ٨١ .
 - (٤) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ١٤ ، ١٦ .
 - عبد الحى الحسنى : الهند فى العهد الاسلامى ، ص ٥٠ .
 - (٥) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ١١-١٣ .

هذا وكان لجغرافية الهند الطبيعية والبشرية تأثيرها على نظام الدولة
المغلوية في الهند ، كما أن للجغرافيا تأثيرها على أى نظام وفى أى بلد وخاصة
فى تلك الأزمنة .

وإذا نظرنا الى الهند كقارة ، ونظرنا إلى غاباتها وجبالها ، وأنهارها
ومعد المسافات بين مدنها وأقاليمها ، ونظرنا أيضا إلى تباين العروق
والعقائد واللغات والمذاهب فيها ، نتعرف على مدى الصعوبة التى كان يلقاها
النظام فى سبيل بسط نفوذه والحفاظ على سيادته فى أرجائها الفسيحة ،
وتأمين الأمن والاستقرار فيها ، وخاصة إذا كان النظام مثل دولة السلطان
أكبر تحاول بسط نفوذها وإخضاع القارة بجميع أقاليمها وسكانها إلى السلطة
المركزية ، وفى تلك الظروف التى كانت المواصلات تعتمد على المواصلات
التقليدية ، حيث لم تكن هناك سلك حديدية ولم تكن هناك سفن أو عربات
بخارية ، إضافة إلى بعد المسافات ووعورة الطرق .

ومن خلال دراستنا لعصر أكبر سوف نتعرف أكثر على دور الجغرافيا
فى تسيير الحوادث وفى تعيين مصير بعض المعارك وفى إفلات المستمردين
من أيدي السلطة ، والصعوبات التى لاقاها النظام فى سبيل بسط سيادته .

الفصل الأول

الحالة تغداة بدء عصر أكبر

الفصل الأول

الحالة غداة بدء عصر أكبر

- وفاة همايون وجلس أكبر على العرش .
- هيمو .
- شاه أبوالمعالي .
- بيرم خان .
- نساء القصر .
- بنى أعمام السلطان .
- الأزابكة .
-

ولد أكبر من أمه حميدة بانوبيكم في ليلة الأحد الخامس من رجب سنة ٩٤٩ هـ (١٥٤٢ م) في بلدة أمركوت (١) ، وكان مولده في المنفى حيث كان شير شاه سوريطارد أباه همايون من الهند ، بعد أن خذله إخوته ، ولقد سماه أبوه محمدا تبركا بهذا الاسم ، وتجرى في عروقه دماء الفاتحين العظام بابر ، وتيمورلنك ، و چنگيز خان حيث يصل نسبه من جيل إلى جيل ^{تقريباً} إلى بابر شاه هذا الأخير. (٢)

بعد عودة همايون إلى الهند مظفرا وانتصاره على سكندر شاه سور ودخوله دهلې لم يمكث طويلا ، فلم تتح له الفرصة لتعقب خصومه ، وإقرار أمور مملكته (٣) ، ولكنه سقط من سطح عال ، وطراً عليه ضعف شديد توفي على اثره (٤) .

كان نصير الدين محمد همايون ياد شاه قد أرسل أكبر من دهلې إلى جبل سواك ومعه بيرم خان لتعقب سكندر خان أفغان وطرده حيث كان محتيا في تلك الجبال ، وكان أكبر قد وصل في سبيل أداء مهمته

-
- (١) محمد علي أنصاري : تاريخ مظفري ، ق ٢٨ ب .
 محمد شريف : اقبال نامه جها نكيري ، ج ١ ، ص ٣ .
 غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
 Percival Spear : A History of India, V. II, P. 27.
 (٢) ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٣ .
 V.A. Smith : Akabar the Great Mogul, P. 7.
 (٣) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ، ص ٢٠٠ .
 احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤١ .
 (٤) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

إلى بلدة كلانور ، من توابع لاهور ، حيث جاءه مبعوث أركان الدولة وأعيانها وهو شيخ جولى يخبره بسقوط أبيه من السطح ، ولم يمض وقت طويل حتى وصله نبأ وفاة همايون باد شاه ، فتألم أكبر كثيرا عند سماع النبأ ، وأدى الأمراء له لوازم التعزية ، ونادى بـيرم خان أمير الجيش ، بالاتفاق مع سائر الأمراء وأعيان الجيش ، باجلاس الأمير جلال الدين محمد أكبر على عرش أبيه فى بلدة كلانور ، وذلك فى منتصف يوم الجمعة الثانى من شهر ربيع الثانى سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٦ م) وكان عمره آنذاك ثلاث عشرة سنة وتسعة أشهر ، وأدى بـيرم خان مراسم التهنئة وأرسل إلى نواحى هندوستان بمراسيم الأمن والأمان (١) لم تستقر الأوضاع بعد عودة همايون إلى عرش الهند ، ولذلك بدأت الفتن والثورات تظهر فى كل مكان فى أعقاب وفاته ، وما عدا ولاية پنجاب لم تتم استقلالية الحكم فى سائر الجهات ، وأخذ التمرد والعصيان وتسيير الافواج يعم كل مكان (٢) حتى پنجاب كان محتيا فى جبالها سكندر سور .

وفى مثل هذه الظروف والأوضاع وفى حداثة سن أكبر الذى ورث عرش أبيه ، وبعد جلوسه على العرش فى كلانور ، بادركبار الأمراء والحكام

(١) نظام الدين الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٢ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

غلام حسن طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

عبدالحى الحسنى : الهند فى العهد الاسلامى ، ص ٢٠٨ .

(٢) محمد هاشم خوانى خان : منتخب اللباب ، ج ٢ ، ق ١٠٩ ب .

بإرسال عرائض الإخلاص والولاء له ، فبعث تردى بيك خان حاكم
دهلي بواسطة أبو القاسم مرزا بن كامران مرزا جميع الأسباب الپادشاهية
من دهلي إلى المعسكر الپادشاهي في بلدة كلانور . كما أرسل كل
من علي قلى خان شياني حاكم سنبل و سكندر خان أريك حاكم
آگره و بهادر خان حاكم ديالپور و منعم خان حاكم
كابل و محمد حكيم مرزا أخوه الأصغر عرائض الإخلاص والولاء
له . (١)

وفي غداة جلوسه على العرش أقر حكام الولايات على مناصبهم حتى يختبر
إخلاصهم وحسن خدماتهم ، وبعث إليهم بالفرمانات يقرهم فيها على وظائفهم ،
ويعددهم بترقيتهم إلى مراتب الكمال ومدارجه ، إذا ثبت حسن إخلاصهم
وخدماتهم ، ((وكانت نظره البعيدة تقتضى أن يكون منزويا في الظاهر
غير مهتم بأمور الدنيا ، حتى يتعرف على الجميع بأحسن وجه ، فترك جميع
المهام المالية والملكية إلى بيرمخان)) (٢)

وكما أشرنا من قبل ، فقد كانت الفوضى لا تزال تسود المملكة ، كما
كانت المجاعات والطواعين تنتشر في أنحائها ، وأصبحت الأجزاء الشمالية من

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

محمد عبدالقادر : أوياق مغل ، ص ٤٠٨ .

(٢) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٦-١٧ .

الهند بما فيها دهلَى و آگره بالطاعون الذى قضى على حياة الجم الغفير من الناس ، وأما من الناحية السياسية فإن عرش دهلَى كان قد أصبح كالكرة ، فى أيدي الأفغان والمغل^(١) ، ولم تعد السلطنة إلا تعبيرا جغرافيا أو مجموعة من الولايات ، كما غدت السيادة على الإقليم الشمالى الغربى من الهند موضع نزاع بين سكندرسور و محمد عادل شاه اللذين كانا من زعماء الأفغان ، وجمع سكندرسور جيشا كبيرا فى پنجاب ساعيا لنشر سيادته على كل بلاد هندستان . وأما محمد عادل شاه فقد تراجع إلى الأقاليم الشرقية وأخذ يعمل على توسيع نفوذه هناك ، وفى نفس الوقت كان قائده الصنديد هيمو قد أحرز لنفسه بطولة فائقة بانتصاره فى أكثر من عشرين معركة ، ثم تقدم بعد ذلك إلى آگره على رأس جيش ضخم ، كما كان هناك أمراء آخرون من آل سور يستأثرون بالأمر كله

(١) مغل : يقال إن نسبة جميع أقوام الترك والمغل والتتار تعل إلى يافث بن نوح عليه السلام ، وكان ترك الابن الرابع من أولاد يافث ، ولقد عهد إليه أبوه بالولاية بعد وفاته ، وجميع الأتراك من نسله هو ، ومن هذه الناحية يقال للمغل أتراك أيضا .

ويقال أيضا إنه توالى على حكم الممالك الشرقية أولاد ترك جيلا بعد جيل إلى أن جاء دور النجه خان الذى ولد له ابنان توأمان سمي الأول " مغل " خان " وسمى الثانى " تاتارخان " ، فنسب أولادهما باسميهما .

وكان لفظ المغول يكتب فى البداية بالواو ولكنه بمرور الزمن حذفت الواو وأصبحت الكلمة (مغل) .

(عبد القادر : أويماق مغل ، ص ٧ .

عبد المؤمن : أضواء على تاريخ توران ، ص ٨٦) .

فى بنگال (١)

ولنبدأ بأخبار القائد الهندوكى هيمو الذى أصبح خطره يهدد بقاء الدولة تهديدا جديا أكثر من أى واحد آخره ولم يكن قد قهر من قبل ، وكان هيمو قائدا لجيش سلطان محمد عادل ورجله الذى يعتمد عليه ، وقد حارب مع إبراهيم خان و سلطان محمد حاكم بنگاله وسائر الأفغانيين الذين كان يدعى كل واحد منهم السلطنة لنفسه ، فكان النصر حليفه فى اثنتين وعشرين معركة ، فلما اطلع على وفاة همايون پادشاه ترك سلطان محمد عادل فى نواحى پتنه وتوجه هو إلى آكره قاصدا الاستيلاء عليها ، وكان يردد : إننى وقد انتصرت على الأفغانيين الذين كانوا يظنون جيشا لا قبل له ، فكيف لا أنتصر على هذا الملك الصغير السن مع قلة جيشه . (٢)

رسم أكبر ورجاله خطتهم على أن يعطوا أولا على التخلص من آل سور الذين كانوا يسمعون لاسترداد عرش الهند ، وفيما كان جند الدولة

-
- (١) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ٨٠ - ٨١ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ٧٥-٧٦ .
Ishwari Prasad : A Short History of the Muslim Rule in India, PP. 226-227 .
(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٣٨ ، ٣٤٠ .
بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٢١٢ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ؛ ج ٢ ، ص ١٦٢ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٠ .

يعد في مطاردة "سكندر شاه سور" بالپنجاب هاجم هيمو مدينة
 آكره (١) ومعه ثلاثون ألفاً من الفرسان والمشاة وألفاً فيل ، فلم يستطع
 "سكندر خان أزيك" على مقاومته فانسحب مضطراً إلى دهلي حيث التحق
 بحاكمها "تردي بيگ خان" الذي اجتمع بقواته ومعهم مولانا پير محمد شيرواني
 ميموث "بيرم خان" إلى "تردي بيگ خان" ، وبعد الاستيلاء على آكره دون
 قتال ، توجه هيمو بقواته إلى دهلي ، وأسرع "تردي بيگ خان" فسي
 طلب المساعدات من أمراء الأطراف ، فوصل إلى دهلي على وجه السرعة
 كل من "عبدالله خان" و "لعل سلطان بدخشي" و "علي قلي خان أندرابي"
 و "ميرك خان لولابي" وغيرهم ، فاجتمع كثير من المحاربين المهرة من أقطار
 المملكة ماعداً على قلي خان شيباني الذي كان مشغولاً بمحاربة بعض
 الأفغان ، فأرسل "تردي بيگ خان" إليه من يطلب عودته إلى دهلي فوراً
 ولكن هيمو وصل بقواته إلى حدود دهلي فخرج كبار القادة لمقابلته
 ونشبت الحرب بين الفريقين قبل أن يصل "علي قلي خان شيباني" بقواته
 المساعدة وكان "سكندر خان" و "عبدالله خان أزيك" و "لعل سلطان
 بدخشي" يوالون الهجمات على قوات هيمو التي ارتبكت نتيجة لهنده
 الحملات ، فكان النصر في البداية حليفاً لقوات "تردي بيگ خان" ولكن هذه
 القوات انشغل كثير منها في جمع الأموال والغنائم ، فاستغل هيمو هذا

(١) أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحفارتهم ، ج ٢ ،

الوضع وهاجم تردى بيك خان بغيلته الطائشة ومعه (١) ثلاثة آلاف فارس منتخب من يشكلون قلب جيشه ؛ فلم يستطع تردى بيك خان مقاومة هذه الحملة ، فأدبر هاربا ، ولكن هيمو اعتبر ذلك خدعة حربية فلم يتعقبه ، ولما عرف الآخرون بهروب تردى بيك خان سلكوا نفس الطريق ، تاركين دهلى لهيمو الذى استولى عليها فى الثامن من ذى الحجة سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٦ م) أى فى السنة الأولى من جلوس أكبر على العرش (٢) ويذكر البعض عدد قوات هيمو وعدته التى استولى بها على دهلى بين خمسين إلى ستين ألفا من الفرسان والمشاة ، وخسمائة فيل عملاق وواحد وخمسين مدفعا ثقيلًا وخسمائة مدفعى ماهر وخبير فى المعارك (٣) كما يذكر جهانگیر عدد قوات هيمو مائة ألف فارس وخمسين ألف مدفعى راكب على الجميزة (٤) ، وثلاثة آلاف فيل طائش . (٥)

-
- (١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٣٢ - ٣٦ .
نظام الدين أحمد البهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٤ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
- (٢) نظام الدين أحمد البهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٤ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٣٦ .
- (٣) سحبان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٣٨ .
محمد طى أنصارى : تاريخ مظفرى ، ق ٢٩ ب .
محمد عبدالقادر : أويلاق مغل ، ص ٤٠٩ .
- (٤) الجميزة : عبارة عن ناقة سريعة السير .
- (٥) سليم شاه : تاريخ أكبر شاه ، ق ٣٣ ب .

كان أكبر في قصبة جالندهر لمطاردة سكندرسور ان جاء
نبا هزيمة تردى بيگ خان و استيلا هيمو على آگره و دهلى
فترك خواجه خضر خان زوج عمته كلبدن بيگم ليقاوم اسكندر وتوجه
هو الى دهلى ولما وصل الى حدود بلدة سرهند لحق به الأمراء
المنهزمون وعلى رأسهم تردى بيگ خان (١)

ولما أصبح جميع الممالك ما عدا پنجاب فى تصرف الأفغانيين ،
أصبح أكبر مضطربا وقلقا ، ولما كان صغير السن كرم بيرم خان تركمان
واعتبره فى خطاب منه إليه خان بابا قائلا له : إننى فوضت إليك جميع
المهام الملكية والمالية ، فتعمل ما تراه لصالح الدولة دون الانتظار لأمرى ،
فأقام بيرم خان مجلسا بمشاركة الأمراء للتشاور فى الأمر .

كانت التقارير تشير إلى أن عدد جيش الخصم يصل حوالى مائة ألف
فارس ، ولم يكن عدد جيش البادشاه يتجاوز عشرين ألفا ، فمال الجميع للانسحاب
إلى كابل ، إلا أن بيرم خان استصوب محاربة المخالفين ، وأيّد
أكبر هذا الرأي على الرغم من صغر سنه . (٢)

ولقد استخدم هيمو الحرب النفسية فأرسل رسالة إلى أكبر يحذره من مواجهته قائلا :
« إنك صغير السن ولن تستطيع مقاومتى ، فاحرص على حياتك ولا تجازف أمام جيشى اليفير

(١) نظام الدين الهروى: طبقات أكبرى ، ص ٢٤٤ .

محمد عبد القادر : . أويماق مغل ، ص ٤٠٩ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

S.M. Edwardes and H.L.O. Garrett : Mughal Rule in
India, P.23.

الجرار وأفيلتي الطائشة ، وإننى أترك لك من آكرو إلى أقصى بنگاله
والبقية تكون لى أنا) ولكن أكبر أجابه بنفس الأسلوب قائلا له : «إنك
قد دخلت فى معركة أو معركتين مع راجه فهزمته ، وأنا أحذرك أن لا
يفرنك هذا ، لأنه اذا أقدم أحد إلى القبض على عبده وتقييده لا يمكن أن نسمى
العمل هذا فنا ومهارة بل إنك لم تر معارك الرجال الشجعان ولم تصب
بصدمة الإقبال البار شاهى ، وفى الصباح قم بتجهيز جيشك وتعبثه وتعال
إلى ساحة المعركة ، حتى نرى لمن يكون لطف الله» . (١)

وفى الوقت الذى كان أكبر مشغولا بالصيد ، طلب خان خانان بيرم -
خان ، 'تردى بيك خان' إلى المنزل وقطع رأسه بسبب تقصيراته ، ولما
رجع أكبر من الصيد ، عرفه خان خانان أنه كان يعرف أن أكبر وما
عرف عنه من الشفقة والرأفة لم يكن ليرضى بقتله ، على الرغم من جريمته الكبرى ،
وأنه لا يستصوب العفو لمثل هذا التقصير ، وفى الوقت الذى اقترب اليه
الجيش المخالف وفى الوقت الذى استولى على ممالك الهند خصم كالأفغان (٢) ،
فاستحسن أكبر تصرفه وقبل معاذيره ، وسمع من الثقات ، أن بيرم خان ، لو لم يقدم لقتل
تردى بيك خان لما انضبطت القبيلة الجغتائية وتكررت قصة شير شاه ، فيعيد
هذا أصبح أمراء المغل يحسبون لـ بيرم خان ألف حساب ، فألقوا من
أذهانهم هوى التمرد والنفاق ، وعندما بدأوا فى مقاومة هيمو كان أمراء -

(١) - سليم شاه : تاريخ أكبر شاه ، ق ٣٤ أ

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ص ٢٤٥ .

المغل ، يثبتون ويصدون ، لأنهم كانوا يتذكرون دائما قتل تردى بيك خان ، (١) وبعد اتخاذ التصميم على محاربة هيمو صدرت التعليمات إلى علي قلى خان و سكندر خان و عبدالله خان 'بيك' و علي قلى خان أنيرابى و محمد صادق پروانجى و شاه قلى محرم وغيرهم ، أن يتحركوا إلى هيمو على شكل مقدمة الجيش . (٢)

كان هيمو يعيش فى عالم من الغرور ، وخاصة بعد انتصاره على تردى - بيك خان ، واتخذ لنفسه على اثر هذا النصر لقب راجه بكة باجيت (٣) معلنا بذلك عزمه على إحياء أمجاد أمته القديمة ، ومناهضته للإسلام والمسلمين ؛ فلم يكتف باهمال شأن سيده ، عاد لشاه فقط ، بل راح يضرب السكة باسمه ويولى خاصته ورجاله على المناصب العالية وشؤون الولايات . (٤)

ولما اطلع هيمو على تعبئة القوات فى الجبهة المقابلة بقصد محاربتة ، أرسل مدافعه الثقيلة مسبقا إلى قصبة پانى پت بقيادة مبارك خان "

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٥ .

(٣) راجه بكة باجيت : هو من الأبطال الذين ينجدهم تاريخ الهند القديمة وأساطيرها على السواء .

(٤) أحمد السادات : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ٧٨

أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

نظام الدين الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٥ .

و بهادر خان اللذين كانا من أمراء الكبار ، واستعد هو بنفسه للمعركة وأعد جيشا عظيما وألفا وخمسمائة فيل للهجوم ، ولما انتشر خبر إرسال مدفعية هيمور الثقيلة ، في وسط الجنود ، أسرت وحدة من المقاتلين ومنهم لعل سلطان بدخش إلى تلك المنطقة ، وأرسلوا تقارير عن واقع أفراد الخصم ، فالتحق بهم على قلى خان شيبانى أيضا ، حيث باغتوا قوات هيمور هذه واستولوا على مدفعتها بضربات السيف ، فأسرت مقدمة قوات هيمور بالفرار دون مقاومة تذكر. (١)

ولما علم هيمور بهروب مقدمة قواته واستيلاء جنود أكبر على مدفعيته ، قسم جنده إلى ثلاثة أفواج : اليمينه وعلى رأسها شادى خان كاكرك والميسرة وعلى رأسها ابن اخته المسمى رسيه وقاد الحملة بنفسه وبمعهلة وغرور ومعه الفيلة العملاقة المتبقية من قبل العديد من حكام هندوستان ، ومنها خمسمائة فيل من الفيلة المعروفة بخفة الحركة والتي لا تستطيع الخيل العراقية الهروب من قبضتها ، ودوحا أن كل فيل من هذه الفيلة المشهورة كان كفيلا بإرياك فوج عظيم ، وخاصة بالنسبة لهؤلاء الخيالة الذين لم تشاهد خيولهم

-
- (١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٤٣ - ٤٤ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٥ .
سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٣٩ .
محمد عبد القادر : أويماق مغل ، ص ٤٠٩ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

هذه الصور المهيبة وهذا الجسم البديع من قبل ؛ الأفيلة التي تدمر المباني العالية بهزة بسيطة وتنزع الأشجار القوية من الأرض ببساطة ولعبة ، وأثناء المعركة ترفع بخرطومها الخيل والخيال وترميها في الهواء ، وماذا أكتب عن سواد جنوده ، وخلاصة القول أنه كان معه ثلاثين ألف فارس ماهر من الراجپوت والأفغان (١) .

علم هيمو أن عددا من أمراء أكبر سبقوا بالوصول الى قصبة پانى پت فتقدم اليهم بنفسه وفي عجل ، على أناس أن هؤلاء الأمراء هم خلاصة قوات أكبر فاذا استطاع القضاء عليهم ، سهل له الأمر واعتمد في اختيار هذه الخطوة على جنوده وفيلته (٢) ، وفي صباح يوم الجمعة من شهر المحرم سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٦ م) جاءت التقارير من طلائع الجيش ، تفيد عن تحركات هيمو وقواته ، فأقدم قادة الجيش بتعبئة قواتهم ، وقام حسين علي بيگ و محمد صادق پروانجی و شاه علي محرم و مير محمد قاسم نيشاپوری و لعل سلطان بدخشی و سائر المقاتلين الشجعان بحملات جريئة على صفوف قوات هيمو أدت الى ارتباكها وتزلزلها ، وهاجم هيمو بفيلته الأفواج الپادشاهية ولكن بجهود من شباب الرمي وبضرب السيف والسنان ، عاد النظام إلى صفوف الأفواج ، فهاجم هيمو بجميع فيلته قلب قوات أكبر والذي كان قد استحكم بقوة خان زمان ورسالته ، واشتدت المعركة وألقى على

(١) أبو الفضل غلامی : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٧ .

هيمو بوابل من السهام ، واتفق أن أصابه سهم فى عينه وخرج من خلف رأسه ، ولما شاهد أتباعه وجنوده هذه الحالة ارتبكوا وتفرقوا من حوله منهزمين وسرعين بالفرار والإدبار ، فتعقبهم المقاتلون وقتلوا منهم الكثيرين (١) ، وتم حصر خمسة آلاف من قتلَى المخالفين فى ساحة المعركة ، إضافة الى الذين قتلوا أثناء الفرار ، وغنم ألف وخمسمائة فيل من الغيلة المشهورة . (٢)

فى الوقت الذى أصيب فيه هيمو وارتيك جيشه منهزما ، وصل شاه قلى محرم مع مجموعة من مقاتليه ، ورأوا هيمو راكبا فيلا وهم لا يعرفونه ، ولما أراد شاه قلى قتل الفيال واغتنام الغيل ، خاف الفيال على نفسه ودله على سيده ، وفرح شاه قلى خان بهذه البشارة ، فأعطى الفيال الأمان ووعد بمكرمة بادشاهية ، وأحضر هيمو أسيرا الى أكبر ، ولكن هيمو التزم الصمت ولم يرد على الأسئلة التى وجهت اليه فالتهم بيرم خان خانان من أكبر أن يقضى على حياة عدوه بنفسه حتى يثاب ، ولكن شاهنشاه رفض هذا العرض قائلا : ان مروتن لا تسمح بقتل أسير مقبوض عليه ، فباشير بيرم خان قتل هيمو بنفسه «والحق أنه كان خادما متازا وصاحب همة عالية فلو وضعوه فى المعتقل وأحسن تربيته وأعدوه للخدمة لظهرت

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٥ .

(٢) أبو الفضل غلامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

محمد هادى : توزك جها نكبرى ، ص ١٨ - ١٩ .

منه خدمات جلييلة * (١)

وقبل قتله ضربا بالسيف عرض عليه الإسلام ، إذ لو أسلم لتنازلوا عن دمه ولكنه لم يقبل الإسلام فقتل .

ولقد أرسل رأسه الى كابل وعلق جسده في دار الطك دهلئ ليكون عبرة للآخرين (٢) ووصل رأسه الى منعم خان حاكم كابل في قورق ساي فأرسله الى بايزيد بيات في كابل كاتبا له أن يعلق الرأس بعد وصوله ، على الباب الحديدى ، وأن يأمر بضرب نقارة الفرح ، ووصل الرأس الى بايزيد أثناء الليل فعلم بموجب حكم منعم خان (٣)

ويذكر بكتابة اسم أكبر منذ ذلك التاريخ بأنه «جلال الدين محمد أكبر پادشاه غازى» * (٤)

وبعد القبض على هيمو وقلته وهزيمة قواته ، صدرت الأوامر الى اسكندر خان أوزبك ليتعقب الغارين من قلوب قوات هيمو ، فتعقبهم الى دهلئ وقتل الكثير منهم ، وفي اليوم التالى تحركت الجنود من پانى پت ولم يتوقفوا حتى دهلئ وخرج جمهور الأهالى من أعاليهم وأسافلهم للاستقبال

-
- (١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .
 محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .
 سحان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .
 غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٦٢ ، ١٦٨ .
 عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .
 (٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٥٢ .
 أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨٠ .
 (٣) بايزيد بيات : تذكرة همايون واكبر ، ص ٢١٤ .
 (٤) المصدر نفسه : ص ٢١٣ .

والترحيب ، ومكثوا هناك لمدة شهر ، وفي هذه الأثناء وصلت الأنباء تفيد أن رجال هيمو وأتباعه قد تجمعوا مع خزائنهم وذخائرهم في ميوات فصدرت التعليمات إلى مولانا پير محمد شيروانى بالتحرك إلى ميوات فلاحقهم شيروانى هناك وقبض عليهم جميعا وحصل على غنائم نفيسة. (١)

وبانتصار أكبر على هيمو في پانى پت وبمساعدة وزيره بيرم — خان أصبح سيدا على دهلى و آگره وله من العمر أربعة عشر عاماً. (٢)

ولقد فتت هزيمة القائد الهندوكى الكبير هيمو ومقتله في عضد أعداء أكبر وخاصة بالنسبة للأمراء أسرى سور ، فنال اليأس من نفوسهم منالا شديدا (٣) وسوف نرى هذه الآثار ، في مطاردة أكبر للأمراء الأفغان ، خصوصه التقليديين .

-
- (١) نظام الدين أحمد الهنروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٥ — ٢٤٦ .
- أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨٠ .
- (٢) جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ٤٦٣ .
- P.Spear : A History of India, V.II, PP. 29 - 30.
- (٣) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

لم يفقد الأفغان جميع ملكهم في الهند ، بل كان باقيا بأيديهم نصيب مثل بهار و بنكاله ، وكان هيمو قائد الملكهم محمد عادل (١) ، الذى انتهى خطره فى معركة پانى پت ^{محرم} (٩٦٤ هـ (١٥٥٦ م) بهزيمته وأسرته وقتله . وعلى الرغم من هذا كان هناك الآخرون من أمراء الأفغان يحاولون إعادة نفوذهم على الهند ، وعلى الأخص على عاصمتها دهللى .

وجد ير بالذكر أن مزاحمة الأفغانيين لدولة أكبر لم تنته إلى نهاية حياته ، ولكن أكبر لم يتح لهم فرصة ليصبحوا خطرا على بقاء دولته ، بل طاردهم حيناً بعد حين وقضى على دويلاتهم واحدة بعد الأخرى كما سنراه فيما هوأت . .

إننا ونحن نتحدث عن الأوضاع غداة بدء عصر أكبر ، فإنه يجدر بنا أن نشير إلى اسكندر سور الذى كان يطالب بالعرش ، مستغلا فى ذلك صغر سنن أكبر والأوضاع التى أشرنا إليها فى أعقاب وفاة همايون . إن أكبر ووزيره المحنك بيرم خان ، لم يتيحاه مجال التحرك الخطير ، فلما كثرت الروايات أن اسكندر جمع حوله قوات ، توجه الموكب الشاهنشاهى إلى پنجاب ، وصدرت الأوامر إلى كبار الأمراء والقادة الأشداء بأن يرافقوا الشاهنشاه فى هذا الهجوم ، وتحرك الموكب فى يوم الاثنين الرابع من شهر

(١) شكيب أرسلان : حاضر العالم الاسلامى ، ج ٤ ، ص ٢٩٩ .

صفر عام ٩٦٤ هـ (١٥٥٦ م) من دهلي ، متوجها إلى پنجاب وكانت الحملة
تنظم منزلا بعد منزل ، وفي كل يوم كانت جموع غفيرة من الناس تنضم إلى الموكب
وخاصة من أهالي كابل ، و بدخشان ، و قندهار . (١)

ولما وصل الموكب إلى حدود جالندر ، رحل اسكندر أفغان من هذه
الولاية إلى جبال سواك معقل المتمردين ، وتابع الموكب سيره إلى تلك الجبال
« وكانت التقارير الواردة تؤكد بأن سكندر أفغان يريد جر العساكر إلى
المضايق الجبلية حتى يسهل عليه محاربتهم ، ولكن شاهنشاه لم يلتفت إلى
هذه الأخبار ، فأمر بنهب أموال سكان جبال سواك وتأديبهم لأنهم اتفوا
حول سكندر ، فتفرق هؤلاء الأهالي وتركوا سكندر ما اضطره أن يلجأ إلى
قلعة مانكوت التي أعدها لمثل هذا اليوم ، تاركا أمواله نهبا للجيش
المظفر . »

« وكانت هذه قلعة كهري ، كأنها تتكون من أربع قلاع ، بناها سليم خان -
أفغان على قم الجبال في طراز عجيب بحيث لا تبدو في الظاهر أكثر من قلعة
واحدة ، وأماكن هذه القلاع بنفسها ليست من الأماكن التي يسهل على الجنود
التقرب منها أو التحكم في أهاليها ، فكيف يكون الوضع إذا بنيت على هذه

(١) أبو الفضل علامي : : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

محمد قاسم فرشته : : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .
جمال الدين الشيال : : تاريخ دولة أبا طرة المغول الإسلامية في الهند ،

القلاع الطبيعية قلاع محصنة أخرى ، إضافة الى أن هناك المياه العذبة متوفرة والمواد الغذائية توجد بكثرة " . (١)

ولما اطلع أكبر على هروب سكندر وتحصنه ، لم يلتفت الى متابعه في مثل هذه الأماكن ، بل عزم على حصار القلعة ليزيل الشرويرج الجميع ، فأصدر أوامره لحصار القلعة وضيقوا عليها الحصار وقام أدهم خان واحد من القواد بأداء بطولية في هذا الحصار ، واستطاع أن يقتل عددا من المخالفين . كان جند المخالفين يراعون الحيطة والحذر ، وبإطلاق نيران المدفعية لم يكونوا يسمحوا لأى متنفس أن يجول حول القلعة ، وقاموا بجميع المحاولات للحفاظ على هذه القلعة ، وكلما اشتدت محاولة المخالفين فى الحفاظ عليها كلما اشتد المقاتلون فى الاستعداد للسيطرة على القلعة مستخدمين فى ذلك الساباط (٢) وسائر أسباب فتح القلاع . (٣)

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٦٢ - ٦٣ .
نظام الدين أحمد الخسروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٣ .
محمد عبد القادر : أوتياق مغل ، ص ٤١٠ .

(٢) ساباط : عبارة عن حائطين متوازيين يبنيان على مسافة مرمى البندقية ثم يغطى السطح بالألواح الخشبية وجلود الأبقار وغير ذلك ، ويصد ذلك الى جدران القلعة التى يراد فتحها ، فيعبر الجنود من هذا المعبر ويقومون بحفر النقب فى جدار القلعة ، ثم يملأ النقب بالباروت فينفجر جدار القلعة ويدخل الجنود الى داخل القلعة من الفتحة التى يحدثها الانفجار .
(فرشته : ج ١ ، ص ٢٥٧)

(٣) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٦٣ - ٦٦ .

ولما طال الحصار لعدة أشهر، يئس سكندر من المحافظة على القلعة خاصة بعد أن اطلع على قتل السلطان محمد عادل^(١) الذى كان يتوقع تحركه من الممالك الشرقية لهند ستان إلى دهلى، حتى يخفف الضغط على حصار القلعة، فيمكنه الاستمرار فى التمرد، «فالتمس أنه يخجل من مقابلة حضرة شاهنشاه، ويريد أن يرسل ابنه للخدمة، ويسمح له بالتوجه إلى مكان ما ليعمد نفسه بالتشرف بمقابلة حضرته ويحلف بالله رب العالمين أن لن يعصيه بعد الآن» وقد قدم التماسه هذا بواسطة خان خاتان، ففوض له أكبر أمور مدينتى خريد وبهار فأرسل سكندر ابنه عبدالرحمن إلى خدمة شاهنشاه مع أحد كبار قادته وهو غازى خان سور وعدد من الفيلة الممتازة وغيرها من التحف والهدايا، وسلم مفتاح القلعة إلى «أولياء الدولة القاهرة» فى يوم السبت السابع والعشرين من رمضان سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٢ م) ^{يوليو} وسمح له بالخروج من سجن الحصار والتوجه إلى خريد وبهار حيث توفي هناك بعد سنتين. (٢)

(١) لقد هجم أحد أمراء سور وهو خضر خان على السلطان محمد عادل وقتله، انتقاما لقتل أبيه الذى قتل فى معارك هيمو قائد السلطان عادل.

(٢) أبو الفضل غلامى : أكبر نامه، ج ٢، ص ٧٢-٧٣.
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى، ص ٢٤٦.

سبحان راي : خلاصة التواريخ، ص ٣٤١-٣٤٢.

غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين، ج ١، ص ١٦٨.

وهكذا قضى أكبر ووزيره "بيرم خان" على تمرد خصم من خصومه العتيدين من آل سور والذي كان يطالب بعرش دهلې ، ولقد كان لموسم الأمطار (١) تأثيره في إطالة مدة حصار قلعة مانكوت ، إضافة الى حصانتها الطبيعية والصناعية وتوفر الذخيرة والمواد الغذائية فيها ، كما ذكر .

من المشاكل التي واجهت أكبر أيضا غداة جلوسه على العرش ، تنافس كبار رجال أبيه ودولته فيما بينهم وتمرد بعضهم وعصيان العديد من بنى أعماه ، وأول من قام بالمخالفة من هؤلاء هو شاه أبو المعالى ، وكان شابا وذات حسن وفهم وإدراك ، وكان محل عناية همايون الخاصة ، وكان شاه أبوس المعالى يعتبر نفسه من أقرب المقربين لهمايون ومن أخلصهم له ، ومن هنا كان يسعى لكسب السلطة والقدرة ، فحينما دعى إلى الحفل الكبير الذى أقيم فى اليوم الثالث من الجلوس وتحت رعاية السلطان أكبر ، تظاهر عن الحضور بالأعذار ، وعندما ألح على حضوره ومشاركته الحفل ، لأنه كان يطرح فيه بحث المهام الملكية والمالية ، رد قائلا : انه لم يفرغ بعد من التعازى ، وطلبى فرض حضوره ومشاركته ، لا يعرف كيف ستكون معاملة شاهنشاه معه ، وفى أى مكان من الحفل سيكون مقعده وكيف يكون استقبال الأمراء له ، وبعد الالتحاق واشتراط الشروط حضر الحفل وجلس فى الجانب الأيمن من شاهنشاه

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٣ .

وعندما جاء وقت تناول الطعام وسد شاه أبو المعالي يده للغسل ،
ألقى عليه القبض وأرسل إلى سجن لا هور (١) عند پهلوان گل گز
ولكنه استطاع الهروب من السجن فانتحربسببه پهلوان من الخجل ،
ولما كانت مسألة مطاردة سكندرافغان هو الأهم ، لم يهتم في القبض
على شاه أبو المعالي ثانية (٢) فلجأ إلى كابل واختار لنفسه
أولاً ملازمة مرزا محمد حكيم الأخ الأصغر لأكبر ، ولكنه بعد مرور أيام
بدأ يفكر في المخالفة من جديد ، فقتل بدون أى سبب ماه چوچك بيگم
والدة مرزا محمد حكيم و محمد قاسم كوه بر و عرب ابن اخت المشار
إليه ، ثم وضع مرزا المذكور تحت تصرفه .

ولما بلغت هذه الأنباء ، إلى بدخشان توجه حاكمها مرزا سليمان ، مع
زوجته حرم بيگم (٣) إلى كابل لدفع أبي المعالي والقضاء عليه ،
فتقابلوا في ضفة آب باران وكان النصر لحليف مرزا سليمان الذي قبض
على أبي المعالي حياً ، وسله إلى محمد حكيم مرزا الذي قتله قصاصاً
لدم والدته وأمرائه . (٤)

وهكذا كانت نهاية شاه أبو المعالي على يد مرزا سليمان الذى

(١) أبو الفضل علامى : بزرگوارنامه ، ج ٢ ، ص ١٨ - ١٩ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٣ .

(٣) بيگم : كان في الهند يضاف إلى أسماء النسوة المفعليات كلمة " بيگم " ،
التي تعنى السيدة المحترمة (عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٨) .

(٤) بايزيديات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

كانت له أيضا أطماع في الحكم ، حيث لم يكن يقتنع بولاية بدخشان ، فحاول مرارا الاستيلاء على كابل كما سنرى في حينه . .

ومن مشاكل أكبر ، إبان توليه الحكم ، توتر علاقاته بأتابكه (١) ورجل دولته الأول خان خانان بيرم خان ، الذي كان له الفضل في الحفاظ على الدولة وخاصة أثناء استيلاء هيمو على آكره و دهلي والقائه الرعب في وسط سائر رجالات دولة أكبر كما رأينا سابقا .

و بيرم خان هذا كان من كبار أمراء الأسرة التيمورية ، وكان آباؤه ، وأجداده في خدمة أولاد الأمير تيمور ، وكانوا أصحاب جاه ومنصب ، وكان أبوه سيف علي بيگ قد قام مقام أبيه يار علي بيگ في إقطاعية غزني وذلك في أيام بابر بادشاه ، ولما توفي سيف علي بيگ في غزني ، كان ابنه بيرم خان طفلا صغيرا فذهب إلى أقاربه في بلخ (٢) حيث تعلم على أيديهم ما يلزم تعلمه من علوم ، وكسب وكمال ، ولما بلغ سن الرشد ، جاء إلى كابل وانتظم في سلك خدام الأمير نصير الدين محمد همايون ، فأصبح مقربا لديه بسبب حسن سلوكه وأخلاق الحميدة وطبعه المتزن وتفوقه في فن الموسيقى ، ولما كان في السادسة عشرة من عمره ، اشترك في إحدى المعارك

(١) أتابك : كلمة تركية مركبة من أتا بمعنى الأب وبك بمعنى الأمير فمعنى أتابك هي الأمير الذي يقوم مقام الأب ، وكذلك ذكرت الكلمة بمعنى الأستاذ والمربي . (غيات اللغات ، ص ١٤) .

(٢) مدينة مشهورة من مدن خراسان ، وتسمى بها الآن محافظة من محافظات أفغانستان الشمالية .

ببسالة وشجاعة فائقة ، نال على إثرها شهرة عظيمة ، فسمع عنه بابر بادشاه وطلب محمد بيرم خان إليه ، فلما شاهد فيه آثار الاستعداد والمهارة ، أمر أن يحضر إليه دائما بصحبة الأمير همايون ، فوصل أمره بعد هذا إلى ما وصل ، وكان في غاية الحب للرعية والتفقد لأحوالها ، وكان تقيا يلزم دائما صحبة أهل الفضل والعلم ، وكان يحضر في مجلسه المطربون والموسيقيون وشباب كثيرون ؛ كما كان يحسن الآداب البادشاهية ، ويهتم كثيرا بالتزين والتحسينات اللازمة لأهل الدنيا ، ولم يكن له نظير في النظم والنثر ، وديوانه متداول بالتركية والفارسية ، وله قصائد كثيرة في مناقب « الأئمة عليهم السلام » (١) هذا هو بيرم خان الذي كان سيه سالارا (٢) وأتابكا ، ثم تولى منصب الوكالة (٣) أيضا فأصبح يصرف المهام الملكية والمالية ، وفور جلوس أكبر على العرش ، أرسل إلى أطراف البلاد وأكفافها فرامانات بشارة الجلوس واستمالة الجند والرعية (٤) . ولما تقرر تصريف الأمور برأى بيرم خان ، أخذ الحساد والأشرار يتآمرون ضده ، وكلما أتيت لهم الفرصة ، سموا إلى أكبر وقالوا له ما يكدر خاطره من قبل بيرم خان ، وعلى الخصوص أدهم خان الذي كان يستغل نسبه إلى أمه ماهم آنكه (٥) وكان بالاتفاق مع أمه يختار طريق الحسد ، ولما

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

(٢) سيه سالار : أي قائد الجيش .

(٣) الوكالة : كانت صلاحيات منصب الوكالة ، تشبه صلاحيات رئيس الوزراء في عصرنا الحاضر .

(٤) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

(٥) آنكه : كلمة تركية بمعنى المرضعة ، وكانت ماهم آنكه مرضعة للسلطان أكبر .

كان يعرف أكبر مدى ولاء بيرم خان وإخلاصه له ، لم يكن ليهتم كثيرا بهذه الأقاويل . (١)

في أواخر أيام محاصرة سكندرسور في قلعة مانكوت ، حدث أن كان أكبر يتفرج على مصارعة فيلين من الفيلة البادشاهية وهما فتوحا ولكنه ، واتفق أن امتدت مصارعة الفيلين إلى مقربة من مخيم خان خانان ، وسبب ازدحام المتفرجين وغوغاءهم في تخوف بيرم خان من أن يكون هذا بتدبير من أكبر ، وزاد في خوفه شائعات بعض المفرضين ، فأرسل واحدا من خلصائه إلى ما هم آنك قائلا لها : إنه لم يقصر في الخدمة ولا يدري ما الذي نسب إليه من قبل أصحاب الفتنة ، حتى تحدث كل هذه اللابالاة وإرسال الفيلة الطائشة إلى مخيمه ، ولكن ما هم آنك سكنته وأراحت خاطره . (٢)

" كان بيرم خان يوزع الفيلة البادشاهية على أمراءه الذين يثق فيهم ، حتى أنه أخذ كثيرا من الفيلة البادشاهية الخاصة بحيلة توزيعها على الناس ، ولم يكن حضرة البادشاه ليتحمل كل هذا التحكم ، ولكن لكل عمل أجل ، ولأن الوقت لم يكن قد حان ، أغضض حضرته ورضى بالقضاء " (٣)

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٠ .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ص ٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

” ومن الأمور الغير اللائقة التي حدثت من بيرم خان ، نتيجة مصاحبة للرفاق
السوء ، قتله فيال الشاهنشاهي الخاص ، و خلاصة القصة كالآتي :

كان الفيل البادشاهي طائشا ولا يطيع فياله ، واتجه إلى أحد فيلة
بيرم خان ، وضربه ضربة عنيفة أخرجت أمعاءه ، واستسلم بيرم خان للغضب فقتل
الفيال ، وبهذا الاجراء البعيد عن الأرب والإخلاص ، جعل نفسه محل كراهية
أرباب الخبرة ، والأعجب من هذا أنه في يوم من الأيام ، طاش واحد من الفيلة
الشاهنشاهية الخاصة ، ورمى بنفسه في نهر جون (١) ، وكان بيرم خان يتنزه
في النهر راكبا السفينة ، وخرج الفيل من طاعة الفيال ، واتجه إلى سفينة
بيرم خان ، فحدث له من جراء ذلك حالة عجيبة وفي النهاية تحكم الفيال على
الفيل ونجا بيرم خان من الإصابة ، ولما اطلع حضرة شاهنشاه على الحادث
أرسل الفيال مقيدا إلى بيرم خان لإرضاء خاطره ، ولكن بيرم خان الذي كان
قد قربت أيام إداره قتل ذلك الفيال المقيد والمرسل من قبل حضرته ،
وحدثت من بيرم خان الكثير من أمثال هذه الأمور الغير اللائقة ، ولكن حضرته
كان يستمر في أسلوب التظاهر بعدم الالتفات لمشاكل هذه الأمور ، حتى يعطى
لمثل هؤلاء الناس فرصة الانصاف والعودة إلى طريق الإخلاص ” (٢)

” وكان بيرم خان يعتبر نفسه الرجل الوحيد في الفهم والاخلاص والرجولية ،
ومن كثرة مراجعته المداحين ، كان يرى أن بدون وجوده هولا يمكن أن تنتظم

(١) جون : اسم لنهر جمنا .

(٢) أبو الفضل طامي : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

أمور هندوستان ، ومن قصر نظر مرافقيه وحاشيته ، انحرف عن جادة الصواب^(١) وكان همايون قد سمي بيرم خان باسم أتا ليغ^(٢) ولأن الشبـاب ينادون الشيخ باسم بابا كان أكبر كثيرا ما ينادى بيرم باسم خان بابا^(٣) ، وكان أكبر يراعى معنى هذا اللقب ، فكان يغمض عينيه عن أعمال بيرم خان ، ويشغل نفسه بالتفرج والصيد ، ويؤثر القناعة والرضا ، إلى أن تجاوزت الأمور حدودها ، حيث تخيل خيالات فاسدة بالاتفاق مع أعوانه من أشال ولى بيك ذو القدر و شيخ كدائى كنبوه ، وقبل أن تتمكن هذه الفئة الجاحدة الضالة ، من إظهار خيالاتهم الفاسدة خرج حضرته فى وسط المخلصين من أشال ما هم أنكه التى كانت آية فى التعقل والتدبير والإخلاص ، و أدهم خان و مرزا شرف الدين حسين وجمعا آخر من المقرين ، فخطبهم بأنه يريد أن يقوم بمهام الملك وأن يعاقب بيرم خان ومتلقيه عقابا لاثقا ، حتى يستيقظ من نوم الغفلة ، ويكث فترة طويلة فى حسرة أعماله ، وحدثت هذه المشورة فى بيانه حيث كان حضرته هناك للصيد ، وكان خدام حضرته مهتمين بهذا الموضوع نظرا لضيق المعيشة الذى كانوا يلاقونه من استيلاء بيرم خان على السلطنة ،

(١) أبوالفضل غلامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٤٢ .

(٢) أتا ليغ : كلمة تركية بمعنى الاستان ، الأمير ، الأمير الذى يقوم مقام الأب ، مربى الأطفال .

(٣) خان بابا : : بمعنى يا أبت خان .

ومن هؤلاء المهتمين بهذا الموضوع ، ما هم آنكه ، و شهاب الدين أحمد
خان حاكم دهلى (١)

كان أكبر قد غادر آگره فى العشرين من جمادى الثانية سنة ٩٦٧هـ
(١٥٦٠م) معلنا أنه خارج للصيد ، وبقى خان خانان فى آگره لتصرف
الأمر ، ولما وصل موكبهُ إلى حدود قصبة سكندره تأملت ما هم آنكه
مع نفسها ورأت أن من مصلحتها ، تشجيع أكبر بالتوجه إلى دهلى ،
فأبلغوه أن والدته حدث لها ضعف ، وأنها تتذكره كثيرا ، الأمر الذى ألقى
بأله فعزم للذهاب إلى دهلى ، حيث قالت له ما هم آنكه بالاتفاق
مع شهاب الدين أحمد خان أقاويل عن بيرم خان والتي تسببت فى تغير
طبيعته عنه ، وقالوا له : ((إنه ما دام يكون بيرم خان مستمرا فى السلطة
فلا خيار لحضرتة فى تصرف أمور السلطنة ، حيث تكون الاختيارات البادشاهية
الحقيقية ، فى يده هو ، فكدرُوا خاطره من ' خان خانان ')) (٢) ، وبعد هذه
الخطوة قال له : ان خان خانان سيعتبر مجيئكم إلى دهلى من
تدبيرنا نحن ، ولا نطك مقاومة عداوته ، فمن الشفقة فى حقنا أن تأذن لنا بالسفر
إلى مكة لنقوم بالدعاء فى الأماكن الشريفة ، وكان أكبر يحب ما هم آنكه
لحسن خدماتها له ، فلم يرض مفارقتها ، فكتب إلى خان خانان يقول له :

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٠ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, p.23.

((اننى قد جئت الى هذه المسافة البعيدة دون استصوابكم ، مما سبب قلق مقربينا ، فمن الأولى والأنسب أن تقوم بتسليية هؤلاء وتهدئة خواطرهم ، حتى يستمروا فى القيام بخدما تهم)) ، ورعى شهاب الدين أحمد خان الحزم والحيطة ، فبدأ يعتنى باستحكامات القطعة وسائر لوازم الحذر ، كما قام بالاتفاق مع ما هم آنكه بنشر الإشاعات عن تغير طبيعة أكبر بالنسبة لخان خانان بيرم خان (١)

ولم يقف الأمر الى هذا الحد ، فبعد نزول أكبر فى دهلى فى يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الثانية سنة ٩٦٧ هـ (١٥٦٠ م) ونشر الإشاعات واتخاذ الخطوات السابقة ، استطاع خصوم بيرم خان أن يستصدروا من أكبر ما يؤكد إشاعاتهم ((فأصدر أكبر توجيهاته الى المخلصين وصدرت المراسيم الى المقربين وخدام هذه الأسرة الكريمة القدماى ، بأن "بيرم خان قد انحرف عن طريق السداد فانصرفنا عنه ونزلنا فى دهلى وكل من يتجه إلينا بالاخلاص ، وكل عاقل فطن يريد خلاصة والوصول الى ما يرغب فيه ، فليتشرف بالتوجه إلينا ، حتى نشرفه بالمراتب والمناصب العالية ، لأن هذه بداية ظهور دولتنا الخالدة ، فطوبى للسعداء الذين يوصلون أنفسهم بهذه الدولة المتعالية " (٢)

وهكذا تحولت العلاقات بين أكبر ووكيله بيرم خان من

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) أبو الفضل غلامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١١٨ - ١١٩ .

دور القوة والخفاء، إلى دور الفعل والعلن؛ فعلى الرغم من أن بيرم خان
بادر بالرد على رسالة أكبر، مؤكداً له ولائه، حيث أسرع بإرسال مجموعة
من معتمديه إلى أكبر، يؤكد له ((أن إخلاصه لخدمة حضرته يصل إلى
الحد الذى لا يمكن أن يصد منه ما يخالف طبيعته الشريفة*)) (١)، إلا أن الوضع
لم يعد إلى طبيعته، ولم يسمح خصومه أن تفوتهم الفرصة.

((على الرغم من علم بيرم خان وفطنته فإنه لم يكن يصدق أن أيامه قد
ولت، فكان يستمر فى ضرب طبل الاستقلال دون أى قلق، ولم يكن يصدق
ما يسمعه، وحتى لو كان يصدق، لم يكن ليهتم به، إلى أن بدأت تصل
مراسيم حضرته إلى الأمراء، وشاعت أنباء تغير طبع حضرته عنه، فى القريب
والبعيد، وهنا تيقن بيرم خان أن سيد حضرة شاهنشاهى فى هذه المرة،
كان من النوع الآخر، وتأكد أن حضرته قد انصرف عنه، وبدأ يصرف الأمور
بنفسه*)) (٢).

أصبح بيرم خان فى قلق وبدأ يدبر الحيلة، فأرسل جماعة إلى السلطان
فى مهمة تقديم أنواع المعاذير ولكن الوفد لم ينجح فى مهمته ((فتحير بيرم
خان وأصبح فى اضطراب شديد، وقرر أخيراً أن يذهب بنفسه إلى حضرة
شاهنشاه فى اشتياق وبكا، فأسرع أهل الغطنة والوعى، بإيصال هذا الخبر
إلى مسامع حضرته، وأبدى الجميع رأيهم بأن بيرم خان يريد الخداع، فقبل
أن يصل، يجب التوجه إلى لاهور وترك اللقاء معه، لأن وسائل الحرب

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى، ص ٢٥١.

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه، ج ٢، ص ١٢٠.

لم تعد بعد ، فاذا جاء بيرم خان إلى لاهور فيجب التوجه إلى كابل ،
ورأى جمع آخر أنهم ستعدون للحرب ، ولا يرون أى صلاح فى توجه حضرته
إلى مكان ما ، وبعد مشاورات طويلة ، قرر حضرته البقاء ، حفاظا على الوقار
والهيبة ، وصمم على الحرب والمواجهة ، وأرسل إلى بيرم خان ، ترسون
محمد خان و مير حبيب الله ، يخبرانه بعدم استعداد حضرته للقاء به
ولا يريد أن يحضر عنده متلبسا بزي الصداقة والا خلاص^(١) .

وهكذا نجح خصوم بيرم خان فى توسيع الشقة بينه وبين سيده
أكبر ، وكان خان خانان يميل دائما إلى التجرد وزيارة الأماكن
الشريفة ، وأقضى هذا إلى أمراك وخوانينه الذين لم ينفصلوا عنه ، فرخصهم
للذهاب إلى خدمة البلاط ، وعزم هو للسفر إلى زيارة الحرمين الشريفين ، فتحرك
من آكره إلى ناگور ، ولما انتشر نبأ خروج خان خانان من دار الخلافة^(٢)
إلى ناگور ، أذاع شهاب الدين أحمد خان و ماهم أنك أن بيرم خان
خرج من آكره بقصد أخذ پنجاب ، فأرسل أكبر إليه موفدا ومعه
رسالة ، يقول فيها : « عندما كان حسن نيتك وإخلاصك يظهران لنا ،
فإننا تركنا تصريف أمور الممالك على يدك ، وانشغلنا بلوازم الترفيه والتسلية ،
ونريد الآن أن نباشر القيام بمهامنا ، فمن الأجدر لذلك الصادق المخلص ، أن
يتوجه لزيارة مكة المكرمة ، التى كان يفكر فيها دائما ، وأن يختار من ريف الهند

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) اصطلاح فى ذلك الوقت على تسمية آكره بدار الخلافة ، كما سميت بهذا

الاسم مدينة فتحپور فيما بعد .

ما يشاء ، حتى يرسل اليه عماله محاصيله) ، وقبل خان خانان جميع هذه التطبيقات وتوجه من ميوات إلى ناكور ومن هناك أرسل إلى أكبر بصحبة واحد من أقاربه وهو حسين قلى بيگ أسباب الامارة والجاه ، فحبذ أكبر هذا العمل ومجى " حسين قلى بيگ " لملازمته . (١)

وهنا نرى أن بيرم خان قد نزل عند رغبة سيده ، وعزم على التوجه إلى زيارة الحرمين الشريفين في الحجاز ، تاركا أكبر يباشر سلطاته ، ولكن الأعياب الانتهازيين في أوساط الجانبين ، وإعادة مولانا پير محمد شيروانى إلى المنصب وتقريبه إلى السلطان ، قد أدت إلى إثارة بيرم خان ، وتوقف عما عزم عليه وهو السفر إلى الحجاز .

وكان پير محمد خان الوكيل المطلق لخان خانان ، وكان يراجع إليه فى جميع الأمور الملكية ، ووصل نفوذه إلى الحد الذى أصبح ملجأ لأركان الدولة وأعيان البادشاه .

وحدث أن أصبح پير محمد خان مريضا ، ولم يخرج من البيت لعدة أيام ، فذهب خان خانان إلى عيادته ، وعند الوصول إلى باب منزله تقبّل أحد الخدام إلى خان خانان طالبا منه عدم الدخول إلى البيت إلا بعد الاستئذان ، فانفعل خان خانان من هذا السلوك وأحس استعلاا ، بير محمد خان ، وعلى الرغم من اعتذار پير محمد خان لما حدث من حارس الباب إلا أن خان خانان مكث لحظات فى بيته ، ثم خرج ليدير أموره ، فكتب

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

إليه بعد ثلاثة أيام رسالة يقول فيها : " إننى رقيتك إلى درجة الخانية ، بعد أن أحسست فىك الإخلاص ، ولكنه يبدو أن أهليتك لا تسمح بذلك ، ويخشى أن يظهر منك الفساد ، فتقتضى المصلحة أن أنتزع منك أسباب الفرور والجاه ، حتى تعود إلى حالتك الطبيعية ، فسلم بيرم محمد خان على الفور أسباب الخانية وأصبح شخصا عاديا " . (١)

وبعد أيام أرسل بير محمد خان مقيدا إلى قلعة بيانه ومن هناك رخص له بالسفر إلى الحجاز ، فتوجه إلى كجرات ولكن فى أثناء الطريق وصلت رسالة من مرزا شرف الدين حسين و أدهم خان يطلبان فيها منه أن يتوقف حيثما وصل وينتظر سائحة غيبية ، ولكن بيرم خان اطلع على الأمر فأرسل إليه من يطارده ، وعين مكانه حاجى محمد خان سيستانى ولو أنه سعى بوكيل خان خانان إلا أن شيخ كدائى الذى رقى إلى منصب الصدارة كان وكيله المعنوى ، فلم يكن بيرم خان ليقدّم على أمر بدون استصوابه ، وقد كان له دور كبير فى توسيع الشقة بين بيرم خان ووكيله السابق بير محمد خان (٢)

وبعد إعفاء بيرم خان عن مناصبه ، استدعى بير محمد خان ، وكرم من قبل البار شاه ب خطاب خانى وبالعلم والنقارة وارتفاع العزة . (٣)

ولما اطلع بيرم خان على إعادة بير محمد خان إلى المنصب ، استاء كثيرا

(١) نظام الدين أحمد الهزوى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٢) أبو الفضل علائى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٣٠ .

وانفعل ، وجاءه جمع من الانتهازيين فأثاروه ، فرفع علم المخالفة وتوجه إلى
پنجاب ، ولكنه لم يلق ما كان ينتظره من الكثيرين الذين أوصلهم إلى مناصب
عالية وكانوا خداما له فيما سبق . (١)

حاول أكبر وخصوم بيرم خان أن يدفعوا خطره بشتى الوسائل
بدءا بالحرب النفسية المتمثلة في الوعد والوعيد اللذين كانت تحملهما رسائل
أكبر الموجهة إلى بيرم خان ، ويذكر أبو الفضل أنه قرأ نص الرسالة
التي بعثها أكبر إلى بيرم خان وما جاء فيها :

" لقد شاورت الذين تسببوا في الاستياء وعدم الرضا ، ولم تفكر في المال ، وبإغواء
من هؤلاء وإضلالهم بدأت في إثارة الأوضاع في الولايات ، وأرسلت ابن سكندر
و"غازي خان" ليثيرا الوضع في مكان ما ، وكتبت إلى مهدي قاسم أنك
تنوي التوجه إلى لاهور وطلبت منه أن يحافظ على القلعة ولا يتركها لأحد ،
وأرسلت الأخبار إلى الأطراف والأكتاف ، ليقوموا بالإخلال من كل جهة ، وتوجهت
إلى ناگور لتذهب من هناك إلى لاهور .

إننا على يقين بأن كمال إخلاصكم لا يسمح إطلاقا ، أن تكونوا قد رضيتكم بأي أمر
من هذه الأمور ، أو تكونوا أنتم البادئ ، بل هناك جماعة سببت الضلالة
وما وصلت إليه الأمور .

لكن قولوا لي : ما هذه الحالة بعد أربعين سنة من الخدمة المخلصة وتلقيكم
كل أنواع الرعاية والعناية ، ووصولكم إلى قمة العزة والدولة ، واشتهاركم بالصدق

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٢٥٢ .

والإخلاص نتيجة إكرام هذه الأسرة الكريمة وإحسانها ، وماذا جرى لكم حتى أردتم البغى فى آخر العمر ، ألا تستحيى من الله ؟
إننا على الرغم من كل هذا نراعى خاطركم ونريد لكم الخير ، ولأن لقاءكم معنا فى دور التأخير والتوقف ، ليس من المصلحة أن نعطيكم ولاية تذهبون إليها ، لأن أرباب الغرض سوف ينقلون إلينا ما يسبب الاستياء وتكدير الخاطر ، فنوافق على التماسكم بالتوجه إلى طواف الحرمين الشريفين ؛ وبعد أن نلتئم هذه السعادة بتوفيق من الله وهدايتة ، وتوجهتم إلينا للخدمة ، فسيتم اللقاء بيننا على أحسن وجه ، ولا نبخل فيما تريدون ، والنظر إلى سوابقكم فى الخدمة ، فسوف نراعى خاطركم أكثر من السابق .
لقد وصلت الأمور إلى هذا الحد باغواء من تلك الجماعة ، التى أساءت لسمعكم بين الناس - الأمر الذى لا نرتضيه - فأخذركم من أن يفويكم أرباب الغرض عن جادة الصواب * (١)

لم تؤثر هذه الرسالة على بيرم خان فبدأت ما هم آنك بتصرف المهام ، وجعلت شهاب خان وخواجه جهان ساعدين لنفسها ، وأخذت تهتم بتفقد جمهور الخلائق والتحبب إليهم . ورأت من المصلحة أن يعين بهاور خان شقيق على قلى خان فى منصب الوكالة الرفيع ، والتست هذا الأمر من أكبر الذى وافق عليه ، نظرا لاقتضا الظرف

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

ودفعوا لتمرّد مرتقب من الأتراك ، الذين كانوا ضد شهاب الدين أحمد خان
و خواجه جهان وأمثالهما . (١)

وفى يوم الثلاثاء الثانى عشر من رجب سنة ٩٦٧ هـ (١٥٦٠ م) ،
غادر بيرم خان دار الخلافة آكره متوجها الى ناگور وعندما وصل إلى
مدينة بيانه أطلق سراح شاه أبوالمعالي ومحمد أمين ديوانه اللذين
كانا مقيدين فى قلعتهما دفعا لعصيانهما ، وبعد الإطلاع على تلك
الأوضاع تقرر أن تتحرك الرايات من دار الملك دهلى (٢) إلى حدود
ناگور حتى لا يستقر فيها بيرم خان ويقطع عليه الطريق إلى پنجاب ،
وغادر موكب أكبر دهلى فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من رجب
ولكنه عاد إلى دهلى فى يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر شعبان
حيث تقرر أن قيادة أكبر المباشرة لتلك المسيرة لا تتناسب وهيبة
الشاهنشاهية ، فأرسل أدهم خان و شرف الدين حسين مرزا
ودبيير محمد خان وجمع كثير ، إلى ناگور لينظروا فى أمر بيرم خان
فإذا كان لا يريد السفر إلى الحجاز ، ويهدف الوصول إلى پنجاب
ليراس التمرّد فعلى هؤلاء أن يقاوموه ويمطوا لإخراجه من

(١) أبوالفضل علامى : أكبرنامه ، ج ٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) اصطلاح فى تلك الفترة على تسمية دهلى بدار الملك ، كما اصطلاح

على تسمية لاهور بدار السلطنة .

«الممالك المحروسة» (١)

ولم يكتف أكبر بتقديم النصائح السابقة الذكر لبيرم خان من خلال الرسائل ، بل وفى هذه المرحلة ، أرسل اليه مير عبد اللطيف فروتنى المعروف بعلمه وإخلاصه ، ليعظه ويؤكد له : أن حقوق خدماته السابقة لهذه الأسرة معروفة للجميع ، وباقتضاء صغر السن وحداثته ، كنا نصرف الأوقات فى التتزه والصييد ، مفوضين جميع مهام السلطنة لحسن كفاءاته ودرايته ، والآن بدأننا مباشر تصريف الأمور ونشر العدل ، فيليق لرجل عاقل مثله -والذى كان دائما يدعى بالإخلاص - أن يعتبر هذا من أنعم الله وأن يشكره كثيرا ، وأن يتوقف لفترة من الزمن عن تولي المهام ، وأن يبادر إلى نيل سعادة الحج والتي كان دائما يتمناها فى الخلوة والملا ، وأن يختار من ولاية هندوستان أية منطقة يختارها ، فنقرر نحن أن يجمع أفراد محاصيلها لحسابه فصلا بعد فصل وسنة بعد سنة . (٢)

لم تغد هذه المحاولات فسirt الأفواج ضده ، وبانتشار خبر مجئ الأفواج فى جند بيرم خان ، انفصل الكثيرون عنه ،

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٢٧ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, p.23.

فبادر بإرسال معروض إلى أكبر أكد فيه كل أنواع المعاذير والاستئذان لزيارة الحرمين الشريفين على الرغم مما يعانیه من ألم الفراق ، وكتب للأمراء الذين رشحوا لمقاومته أن لا يتعبوا أنفسهم؛ فهو قد قطع قلبه من الدنيا ومشاعها ، وأرسل أسباب الرئاسة والإمارة إلى سيده ، فانخدع الأمراء ورجعوا دون القيام بأى عمل ضد بيرم خان . (١)

وطى الرغم من هذا ، كانت هناك اليقظة والترقب ، خوفا من الخداع وقيام الفتنة فى ناحية يصعب إخمادها ، فوصلت الأنباء بتوجه بيرم خان إلى پنجاب ، وأنه قد كشف النقاب عن مخططاته ، فأعلن عصيانه ضد سلطة ما هم آنكه وجماعتها ، وكتب إلى أمراء الحدود : ((أنه كان ينوى التوجه إلى الحجاز ولكن قُبلت سفنّه أقاويل ، وخاصة من قبل ما هم آنكه التى تدعى الاستقلال ، فتنسب إخراجى لنفسها ، ففى مثل هذه الأوضاع عزمّت على معاقبة المسيئين ، ثم الاستئذان من جديد للسفر الميمون إلى الحجاز)) (٢)

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٣١ - ١٣٢ .

وبعد هذه التطورات بادر أكبر من جديد بإرسال رسالة مطولة إلى
بیرم خان ، ويقول أبو الفضل أنه نقل تلك الرسالة في كتابه حرفيا ،
ونحن ننقل هنا ترجمتها كاملة ، نظرا لأهميتها في الإشارة إلى ما كانت عليه
الأوضاع غداة بد * عصر أكبر من جهة ، ولتوضيحها العوامل النفسية
التي أدت إلى استياء أكبر ومقربيه من بیرم خان :

* فليكن في علمك أنك وقد نشأت وتربيت في ظل نعمة هذه الأسرة السامية
وعنايتها وعطفها ، وأن خدماتك الحسنة لهذا البلاط ثابتة ، وأن حضرة البادشاه^(١)
طيب الله ثراه ، قد شاهد صدق نيّتك وإخلاصك فراقك إلى قمة الرعاية والتربية ،
وفوض إليك أمرنا العظيم الأتابكية وبعد أن رحل حضرته من ضيق هذه الدنيا
الغانية إلى رحاب عالم الخلد ، شمرت عن ساعد الجد والإخلاص ؛ فتوليت زمام
الحل والعقد والرتق والفتق ، وتركنا الأمور في قبضة اختيارك إلى الحد الذي
لا يمكن تصوّره أكثر من ذلك ، فممت بعمل ما أردته من حسن وقبح .

لقد ظهرت منك في خلال هذه السنوات الخمس أمور غير لاثقة ، والتي أدت إلى
نفور خاطر الجمهور ؛ فأنت الذي ربّيت ورقيت شيخ كدّائس ، وعلّيت الرّغم من
ادعائك كل هذه العظمة والفهم ، اخترت ذلك الرجل لمصاحبتك من بين كل
هؤلاء الأفاضل المتأهلين وذوي الحسب والنسب ؛ فهو قد تولى منصب
الصدارة^(٢) ، وكان يختم على ظهر المراسيم ، ومع كمال جهله وعدم وعيه ،

(١) يقصد أباه همايون .

(٢) منصب من المناصب المهمة في دولة السلطان أكبر ، وكان متوليه يسمى
بالصدر أو صدر الصدور ، والذي كان كبير العلماء والمتحدث باسمهم ، كما
كان يشرف على معاشاتهم وشؤون الأوقاف .

كنا نقدمه في المحافل على جميع السادات الصحيحى النسب والعلماء الجليلى
الحسب ، والذين كنا نلاحظ عظمة شأنهم ، مقدمين لهم الاحترام والتعظيم ،
وعلى الرغم من ادعاء ذلك الرجل ، المحبة والصداقة لآل البيت الطيبين
الظاهرين ، تراه يعتمد ذلة هذه الطائفة الشريفة وهوانها ، ويرجح عليهم
الذين رباهم وهم المطرودون من القلوب والأبصار ، ووصل به الأمر إلى الحد
الذى كان يأتين راكبا ويصافحني ، وورقي أسفل خداه - المعروفة حالتهم
وأهليتهم - بخطاب الخانية فاستعملهم في المناطق المعصورة وولاهم
الولايات الخصبة ؛ في حين أصبح خوانين حضرة جهان باني (١) وأمرأؤه
ومقربوه ، والذين لا تخفى أصالتهم وحالتهم واستحقاقهم على أحد ، يحتاجون
إلى لقمة العيش ، بل كان يصد دهم وعرضهم ، وكان لا يريد للملازمين
والخدام الباكريين الذين كانوا يستحقون كل الرعاية والعناية بسبب خدماتهم
في سنوات طوال ، أن يكون لهم أقل درجة من وجوه العيش ، وفي كل يوم كان
يقوم بقول الأكاذيب للقضاة على المقربين .

ولو قام خداه بارتكاب مئات الجرائم ، من أمثال : القتل والسرقة وقطع
الطريق والنهب وأنواع الفسق والفجور ، لعفا عنهم ، وبالعكس لو ظهر من
ملازمي البلاط أقل شيء أو افترى ضدهم أحد ، وجدته لا يتأخر في قتلهم
وحبسهم ونهبهم وإذائهم بأنواع من الظلم والهوان والإهانة .
إن البعض قد وضعوا أنفسهم بدانة ، تحت تصرفه ، فكانوا يجاملونه ويتلقونهم

(١) يقصد أباه همايون / أى باني العالم .

مثل شاه قلى نارنجى و محمد طاهر و لنك ساريان ، وكان
من السذاجة بحيث كان يصدق أقوال هذه الفئة ويقوهم ؛ وظهرت من شاه -
قلى أمور غير لائقة فلم يصغ للأوامر ؛ ورد محمد طاهر باللهجة التى
كانت تستوجب قطع لسانه ، بىل وقتله ، فسمعه وتجاهل ؛ وصدر من
لنك ساريان وأمام جماعة ، كلام غير لائق كان يوجب عقابه أيضا .
وانكم تعرفون ولى بيگ ولقد رجحه على الأمراء العظام لأنه صهره ،
دون أن ينظر إلى سابق خدماته وإلى أصالته وأهليته ، وقدمه حتى على
سيد قلى مرزا الممتاز بعلو السعادة وانتساب السلطنة ، وقدم حسين -
قلى الذى لم يشتبك إلى الآن مع عصفور ، واستعمله فى مناطق معمورة ، ففى
حين فوج الخوانين العظام باستعمالهم فى مناطق قاحلة .
لقد ظهرت منك فى أكثر المجالس أمور ، كدرت خاطرننا ، ولأنك كنت عزيزا
لدينا وكنا نعتبرك مواليا صادقا لهذه الأسرة ، ونثق فى كل قولك وعطك
تمام الوثوق ، فكنا نغض العين عن كل هذه الانحرافات ونعتبرها من حسن
النية ؛ إلى أن عرض علينا فى الآونة الأخيرة ، بأنك تستمع لتلك الفئة الباغية
وتريد أن تفصل عني المعدودين الذين بقوا معى حتى الآن لتتركنى منعزلا ؛
ولدفع هذا الشر ، غادرت دار الخلافة آكره متوجها إلى دار الطك دهلى
فكتبت لك بأن مسائل قد ظهرت وأن أقاويل قد نقلت ، فلا يهدأ خاطرننا
أن تلازمنا فى هذه الفترة ، وعلى الرغم من أننا قد رأينا منك أذى كثيرا
نعتبرك إلى الآن خان خانان ونخاطبك به ؛ ولتسكين خاطرنا حلفنا لك
أحلافا غلاظا بأننا لا ندبر شيئا ضد حياتك ومالك وعرضك .

لأنك ربيب هذه الأسره العظيمة الشأن ، وطاعة حكمنا عليك واجب .

لذلك ولإتمام الحجه أمرنا أن تترك هذه الأفعال القبيحة ، وتقيد تلك الجماعة السيئة المعاقبة والتي تسببت في نقص دولتك وعزتك ، والتي تبحث عن أغراضها وتدبر للبغى والعدوان ، وترسلهم إلينا .

إننا في خلال هذه السنوات الخمس راعينا خاطرك ولم نناقشك في أمر ، ولم نرد لك طلبا معقولا كان أم غير معقول ، فعليك أيضا أن تنقاد لحكمنا هذا سمعا وطاعة ، دون القيام بالمخالفة ، وفي هذه الحالة سوف نصفى خاطرتنا لك ، ونعفو عن جرائمك وتقصيراتك كليه ، وكلما أردت ملازمتنا واقتضت الظروف ذلك ، طلبناك ، وحتى الآن أيضا نراعى ونلاحظ خدماتك على الرغم من أنك تلقيت مقابل هذه الخدمات ألف مرة من العناية .

وإننا لا نريد لك أن تشتهر بالبغى والعناد والإفساد ، في حين كان المعروف عنك في جميع الأمصار والبلاد ، الإخلاص والولاء ، فلا يليق بك أن تدخل في آخر العمر في زمرة الأشقياء .

وبالنظر إلى حقوق الخدمة نبهناك ، فحذار أن تتخيل شيئا آخر ، ولتكن على يقين أنك لو انحرفت عن الطريق جهالة وقصر نظر ، واستسلمت للنخوة والهوى ، والتحقت إلى الأشقياء ، فسوف تتوجه لدفعك بالعساكر المنصورة ، وبالعناية الإلهية وسوف نجعل أيامك دمارا ، ونرجو أن نفوز بفتح عظيم ، ونحن في عنفوان إقبال خلافتنا وبداية إدارك ، فتصبح مقبوض عساكرنا ويقبض عليك .

إنه لأننا بدأنا نسك مهام الحكم ونباشرها ، فلتبق أنت على حالتك ، فإذا كانت لديك دواوى ، تستطيع عرضها ، فإننا نحكم فيها بما نراه مناسبا ، وأنست كنت تتمنى أحيانا مباشرة لمهام السلطنة ، ولذا فإن التصور هو أنك تسر من سماع هذا النبأ وتثبت فى مقام التسليم والرضا ، ولكنه عرض علينا أنك غارق فى طلب هذه الأمور بحيث تناسيت كلية حقوق النعمة والتربية لأسرتنا السامية التى تعيش فى كنفها منذ أربعين سنة ، والتى ربتك من المهد إلى العهد .

إنه ما عرض علينا أيضا أنك تستمع إلى تلك الفئة المفسدة التى تدعو للفتنة وتريد بسبب أغراضها وهواها ، إدخالك وابتلاك بالشقاوة الأبدية وهم قد حسنوا لك هواهم بشيطانياتهم وخساستهم وأنانيتهم ، وجعلوك تكتب ابن اسكندر (١) لتدعوه إلى المخالفة والمنازعة ، وترسل إلى تارخان پنج بهية من يدعوه للمجئ إلى سفح الجبل ، ليقسوم بأعمال النهب والتخريب متقدما من تلك الحدود ، وعزمت أنت للذهاب إلى لاهور لتثير فى تلك النواحي الفتنة والفساد ، وقت فى أطراف الممالك المحروسة ، بأعمال التشويش بقصد إطفاء نور مصباح هذه الأسرة المنور بالنور الأزلئ بنفخ بارد ، وعميت بصيرتك بحجاب الفرور والهوى ، ولم تعرف أن الذى ينفخ قاصدا إطفاء المصباح الذى نوره الله ، فانه لا يتحصل إلا على حرق لحيته .

إنه بالنظر إلى ما كان من الإخلاص والولاء المبيئين فى صفحة أحوالك وجبين أعمالك كان ولا يزال يستبعد منك ظهور تلك الأمور العينية على الشرور

(١) من الأفغان المخالفين لسلطة المغل فى الهند .

وحذار أن يبادر إلى ذهرك بأننا فاقدى السلطة والدولة ، بدليل أنك فى خلال هذه السنوات الخمس ، كونت لك أنصارا يساعدونك فى يوم الحادثة ، ومن قصر النظر والجهالة لم تكن تعلم أن الدولة فائزة بالعناية الإلهية وبدونها لا يفيد الأنصار والخدام ، وكما تشاهد برأى العين ، فإن الذين كنت تخاطبهم ابنا وأخا ، ولم تكن تتصور انفضالهم عنك ، سلكوا طريق السعادة وانفصل عنك أغلبهم ، والذين بقوا معك حتى الآن ، سوف يتوجهون إلى البلاط العالى ، واحدا بعد الآخر ، إلى أن تبقى وحيدا .

وفى هذا المقام لا يفيد إلا التسليم والرضا)) (١)

وهكذا جاء خطاب أكبر هذا خير توضيح لجانب كبير من الحالة غداة بد ' عصر أكبر ، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل وحدث ما كان يخشى حدوثه ، حيث رفع بيرم خان ظم المخالفة وتوجه إلى پنجاب ولكنه لم يلق ما كان ينتظره من الكثيرين الذين أوصلهم إلى مناصب عالية ، فأصبح متحيرا ، فى حين أمرا أكبر عددا من الأمراء أن يسيروا الأفواج لتعقبه ، واستطاعت هذه القوات أن تسد الطرق على بيرم خان الذى اضطر إلى دخول المعركة فانهزم ولجأ إلى جبل سواك تاركا الأسرى وغنائم كبيرة لقوات أكبر ، وتحركت هذه القوات لتعقب بيرم خان فى ملجئه ، ولكنه ندم على ما حدث فأرسل واحدا من خدامه إلى أكبر ، طالبا العفو متعللا بأن الذى حدث لم يكن باختياره هو ، فلما تذكر أكبر خدماته السابقة ، طلبه معززا وأرسل الأمراء

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٣٣ - ١٣٧ .

والخوانين لاستقباله ، فاستقبله أكبر وكرمه بالخلع والمكرات الملكية^(١) ثم عرض عليه أن يختار أمرا من ثلاث :

أ - إذا أثار أن يبقى في القصر فإنه يسمح له بذلك وسيعامل بكل إعزاز وإكرام باعتباره صاحب فضل على البيت المالك .

ب - وإذا أثار أن يحيا حياة دينية فستقدم له كل المنح والمساعدات التي تمكنه من الحج إلى مكة المكرمة

ج - وإذا أثار أن يظل في الخدمة فسيعين واليا على إقليم من الأقاليم السلطانية .

فأجاب بيرم خان بأنه ما دام قد فقد ثقة مولاه مرة ، فإنه لا يستطيع أن يستمر بعد ذلك في خدمته للدولة^(٢) ، فاستأذن للذهاب إلى الحرمين الشريفين فأذن له بذلك بعد يومين ، ولكنه في الطريق إلى الحجاز اغتيل في بلدة بيتن التابعة لكجرات ، من قبل مبارك خان أفغان الذي كان قد قتل أبوه في إحدى المعارك بواسطة المنفل ، فقتل بيرم خان بضرب الخنجر ثارا لأبيه وكان ذلك في أوائل سنة ٩٦٨ هـ / ١٥٦١ م .

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول الإسلامية

في الهند ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٣ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P.34.

لقد فرح منافسو بيرم خان بإقصائه عن الحكم ، وبدأت مرضعة السلطان ماهم آنكه بتصريف مهام الدولة ، فجعلت شهاب خان و خواجه جهان مساعدين لها ، وأخذت تهتم بتفقد جمهور الخلائق والتحبب اليهم ، ورأت من المصلحة أن يعين بهادر خان شقيق عتيق خان في منصب الوكالة الرفيع ، فالتفت هذا الأمر من أكبر الذى قبل ذلك العرض نظراً لاقتضاء الظروف ، ودفعاً لتمرّد مرتقب من الأتراك ، من أمثال قياخان كنك و سلطان حسين جلاير و محمد أمين ديوانه الذين كانوا يدبرون ضد شهاب الدين أحمد خان وخواجه جهان وأمثالهما . (١)

وهكذا يبدو أن أكبر لم يتول أمور الحكم مباشرة بعد إقصاء بيرم خان من الساحة ، بل كانت المهام تدار بواسطة بعض نساء القصر ذوات النفوذ ، وبعض رجال البلاط وعلى رأس الجميع ماهم آنكه ، مرضعة أكبر (٢) وكانت هذه السيدة موضع ثقة أكبر ومشورته في شؤون الدولة والحكم ، حتى كان لا يبرم في الغالب أمراً دون رأيها ، فأخذت ماهم آنكه تعهد بمناصب الدولة إلى أتباعها وفق هواها وتعمل لرفعة مقام ابنها أدهم خان ، ولكن أكبر لم يبعد بيرم خان ليقع العويصة في أيدي الآخرين ، مهما كانت مكانتهم المعنوية عنده عالية ، فأخذ يراقب

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) عبد العزيز سليمان نيسابوري : الشعوب الإسلامية ، ص ٥١٦ .

أحمد محمود السباداتي : تاريخ الدولة الإسلامية بآسيا وحضارتها ، ص ٨٤ ، جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند ، ص ٨٧ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P.36.

سلوك مرضعته وعصابتها بعين اليقظة والحذر .

حدث أن أكبر بعث أدهم خان^١ ومعه پير محمد شيروانى لفتح مالوه ، فاستطاع أن يحرز نصرا كبيرا على باز بهادر نائب شير شاه السابق على مالوه ، وأغره هذا النصر فاستحوذ على غنائم المعركة وأخذ يوزعها بسخا^٢ ليستزيد من الأتباع ، واستبقى لنفسه بعد هذا الرايات السلطانية وشعار الطك والنصيب الأكبر من الأموال التى كان يجب عليه أن يرسلها إلى السلطان . كان أكبر يراقب الأوضاع ، ودفعته الريبة فى سلوك قائده هذا إلى أن يفاجئه بالذهاب إلى مالوه حتى يطلع بنفسه على مجريات الأمور وعلى ما استحوذ عليه قائده هذا من أسلاب ضخمة ، ولم يترك أدهم خان ، عند ذلك ، إلا أن يدعى بأنه كان فى سبيل إرسالها إلى العاصمة "أكوه" ، وعلى إثر هذا الحادث استدعى "أدهم خان" إلى "أكوه" وعزل عن حكم مالوه وأمر بملازمة القصره (١)

ثم رأى أكبر أن يتخذ لنفسه وزيرا يساعده فى تصريف المهام والمسؤوليات ، فاختار لهذا الغرض واحدا من رجال أبيه الأكفأ المخلصين وهو شمس الدين محمد أتك ، فرأت عصابة "ماهم أتك" فى هذا الاجراء ما يجد من نفوذها ، ما دفع أدهم خان أن يثب عليه وأن يقتله فى البلاط وهو يؤدى فريضة الصلاة .

(١) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ٨٣ جمال الدين البشبال : تاريخ دولة أبا طرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ٨٨ ، احسان حقيقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٥ .

لم يكن لأدهم خان نظير في التقرب ، ولكن أغره الشباب والجاه والمال وياغوا* من شهاب الدين أحمد خان و خان خانان منعم خان وعدد آخر ، قتل وكيل السلطنة خان أعظم في الديوان ، وكان غروره ونخوته وإعتماده على عناية أكبر له ، إلى الحد الذي جعله يقف في باب القصر بعد قتله وكيل السلطنة ، ولكن أكبر كان صارما في عقابه فخرج من داخل القصر والسيف في يده ، وأسرع في ربط يديه ورجليه ثم رماه من السطح فقتل ، وكان وقوع هذا الحادث في صباح يوم الاثنين الثاني عشر من رمضان سنة ٩٧٠ هـ (١٥٦٢ م) واختفى الذين كان لهم ضلع في الحادث ، ثم بالغ أكبر في ترضية مرضته ما هم أنك أم أدهم خان وأبناء خان أعظم المقتول ، ولكن ما هم أنك مرضت من الحزن على ابنها وتوفيت بعد أربعين يوما . (١)

هكذا تبدت شخصية أكبر القوية الصارمة ، حيث يعترف بالجميل لمن له حق عليه ، وفي نفس الوقت لا يفرط في شؤون الحكم حتى بالنسبة لأقرب المقربين إليه ، وهكذا وضع حدا لتصرفات الحاشية ورجال القصر ونسائه ، مباشرة تصريف مهام الدولة . (٢)

-
- (١) نظام الدين أحمد الهيروي : طبقات أكبر ، ص ٢٥٧ .
أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨٤ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبطاطرة المغول الإسلامية بالهند ، ص ٨٨-٨٩ .
(٢) مؤلف مجهول : تاريخ هندوستان ، ق ٢٣٢ أ - ق ٢٣٢ ب .
وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤٠٤ .
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٣ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٤٥ .

لم يكن رجال القصر ونسائه يحاولون بسط نفوذهم والتأثير على أكبر
فحسب ، بل كان هناك من بنى أعمامه من لا يريد بسط سيطرته على الدولة
فحسب ، بل كانوا يرون أنفسهم أحق من أكبر في تولي أمور الدولة ، ولم
يردعهم في ذلك ما حدث لتيريم خان وما أصاب الحاشية .

(١١)
يأتى فى مقدمة هؤلاء مرزا سليمان حاكم بدخشان الذى تمركز
لتحقيق ما يريد ، فور أن سمع نبأ وفاة همايون بادشاه ، حيث حرضته زوجته
حرم بيگم التى كانت سيطرة عليه وعلى تسيير مهامه المالية والمدنية ، فأعلن
العصيان مستغلا الأوضاع التى أعقبت وفاة همايون وصفر سن السلطان
وادعى أحقيته فى السلطنة .

حدث أن حرم بيگم تظاهرت بالغضب على زوجها وابنه إبراهيم
فجاءت إلى كابل ، وفى الواقع كانت مهمتها التعرف على أحوال كابل
وكيفية الاستيلاء عليها ، وبعد فترة تظاهر المرزا بالندم وأرسل فى طلبها
وعندما رجعت ، سهلت عليه الاستيلاء على كابل .

أدرك منعم خان حاكم كابل نوايا مرزا سليمان وزوجته
فعمل على تحصين وتصليح قلعة كابل وأبراجها ، وطلب من السلطان
قوات جديدة لتقابل الكثرة العددية من قوات مرزا سليمان ، وكانت أمور
كابل و غزني ، قد فوضت إلى منعم خان بعد أن توجه همايون
إلى هندوستان .

(١) كان ذلك فى سنة ٩٦٣ / ١٥٥٦

كان مرزا سليمان بن خان مرزا بن سلطان مرزا سلطان أبو سعيد كوركان ،
واليا على بدخشان من قبل همايون ، ولم يكن في سلسلة التيموريين
من هو أكبر سناً منه ، فلما اطلع على نبأ وفاة همايون رأى أن تكون سكة
كابيل وخطبتها باسمه ، فتوجه إلى كابيل بمرافقة ابنه — مرزا
إبراهيم — ومعهما عشرة آلاف من الجنود وأفراد القبيلة والحشم الموجودين
في بدخشان وذلك في سنة ٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م ، ولم يكن أحد من أخوات
همايون وأبنائه وأزواجه وأزواج الأمراء قد توجه إلى الهند ، بل كان
الجميع في التعزية وفي غفلة ما يدبره لهم مرزا سليمان ، وفي
البداية خطر لهم أنه قد جاء للتعزية ولكن ثبت أخيراً أنه كان يتخيل
شيئاً آخر ، وعلى الرغم من عدم وجود الذخيرة والمهذبة في قلعة كابيل
قاومه منعم خان بحوالي مائة وخمسين من الجنود ، كما قاوم الحصار الذي
ضربه عليه مرزا سليمان وأرسل شرحاً لهذه الحادثة إلى السلطان .
كان أكبر قد أرسل جمعاً من كبار الأمراء إلى كابيل لإحضار
الأميرات ، وحين وصل نبأ قضية مرزا سليمان ، صدرت الأوامر إلى هؤلاء
الأمراء أن يستعجلوا بالذهاب إلى كابيل واستخلاصها من حصار حاكم
بدخشان ، وبوصول هذه الجماعات إلى كابيل قويت معنويات المحاصرين ،
وضعت روح المهاجمين ، حيث أشيعت أن قوات جديدة من الهند على وشك
الوصول إلى كابيل ، فرأى مرزا سليمان أن الأمر لا يؤول إليه بالحرب
فأرسل قاضي خان بدخشي الذي كان من كبار أمراءه ، طالباً من منعم خان

أن يذكر اسمه في الخطبة ، وإذا قبل هذا العرض فهو راض بالعودة ، فقبل
 نعم خان هذا العرض نظرا لطول مدة الحصار على أن يذكر اسمه مرة
 واحدة في ذيل ألقاب أكبر ، ورجل مرزا سليمان عائدا إلى
 بدخشان ، ولكنه كرر هذه المحاولات الفاشلة عدة مرات ، حتى وقعت ولايته
 تحت سيطرة حفيده واضطراً أن يلجأ إلى " أكبر " الذي رحب به واستقبله
 استقبالا حافلا وحرارا اشتركت فيه كبار رجال الدولة . (١)

كذلك كان محمد حكيم مرزا ، الأخ الأصغر لأكبر والذي أسندت
 إليه ولاية كابل ، مصدرا لإثارة القلق والمشاكل ، فقد أعلن هو الآخر
 استقلاله بكابل ، أرض الرجعة لسلطين المسلمين بالهند وطريق الإمدادات
 اليهم ، والتي كانت تأتيهم من بلاد ماوراء النهر ، ولم يكتف محمد حكيم مرزا
 بهذا فحسب ، بل طمع في أرض الهند نفسها وتطلع إلى الجلوس على عرشها
 مستغلا في ذلك مشاكل أكبر الداخلية ، ولقد تقدم في هذا السبيل ، إلى
 پنجاب ، ولكن أكبر أسرع إليه وتعبه إلى كابل وكان أن يلجأ
 محمد حكيم مرزا إلى دولة الأوزبكية في الشمال ولكن أكبر عفا عنه
 وأعادته إلى ولاية كابل من جديد . (٢)

-
- (١) بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ١٩٦ - ٢١١ .
 نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .
 أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٢٧ - ٢٩ .
 إحسان حقص : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٥ .
 (٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .
 أحمد الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

في الوقت الذي توجه أكبر إلى پنجاب لدفع ترمذ أخيه
 محمد حكيم مرزا وذلك في سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٦ م) أصبح أبنا محمد
 سلطان مرزا وأحفاده مصدرا لاثارة الفتنة ، ونسب محمد سلطان مرزا هذا
 من أبيه يصل إلى الأمير تيمورگوركان ، ولقد قتل ابنه ألغ مرزا
 في كابل وبقي له ولدان وهما سكندر سلطان و محمود سلطان
 ولقد سمي همايون بادشاه الولد الاول باسم ألغ مرزا والثاني أسماه
 شاه مرزا ، واهتم بتربيتهما ، وجاء محمد سلطان مرزا إلى الهند مرة
 أخرى أثناء جلوس أكبر شاه مع سائر أحفاده ، ورزق في شيخوخته
 أربعة أبنا في بلدة آدم پور ، من توابع سنبل التي كانت قد
 أقطعت له ليعيش منها وهم : محمد حسين مرزا ، ابراهيم مرزا ، سعود
 حسين مرزا ، عاقل مرزا ، ورياهم البادشاه وأصبحوا من الأمراء ، وعندما
 توجه البادشاه لدفع محمد حكيم مرزا أعلنوا العصيان باتفاق مع بعض
 أعمامهم : سكندر سلطان و محمود سلطان ، ولكن إقطاعي تلك النواحي
 هزمهم فهربوا إلى مالوه حيث وجدوها خالية من قائد يثبت وجوده
 فاستولوا عليها .

وفي سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧ م) توجه أكبر إلى قلعة كاكرون
 الواقعة على حدود مالوه ولما سمع المرزوات (١) عن مجيء البادشاه ، أصبحوا

(١) مرزا : لقد سمي أبنا الأمير تيمور بأمر زاده ومعناه : ابن الأمير ،
 وهذه الكلمة كانت أعلى مرتبة من كلمة شهزاده ومعناها ابن الملك ،
 وحذفت من أمير زاده الهمزة والدا لوالها وأصبحت ميرزا ، ومن كثرة
 الهمزة

في اضطراب وقلق ، وكان قد توفي قبل هذا بقريب ألف مرزا فأسرع ببقية
المرزاوات بالهروب إلى كجرات فولى البادشاه على مالوه شهاب الدين
أحمد خان نيشابوري (١) ، ولقد استمر هؤلاء المرزاوات في عصيانهم إلى أن
قضى عليهم بعد فتح كجرات كما سنرى في الفصل المقبل .

ومن أخطر المخاطر التي واجهها أكبر في بدايات حكمه كانت ثورة
الأزايكة (٢) ، وكان الأزايكة من أنصار التيموريين حتى انشقوا عنهم في عهد
أميرهم شياني خان ، ولقد حدثت بين الفريقين معارك كثيرة ، قبل أن
يدخلوا الهند ، ثم عاد الأزايكة يعطون عند التيموريين ، ولكنهم لم يكونوا
يرون لأكبر ولا لأبيية من الحق بالملك أكثر مما لهم ، بل كانوا يرون
أنفسهم أولى بهذا الملك من التيموريين ، لأنه قام على سواعدهم وبسيوفهم ،
فكانوا يذكرون على أكبر بهذا الفضل ولا يأبهون له كثيرا . (٣)

كانت بداية المجاهدة مع عبدالله خان أزيك حاكم مالوه في
سنة (٩٢١ هـ / ١٥٦٣ م) ، ولقد حصل على فيلة كثيرة ولم يرسل منها
إلى البادشاه ، فتوجه أكبر إليه بنفسه في موسم الأمطار (٤) ، واشتبكت

الاستعمال حذفت الياء أيضا وأصبحت مرزا ، وكان يطلق هذا اللقب على
كبار الأمراء التيموريين ، كما قلدهم في ذلك الصفويون فكانوا يلقبون
أولادهم بمرزا ، كما كان في الهند ، تضاف إلى أسماء جميع المغل كلمة
مرزا (عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٨) .

- (١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .
- (٢) نسبة إلى أزيك خان بن طغرل خان ابن توقتاش خان ابن جوجي خان ابن
چنگيز خان .
- (٣) احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٥ — ١٤٦ .
- (٤) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

معه مقدمة قوات أكبر ولكنه آثر الهروب إلى كجرات على الرغم من انتصاره الأولى على تلك القوات .

بعد قضية عبدالله خان أريك شاع على الألسن أن الياد شاه غاضب على أمراء الأريك ، ويريد أن يستأصلهم جميعا ، فتمرد سكندر خان - أريك و إبراهيم خان أريك وغيرهما من الذين كانت لهم إقطاعات في بهار و جونپور ، وانضم اليهم على قلى خان ، (١) وعلى الرغم من أن أم على قلى خان كانت أصفهانية وأن على هذا وأخاه بهادر خان كانا من مواليد العراق ، إلا أن أجدادهما من الأريك ، فانضما في سلك الأريك وأصبحا زعيمين لعصيانهم ، وجمعوا حولهما حوالي ثلاثين ألف فارس ماهر ، ورفعوا علم المخالفة دفعة واحدة ، وتصرفوا في الممالك التي استطاعوا الاستيلاء عليها ، منتهزين فرصة زهاب أكبر لا خضاع ثورة البنجاب وهجوم أخيه محمد حكيم مرزا . (٢)

لم ينس أكبر استخدام الطرق الدبلوماسية في ضرب خصومه ، إذ كان المتمرد على قلى خان تربطه علاقات متينة مع سليمان افغان حاكم

(١) وهو شيعي ومن القواد الذين أبلوا بلا حسنا مع همايون في توطيد ملكه ، ثم اشترك في قتال هيمو وكان له الفضل في هزيمته في أول عهد أكبر الذي لقبه بلقب "خان زمان" ورفاه وولاه على جونپور ونواحها ، ثم دب الخلاف بينه وبين أكبر مما أدى إلى قتاله وقلته سنة ٩٧٤ هـ (عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ، ص ٢٠٣) .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ، ص ٢٠٢ .

بنكاه ، فرأى أن يرسل مبعوثا إليه ليمتعه من مساعدة على قلى خان ،
وفى نفس الوقت أرسل حسين خان خزانجى و مهاپاتر الذى كان مشهورا
فى فن الموسيقى الهندية ، فى مهمة إلى راجة أوريسة فى أقصى ولايته
بنكاه ، الذى كان صاحب النفوذ الكامل فى هذه النواحي ، ولقد أمر هذان
المبعوثان أن يعدانه بالألطف الملكية ، وأن يطلبوا منه مراقبة سليمان
أفغان ، فإذا رآه يقوم بإمداد على قلىخان ، يقوم هو بخلق المشاكل والعقبات
أمامه ، بحيث لا يستطيع أن يتخيل مساعدة على قلى خان ، فمكث
المبعوثان عنده حوالى أربعة أشهر متتبعين بالإعزاز والإكرام من قبله ، ثم
أرسل معهما عددا من الفيلة المشهورة مع سائر التحف والهدايا النفيسة
إلى أكبر پادشاه . (١)

وهكذا يتضح لنا أن أكبر كان على معرفة تامة بالقوى المؤثرة
فى نواحي الهند المختلفة ، فكان يعمل لجر هذه القوى فى صفه أو
تحيدها على الأقل ، مستخدما فى ذلك إرسال المبعوثين وتقديم الوعود ،
ولقد جرت قبل هذا بين جنود أكبر وبين قوات خان زمان معارك
كثيرة كان يطلب الصلح خلالها كلما ضعف ، فيصالحه أكبر ويعفو عنه ،
ثم كان يعود إلى ما كان فيه ، ولكن فى هذه المرة كانت الاستعدادات لمعركة
حاسمة ، أعد لها أكبر عسكريا وسياسيا ، وكان العنصر المباغتة فيها
الأثر الحاسم ، حيث جمع أكبر جنده وسار بهم إلى خان زمان بسرعة ،

(١) نظام الدين أحمد الهيروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٦٧ .

فى موسم الأمطار ، والسيول وفيضان الأنهار ، حتى وصل إلى شاطئ كُنْكَ ، وكان خان زمان على الشاطئ الآخر غارقا فى بحار الأمن ، مطمئنا إلى أن أكبر لا يستطيع أن يصل إليه فى مثل هذه الأيام ، ولكن أكبر كانت له همة تتغلب على كل ما أمامه من صعاب ؛ فعندما وصل إلى الشاطئ لم يجد سفنا تنقله إلى الشاطئ الآخر ، ألقى بغيله إلى النهر وهو يركبه والأمرأ والقواد يعارضونه فى هذه المجازفة الخطيرة ، ولكنه لم يبال بالمعارضة ولا بالخطر ، وأخذ عددا قليلا من الجند فعبروا النهر ليلا ، وما أن أصبح الصباح وأشرقت الشمس حتى كانت طبول الحرب تدق على أبواب كُره مانك پور التى كان خان زمان يتحصن فيها ، فذهل هو وجنده من هذه المفاجأة وفقد السيطرة على الموقف ، وهاجمه أكبر بجنده القليلين ، فقتل خان زمان وتفرق جنده واستولى على البلدة فى سنة ٩٧٤ / ١٥٦٢م .

لقد استمر تمرد الأخوين على قلى خان و بهادرخان من بداية السنة الثالثة (١) للجلوس وحتى السنة الحادية عشرة ، وفى أوائل السنة الثانية عشرة قضى نهائيا على تمردهما .

وجدير بالذكر أن معارك السلطان مع هؤلاء القادة لم تكن معارك بسيطة أو مناوشات ، بل كانت معارك ذات شأن كبير ، إذ بلغ عدد الفيلة التى اشتركت فى المعركة الأخيرة نحو ألفى فيل .

(١) (٩٦٥ - ٩٧٤ هـ / ١٥٥٧ - ١٥٦٦ م) .

بعد هذه الضربة القاصمة استقامت الأمور لأكبر ، وعرف الكبير والصغير ما ينطوى عليه هذا الشاب من حزم وعزم ، وأنه لا يفرط فيما يهدد بقا دولته ، ويسخر في هذا السبيل كل ما أوتى من امكانيات ومن مهارات وشجاعة . (١)

هكذا واجه أكبر عندما استقل بالأمر مشكلات عديدة ، فقد كان صغير السن مما جعل القواد والحكام يستخفون به ، ويحاولون الخروج عليه والاستقلال بأمورهم ، ولكن أكبر كان برغم صغر سنه شجاعا مقداما سريع البت في الأمور ، يعتمد على عنصر المفاجأة والاقدام في حروبه لأعدائه فكان يلاحقهم واحدا بعد الآخر حتى قضى عليهم ، (٢) ولقد كانت المحسن التي قاساها أبوه همايون وجده بابر من قبل ، خير مدرسة لأكبر تلقى فيها علومه السياسية والإدارية وتعلم منها كيف تكون معاملة الرجال وكيف تبني المعروش . (٣)

كذلك كان لعدم تماسك خصومه مع بعضهم ومخاربه المخالفين بعضهم البعض تأثيره في انتصارات أكبر وتثبيت أقدام دولته ، فعلى سبيل المثال ، كان صدر خان بن محمد خان أحد زعماء الأفغان ، قد لقب نفسه

-
- (١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٢ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .
أحمد الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨٤ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول الإسلامية في الهند ، ص ٨٨ .
(٢) عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٢ .
(٣) إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٤ .

بجلال الدين وادعى العظمة ، وعزم على الأخذ بثأر أبيه الذى قتله مبارزخان فى أثناء المعركة ، فحارب صدر خان هذا الأخير وانتصر عليه وقتله (١) ، ففى حين كان سكندر سور المتحصن فى قلعة مانكوت يأمل مهاجمة مبارزخان على دهلوى لتخفيف الضغط عليه ولتمكينه من الاستمرار فى التمرد كما ذكرناه فى حينه . " هذه هى الدولة العظمى ، وهذه هى العناية الكبرى ، ان ترى أولياء الدولة يقومون بقمع المخالفين ، وترى المخالفين أيضا يحاربون بعضهم البعض ، ويشاركون بذلك فى تدعيم هذه الدولة الخالدة " (٢)

وهكذا استطاع " جلال الدين محمد أكبر شاه غازى " أن يمكن لدولته الناشئة ثم يبدأ فى توسيع رقعتها كما سنرى فيما هوأت . ومن هذا العرض يتضح لنا التكوين التاريخى للدولة غداة بدء عصر أكبر ، فقد تكونت مملكته سنة (٩٦٩هـ / ١٥٦١م) من : البنجاب ، وبلتان ، وحوض الكنك ، وجمنا بين پانى پست وإله آباد والاقليم الواقع بين كمتى وسفوح الهماليا ، وكوالپار فى الهند الوسطى و أجمير فى راجپوتانا وكان الإقليم الذى حول كابل فى حوزة أخيه غير الشقيق محمد حكيم مرزا وكانت قندهار تابعة لإيران ، أما خارج أملاكه فقد كانت الدولتان الإسلاميتان كجرات و خانديس والسلطنات الإسلامية الدكنية الخمس : بيجاپور ،

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

وأحمد نكر و گلگنده و برار و بيدر .

وكانت كشمير مستقلة و راجيوتانا و گجند وانا تحت حكم زعمائها المستقلين
من الراجوات ، أما بهار و بنگاله فكانتا تعترفان بحكم
أمير أفغانى هو سليمان كراتى .

ومن ناحية أخرى فقد تمكن البرتغاليون من التمكين لأنفسهم
فى مراكز مهمة من الناحية الحربية على طول الساحل الغربى ،
واستولوا على بعض موانئه الهامة ، وخاصة كوه وديو (١) .

-
- (١) بيفردج وكولن ديفز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .
جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ص ٤٦٣ .
ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ٨١ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،
ج ٢ ، ص ٧٦ - ٧٧ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

الفصل الثاني

تأمين أبواب الهند وغز والد كن

الفصل الثاني

تأمين أبواب الهند وغزو الدكن

- مالوه

- قلاع الراجپوت

- گجرات

- بنگالہ

- کابل

- کشمیر

- السند

- بلوچستان

- الدکن

بعد أن استطاع أكبر أن يقضى على خصومه واحدا بعد الآخر ، وبعد أن مكن لدولته الناشئة - كما رأينا فى الفصل السابق - توجه إلى التوسع والفتح ، وسبق أن ضم ولاية مالوه (١) إلى مملكته فى سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) وكانت هذه الولاية فى زمن شيرخان (٢) لأحد خواصه المسمى شجاع خان وبعد أن توفى الأخير ، صارت الولاية لابنه بازبهادر ، وأثناء حكم الأخير على مالوه جاءت التقارير إلى أكبر تفيد بأن بازبهادر يقضى أوقاته فى اللهو ، وامتدت يد الظلم والاستبداد إلى الفقراء والمستضعفين ، فاغتنمت هذه الفرصة لضم مالوه إلى دولة أكبر ، وأرسلت الأفواج مع عدد كبير من كبار القادة لتسخير تلك الولاية ، ولما وصلوا على بعد عشر كروها من سارنكپور التى تقع فى وسط البلاد ، استيقظ بازبهادر من نوم الغفلة فجاء إلى مقرية كروهين (٣) من سارنكپور ، حيث أقام القطعة هناك . ولقد أرسلت طلائع الأفواج للاطلاع على أوضاع القطعة وليجبروا بازبهادر إلى الخروج منها ، فوصلت

(١) مالوه : هى بلاد واسعة وولاية عامرة وفسيحة ، وكان فيها دائما حكام عظام ، كما كان فيها كبار الراجوات والرايات ((رايمان)) مثل : راجه بكه باجيت الذى يرجع تاريخ الهند إلى بدايته ظهور سلطنته ، وقد ظهر الإسلام فيها منذ عصر السلطان محمود الغزنوى .

(سبجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨) .

(٢) هو شيرخان أفغان المعروف بشيرشاه سورى الذى طرد همايون من الهند .

(٣) كروه : تقدر بأربعة آلاف ذراع .

هذه الوحدات إلى أطراف القلعة . ولقد استعد بازبهاد للحرب ولكن أمراء الأفغان الذين لم يكونوا راضين عنه اختاروا الهروب وتركوه وحيداً ، فهرب هو الآخر أيضاً ، تاركا الفنائم الكثيرة وراءه . وكتب أدهم خان قائد الحملة عن وقائع الفتح إلى أكبر ثم اقتضت مصلحة الملك أن يتوجه أكبر بنفسه إلى مالوه ففادرا كره ، متوجهاً إلى مالوه في الواحد والعشرين من شعبان سنة ٩٦٨ (١٥٦١ م) وفي الطريق استسلمت له قلعة كاكرون من قلاع مالوه المشهورة وبعد أن قضى عدة أيام في مالوه ، رجع إلى عاصمة ملكه كره . (٢)

كذلك كان ضم ولاية ككهران في سنة ٩٧٠ هـ (١٥٦٢ م) ، وكانت المنطقة الممتدة من نهر سند المعروف بنيلاب إلى جبل سواك وإلى حدود كشمير ، دائماً في تصرف طائفة ككهران ، ومع أن طوائف أخرى من أمثال كهري وجالويه وحره وبهوكهال ، وحست ماره ، ومنكرال ، كانت تتوطن في هذه المنطقة ، إلا أنهم كانوا منقادين لككهران ، ومن أوائل سلطنة بابر ياد شاه أصبحت هذه الطائفة موالية للبابريين ، وعلى الأخص زعيمهم سارنگ سلطان الذي كان في مقدمة المخلصين والمضحين ، إلى أن سيطر على ممالك هندوستان ، شيرخان أفغان ، فأراد إدخال هؤلاء إلى طاعته

(١) كانت التقارير الواصلة إلى أكبر تفيد بأن أدهم خان لم يرسل جميع الفنائم إلى العاصمة ، وأنه احتفظ بها لتوزيعها على أنصاره ، وليكون بها جماعة موالية له .

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

فلم يفلح فى هذا ، ولكنه قبض على سارك سلطان وأمر بتغذييه وحبس ابنه كمال خان فى قلعة كواليار ، فانتقلت زعامة تلك الطوائف إلى أخيه آدم خان الذى سلك هو الآخر طريق الإخلاص للبابريين ، ولما توفى شير خان وآلت أمور هندوستان إلى ابنه سليم خان ، أقدم إلى الغارة على هذه الطوائف ونهبهم وتدميرهم ، حتى أنه أمر بتجميع مسجونهم فى بيت ملو بالباروت حيث أحرقوا جميعا ، إلا كمال خان الذى صانه الله فى زاوية من زوايا البيت ، ولما اطلع سليم خان على هذا ، أحضر كمال خان إليه وحلفه بأن لا يخالفه مقابل إطلاق سراحه ، ثم أرسله بالاتفاق مع حاكم پنجاب إلى إخضاع ولاية ككهران . (١)

وبعد أن استقرت الأمور لأكبر أصبح كمال خان كأجداده من الموالين لهذه الأسرة ، فأقطعت له مناطق بسوه وفتحپور وغيرهما ، وعندما هجم شير خان ابن سليم خان على خان زمان فى تلك التواحي أسرع كمال خان بنجدة وقام بأدوار بطولية ، فصدت أوامر من أكبر أن يلجئ كل ما يلتصقه كمال خان بطلب ولاية أبيه ، فصدت الأوامر بإعطائه نصف ولاية ككهران وإبقاء النصف الآخر لآدم خان ، مؤكدا أنه لو ضايق آدم خان فى هذا المجال ، فإن جميع هذه الولاية تنزع منه وتسلم إلى كمال خان

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٨ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

غلام حسين طباطباى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

ولقد رفض آدم خان الإزعاج بالأمر واستعد للحرب ، فهزمت قوات أكبر
وقبض عليه وعلى ابنه لشكري ، وسلموا لكمال خان الذي قتل الابن واحتفظ
بالأب حتى توفي ، وبذلك أصبحت ولاية ككهران تحت تصرف أولياء الدولة
الذين تركوها لكمال خان وعادوا إلى أماكن مهامهم . (١)

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

سحان راي : خلاصة التوازيخ ، ص ٣٥١ .

لتمهيد الطريق أمام التوسع والفتح ولتأمين حدود الدولة الناشئة من الفارات وخطر الراجپوت المعروفين بالشجاعة والإقدام ، بدأ أكبر يوجه همه إلى تسخير قلاع الراجپوت الحصينة ، والتي كانت تغريهم في استمرار العصيان والتمرد ، وكانت قلعة گواليار من أوائل القلاع التي تم الاستيلاء عليها ، وكانت هذه القلعة تحت تصرف مبارزخان (١) عدلى وكان يحكمها من قبله بهيل خان كما كانت قلعة گواليار في سابق عهدها تحت سيطرة أجداد راجه رام ساه الذى سير مجموعة من الراجپوت لحصار القلعة ، وفى هذه الأثناء تحرك قباخان من آگره إلى گواليار فترك رام ساه حصار القلعة واتجه لمحاربة قباخان إلا أن الأخير تمكن من القضاء على كثير من أفراد رام ساه وأقام بدوره حصارا حول القلعة بقصد إخضاعها (٢) ، إلا أن القلعة كانت أشرا من الاستحكامات المتينة التي تركها الحكام الأقدمون ، فلم تثمر محاولات المقاتلين لفتحها بسهولة وسرعة ، فأرسل من آگره حبيب على خان ومقصود على خان مع مجموعة كبيرة من المقاتلين لمساعدته قباخان ، ولم يكن بهيل خان من جانبه يغفل لحظة عن المراقبة وتجهيز وسائل الحفاظ على القلعة ، ولما طال الحصار ووصلت القوات المساعدة لقباخان ، رأى بهيل خان ترك المخاصمة ، فترك القلعة لقواد أكبر وتوجه هو إلى البلاط في شهر ربيع الآخر ٩٦٦ هـ (١٥٥٨ م) حيث سلم مفتاح القلعة إلى البادشاه وكافاه أكبر بدوره بالخلع والمكرات. (٣)

(١) مبارزخان عدلى : كان من سلاطين الأفغان .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٣) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٩٦ .

نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٩ .

شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٠ .

فى سنة ٩٢٥ هـ (١٥٦٢ م) تم الاستيلاء على قلعة چتور المشهورة والمهمة . وكانت تقع هذه القلعة على جبل ارتفاع كروه واحد ، ولا تتصل معه جبال أخرى ، كما كانت تجرى فيها مياه غزيرة ، وكان طولها ثلاث كروهات وعرضها نصف كروه ، وكانت هذه القلعة تمتاز عن سائر قلاع هندستان بالرفعة والمتانة . (١)

لقد دخل الكثير من ملاك الأراضى وراجوات (٢) هندستان فى طاعة أكبر إلا أن رانا أوديسنگ راجة ولاية ما روار ، أغرت قلعة المتينه وكثره أفراده وفيلته ، فلم يرض أن يكون خاضعا لأكبر ، ولما استقرت الأمور وهذا خاطرا أكبر من ناحيه على قلى خان شيبانى وسائر المتمردين ، عزم على تسخير قلعة چتور بعد أن أعد للحملة عدتها ، ولما اقتربت قوات أكبر إلى القلعة واطلع رانا أوديسنگ على ذلك ، وظف جيمل الراجپوتى الذى اشتهر بالجرأه والشجاعة ومعه حوالى سبعة إلى ثمانية آلاف مقاتل ، لحماية القلعة ولجأ هو مع جمع من أقاربه إلى الجبال الشاهقة والغابات الكثيفة ، وصدرت الأوامر بتوزيع أطراف القلعة على الأمراء ، فقامت الأفواج بنهب ولاية رانا (٣) ، وأرسل آصف خان إلى بهرام — پوروهى من القصبات المعمورة فى تلك الولاية فاستولى على قلعتها عنوة ونهب جميع ما فى تلك النواحي ، كما أرسل حسين قلى خان مع جمع من الأفواج إلى أودهپور وكوئلمر وهما كانتا من أعظم قلاع تلك الولاية ، فنهب هو الآخر

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٣ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٩ .
غلام حسين طباطبائى : سيرة المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٨١ .
(٢) راجاوات : جمع راجه وهو اسم للأمراء الهندوكيين .
(٣) رانيسا : هذه الكلمة مثل راجه كلمة هندية ، كان ينادى بها الأمراء الهندوكيين ، كما أن رانا أعلى مرتبة من راجه .

أغلب تلك القصبات والنواحي ، ولما لم يجد أثرا من رانا المذكور رجع إلى أكبر حاملا معه أنباء الفتح . (١)

لقد طالت مدة حصار قلعة چتور لعدة أشهر فصدرت الأوامر ببناء ساباتات وحفر النقب ، فجمع لهذا الغرض خمسة آلاف من المعمارين والنجارين والنحاتين الذين بدأوا من جانبي القلعة ببناء الساباتات والمورچلات (٢) ، وكان السابات الذي رفع على المورچل الملكي يتسع لعبور عشرة من الفرسان جنبا إلى جنب ، وكان ارتفاعه على قدر يمكن الفيل الذي يحمل السهم في يده ، أن يعبر من أسفله ، وأثناء بناء الساباتات كان سكان القلعة يقصفون البنائين والعمال بالمدافع والبندقية ، إلى درجة كان يقتل يوميا أكثر من مائة شخص ، وكان توضع في الجدران أجساد القتلى بدلا من الآجر ، لتتم أعمال البناء في أقل مدة ، إلى أن تم توصيل السابات إلى القلعة ، وفي نفس الوقت أنهى النقبون أعمالهم أيضا ووصلوا أنقابهم إلى القلعة (٣) ، وجوفوا البرجين للذين كانوا قريبين مع البعض وملأوهما بالباروت ، وكان جمعا من المقاتلين قد اقتربوا من المورچلات ينتظرون تفجير البرجين حتى ينفذوا داخل القلعة ، واتفق أن اشتعلت النار في النقبين في آن واحد ، وكانت فتيلة أحدهما قصيرة والأخرى طويلة ،

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .
(٢) مورچل : النقب الذي يحفر تحت الأرض باتجاه قلاع العدو ولفتحها .
(٣) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٣ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .
سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٩ .

فانفجرت الأولى ، ورفعت البرج على الهواء ، وأوجدت منفذا كبيرا للدخول إلى القلعة ، فأسرع جمع من الشباب في الوصول إلى ذلك المنفذ ، وأرادوا أن يدخلوا منه ، إلى داخل القلعة ، ولكن النار وصلت إلى النقب الآخر فرفع البرج بمن فيه من الأصدقاء والأعداء ، وحتى الذين اختفوا تحت الصخور قتلوا أيضا ، وكانت قطع الأحجار التي رفعها ذلك الانفجار على الهواء ، قد انتشرت على مسافة ثلاث إلى أربع كروحات ، وفي هذه المسافات شوهدت أيضا أعضاء محروقة من جسم الإنسان ، وقتل في هذا الحادث عدد كبير من ملازمي أكبر ، كما قتل فيه حوالي خمسمائة من الجنود الممتازين بضرب الحجار ، كما هلك في الحادث كذلك جمع غفير من الطرف الآخر . (١)

بعد حادثة البرجين ازدادت عزيمة أكبر في فتح قلعة چتور ، وقد تم أيضا بناء الساباط الذي أقيم على مورچل شجاعت خان ، وأكملت استعدادات الهجوم ، وفي ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٢ م) هاجمت الأفواج من أطراف القلعة ، واستطاعوا أن يوجدوا منفذا في إحدى جدران القلعة ، فبدأت الحرب وكان جيميل رئيس القلعة ، يحرض من بداخلها على الحرب عند المنفذ ، كما كان أكبر بنفسه يشاهد المنظر من الطابق العلوي الذي بنى له على الساباط وكان قد تعرف على وجه جيميل الراجپوتی

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبری ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

سجان رای : خلاصه التواريخ ، ص ٣٦٩ .

عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٣ .

من شرارة نيران المدفع والبندقية التي كان يطلقها جيميل ، فأطلق أكبر من محله نيران بندقية على جيميل حيث أصابه في جبينه وأرداه قتيلا ، ولما رأى أهالي القلعة رئيسهم قتيلا تركوا المعركة أسرعين إلى بيوتهم ، فجمعوا عوائلهم وأموالهم في مكان واحد ثم أشعلوا عليهم النار ، ويسمى العمل هذا في اصطلاح الهند جوهر. (١)

وبعد هذا هاجمت الأفواج القلعة من أطرافها وأوجدوا منافذ عديدة في جدرانها ، وتقدم بعض من الراجپوت يدافعون عن القلعة بتهور ، وكان أكبر جالسا في محل إقامته على السباط ، يتابع أعمال مقاتليه وينظر إليهم بنظره التحسين ، واستمرت الحرب طوال الليل ، وفي الصباح فتحت القلعة ودخل أكبر فيها راكبا على الفيل ، ومعه جنده الذين دخلوها مشيا ، واستسلم السلطان للغضب ، فأصدر الأوامر بإقامة مذابح جماعية تأرا لمن قتل من أصحابه وردعا للآخرين من خصومه ، فقتل الكثير من الراجپوت الذين كانوا بداخل القلعة ، وبعد منتصف النهار توقفت المذابح ، فعاد أكبر إلى معسكره حيث توقف هناك لمدة ثلاثة أيام ثم رجع إلى عاصته آكره بعد أن عين آصف خان واليا على تلك المنطقة. (٢)

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٤ .
 محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .
 محمد عبدالقادر : أويلاق مغل ، ص ٤١٦ .
- (٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٤ .
 أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨٧ — ٨٨ .
 وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤٠٨ .
 جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند ، ص ٩٦ .
 عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٣ .

فى أوائل السنة الرابعة عشرة من الحلوس (٩٧٦هـ / ١٥٦٨م) ، توجه أكبر إلى فتح قلعة رنتهنبور ووصل إليها فى مدة قصيرة وقامت القوات كعادتهم فى فتح القلاع — بحفر المورچلات وبناء الساباطات ، ثم أوجدوا فى جدران القلعة عدة منافذ بضرب المدفع فرأى سرجن صاحب القلعة هذه الحالة فتنازل عند وساطة بهكوان داس ومان سنك اللذين كانا فى صحبة البادشاه ، وأعلن خضوعه واستسلامه ، وأرسل ابنه دوده وبهوج إلى خارج القلعة طالباً الأمان ، فلما رأى أكبر عجزهما طمأنهما وعفا عن أبيهما وأرسل حسين قلى خان خانجهان إلى داخل القلعة لطمأنة أبيهما ، ثم جاء به حسين قلى خان إلى أكبر حيث سلك طريق الولاء ، والخدمة ، فانتظم فى سلك الملازمين لأكبر ، وبذلك تم فتح قلعة رنتهنبور فى يوم الأربعاء الثالث من شوال سنة ٩٧٦هـ (١٥٦٨م) وفى اليوم التالى تفقد أكبر القلعة من الداخل ، ثم فوض حكومة هذه القلعة وحراستها إلى مهترخان وعاد هو إلى مستقر حكمه فى آگره . (١)

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،
ج ٢ ، ص ٨٩ .

عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٣ .

Ishtawri Prasad : A Short History of the Muslim Rule
in India, P.236.

فى أواسط السنة الرابعة عشرة من الجلوس (٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م) تم فتح قلعة كالينجر ، وكانت هذه القطعة ، قلعة متينة للغاية كما كان السلاطين القدامى من المسلمين دائى التفكير فى تسخيرها ، ولم تثمر محاولات شيرشاه سور فى الاستيلاء عليها ، رغم أنه أقام عليها حصارا دام سنة ، وبعد أن أذيع نبأ فتح قلعتى چتور ورتنهبور هنا وهناك ، رأت القوات المرابطة فى حدود قلعة كالينجر أن تقوم بدورها فى فتح تلك القطعة وكانت هذه القوات تفكر دائما فى تسخير القطعة ، إلا أن صاحب القطعة راجه راجد اتعظ بما حدث فى چتور ورتنهبور فبادر بإعلان ولائه لأكبر ، واعتبار نفسه من الموالين لدولته ، فأرسل مفاتيح القطعة إلى أكبر مع وكلائه ومصحوبة بالتحف والهدايا ومهنتا له الفتوحات ، ثم فوض أكبر حراسة القطعة إلى مجنون خان قاقشال الذى كان من إقطاعى تلك النواحي ، كما أرسل إلى رام چند مرسوم الامتثال ، وبذلك دخلت هذه القطعة إلى سلطة أولياء الدولة فى شهر صفر من سنة ٩٧٧ هـ (١٥٦٩ م) ^(١) . وباستيلاء أكبر على هذه الحصون رسخت أقدامه وتعززت حدوده ، كما أدى معاملته الحسنة مع أصحاب هذه القلاع الذين استسلموا ، وسلوك طريق المودة والرفق معهم واجتذابهم إلى البلاط ، وإسناد قدر من مناصب الدولة إليهم ^(٢) ، إلى أن

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،

ص ٨٩ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٨٩ - ٩٠ .

ركن أغلب أمراء الهنادكة إلى المسالمة مع أكبر وأخذوا يساهمون معه في بناء دولته المغلية الهندية ، إلا أنه استمر بعض الراجوات في التمرد والعصيان واستمر أكبر أيضا في مطاردة هؤلاء ولم يقبل منهم إلا الانقياد لدولته ، واستخدم في هذا السبيل أحيانا قوادا من بني جلدتهم ؛ ففي سنة ٩٨٥ هـ (١٥٧٧ م) عين البادشاه الهندوكي كنور مانسنگه قائدا على خمسة آلاف فارس ليقود الحملة المتوجهة لمحاربة رانا كيكيا الذي كان رئيسا لسجلات الراجوات ، وارتحل بعد فتح چتور إلى منطقة هندوارة الجبلية وبنا فيها بلدة كوكنده (١) ، قاضيا أوقاته في العصيان والتمرد ، ولقد ضم في هذه الحملة بعض الأمراء والقواد من أشال قاضي خان بدخشي وشاه غلزي خان تبريزي وسيد هاشم بارهه وغيرهم ، وعين أصغر خان في منصب بخشي كرى (٢) ولقد كرم كنور مانسنگه وسائر الأمراء والقواد بالخلع الفاخرة والخيول العراقية والعربية (٣) ، ثم رخصهم إلى محاربة رانا كيكيا ، وعندما وصل كنور مانسنگه على رأس القوات البادشاهية إلى نواح كوكنده ، دعى كيكيا راجوات هندوارة لمساعدته ثم عبر مع جماعته سرهلديو ، ناويا الحرب ، فنظم كنور مانسنگه باتفاق مع سائر الأمراء صفوف قواته ثم توجه إلى ساحة المعركة ، حيث تقارب الصفان ووقع قتال شديد ، قضى فيه على مائة وخمسين من الفرسان البادشاهية كما قضى على

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٢ .

(٢) بخشي كرى : المشرف على النفقات والتموين والمعاشات .

(٣) تتكرر في المصادر هذه العبارة " الخيول العراقية والعربية " ما يدل

على أن الخيول العراقية لم تكن تشمل ضمن الخيول العربية .

خمسائة فارس في جانب الراجپوت ، وقام رانا كيكيا بهجمات كثيرة حتى أصيب فأدبر من المعركة ، فقام الجند الباد شاهي بهجوم واسع قتلوا خلاله الكثير من الراجپوت ، وكتب كنورمانسنگه إلى أكبر بأبناء الفتح وحقيقة ما حدث ، وفي اليوم الثاني عبر مر هلدیو فدخل كوكنده ، واستقر في منازل رانا كيكيا ، وهرب رانا متحصنا في الجبال الشامخة تاركا ولايته لقوات أكبر .

ولما اطلع أكبر على هذه الأنباء أبدى سروره وفرحته وأمر بإرسال الخلع الفاخرة والخيول العراقية إلى كنورمانسنگه وسائر الأمراء (١) ، إلا أن راجه - كنورمانسنگه استدعى إلى أجمیر حيث كان أكبر مقيما فيها ، وذلك بعد أن أخبر الباد شاه بأن الحبوب والمؤمن لم تكن تصل إلى الجند بالقدر الكافي وذلك نتيجة ضيق الطرق فتعسرت أحوال الجند ، كذلك منعهم كنورمانسنگه من أن ينهبوا ولاية كيكيا ، فأمر كنورمانسنگه بالعودة فعاد ومنع لعدة أيام من الحضور ثم عفى عنه ، وعين جند آخر للغارة على ولاية كيكيا ومطاردة رانا أينما كان ، وتحرك الجند في التاسع عشر من شهر رجب سنة ٩٨٥ هـ (١٥٧٧ م) من أجمیر متوجها إلى كوكنده موطن رانا كيكيا الذي سقط بين قوات أكبر كما أسلفناه . (٢)

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبری ، ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣٥ .

بعد أن تم لأكبر فتح چتور وضم راجپوتانا إلى مملكته ، أصبحت جدود دولته
 متاخمة مع مملكة كجرات الإسلامية ، التي كانت تسودها الفوضى بعد وفاة سلطان
 محمود (١) ، فأصبحت ملجأ لقلول أعدائه ، ومستقرا لخصومه من أمثال الأزابكة
 والمرزاوات الذين كانوا يرون لأنفسهم الأحقية في الملك ، ولقد استولى المرزاوات
 على أجزاء من كجرات وعلى بعض قلاعها المهمة مثل چانبانير وسورت وبهروج ؛
 إضافة إلى أنها كانت ولاية خصبة وفيرة الثراء ، وكانت تجارتها البحرية
 المزدهرة تجذب إليها أنظار الطامعين ، وكان يحكمها في ذلك الوقت مظفر
 شاه الثالث حفيد بهادر شاه وكان ملكا اسميا ، أما السلطة فكانت بيد اعتماد خان
 الذي كان قد دخل في الإسلام حديثا ، وهو الذي طلب من أكبر القدوم إلى
 كجرات ليتولى حكمها ، ويقضى على ما فيها من فتن داخلية (٢) وكان يعرض
 دائما في مجلس أكبر وصف ولاية كجرات ((وكانت تأتية شكاوى من ظلم حكامها
 الذين أصبحوا ملوك الطوائف وضد بعضهم البعض ، وتسببوا في خراب البلاد
 (٣)
 والعباد)) .

-
- (١) سلطان محمود : هو والد السلطان مظفر شاه .
 (٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٨ - ٣٦٣ .
 عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
 جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند ،
 ص ٩٦ - ٩٧ .
 أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٩١
 إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٧ .
 (٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٢ .

وبعد أن هداً خاطراً كبيراً من ناحية المتمردين وبعد أن تم له تسخير القلاع المتينة والرفيعة الشأن ، عزم على إخضاع ولاية كجرات وضمها إلى دولته فأصدر أوامره بإحضار الأجناد ، وفي العشرين من صفر سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) بدأ بالتوجه إلى أجمير متصيداً ولزيارة ضريحى خواجه معين الدين وسيد حسين خنك سوار - وهو من نسل الإمام زين العابدين ومدفون على سفح جبل أجمير - ولقد أرسل أكبر إلى كجرات مقدماً فرقة استطلاعية مكونة من عشرة آلاف فارس ، يقودها مير محمد المعروف بخان كلان (١) ، ثم تحركت الرايات (٢) في الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني ، وفي الطريق إلى كجرات ، وصل أكبر إلى منطقة ناگور في التاسع من جمادى الأولى وتوقف هناك أربعة عشر يوماً لتنظيم الجند ثم تابع سيره حتى وصل إلى منطقة ميرتهه ، حيث وصلت الأنباء عن محاولة اغتيال مير محمد خان قائد الفرقة الاستطلاعية بواسطة الراجپوت ، ان لما وصل مير محمد إلى نواحى سروهى تظاهر راجتها بالطاعة فأرسل عدداً من الراجپوت إلى مير محمد خان كبعوثين من قبله ، ولما جاء السفراء إليه ، عرضوا عليه مطالبهم فسمعوا منه الجواب اللازم ، كما قدم لهم الخلع بيده على أسلوب أهل الهند ، ولكنهم كانوا قد دبوا القدر به ، ف ضرب أحدهم خنجرًا في صدر الخان الذى خرج من ظهر كتفه ، فبادر حراسه بالقبض على ذلك الراجپوتى وقتله بضرب الخنجر ، ولما اطلع أكبر على هذا الحادث ، أرسل

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٩ .

(٢) عندما يكون أكبر شاه على رأس الحملة ، تستخدم كلمة "رايات" للتعبير

عن هذه القوات .

فى يومه لشكرخان ميربخشى لعيادة مير محمد خان وتحرك إليه بنفسه فى اليوم التالى ، حيث وصل إلى الفرقة الاستطلاعية فى العشرين من جمادى الثانية ، ووجد قائده وقد التأم جرحه الشديد فى خلال خمسة عشر يوما ، وكان مساعدوه قد أحضروا له الجراحين الذين خيطوا جرحه ، وعندما وصل أكبر إلى سروهى كان ثمانون نفرا من الراجپوت فى بيت خانه (١) وسبعون نفرا منهم فى منزل راجة سروهى ، فأمر بقتلهم جميعا جزاء ما دبروه من غد رلقائده ، وتم تنفيذ أمره هذا بسرعة فائقة ، ولكن لا يتكرر ما حدث ، رأى أكبر أن يرسل واحدا من قواده إلى منطقة جودهپور الواقعة على طريق كجرات ، حتى يحكم أمور هذه المنطقة ويؤمّن طريق كجرات من مزاحمة رانا كيكافخرجت قرعة هذه المهمة باسم رايسنك- بيكانيرى وضم إليه جمع كثير من ملازمى البلاط ، كما صدرت الأوامر إلى أمراء تلك النواحي وإقطاعيها ، بأن يساعدوا رايسنك فى أداء مهمته .

تابع أكبر شاه سيره حتى وصل إلى بلدة پتن من توابع كجرات فى غرة شهر رجب سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) ، وتوقف هناك أسبوعا حيث فوض إدارة تلك المنطقة إلى سيد أحمد خان بارهه وهو كان من سادات هندوستان المعروف بشجاعته وكثرة أنصاره وأعوانه (٢) ، ثم تحرك من پتن متوجها إلى أحمد آباد عاصمة كجرات حيث كان شيرخان فولادى من أمراء الافغان قد ضرب حصارا على

(١) بيت خانه : أى بيت الصنم

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٣ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

اعتماد خان ، وكان قد استمر حصاره عليه لمدة ستة أشهر ، ولكنه لما اطلع على تحرك أكبر وقواته إلى أحمد آباد ، ترك الحصار وأسرع بالفرار ، ولم يكن أكبر قد بعد كثيرا عن پتن حتى جاءه سلطان مظفر بن سلطان محمود كجراتسى ، سلطان كجرات معلنا ولائه لأكبر ، وفى اليوم التالى استقبل أكبر اعتماد خان حاكم أحمد آباد ومير أبو تراب وسيد حامد بخارى واختيار الملك والغ خان الحبش وسائر أمراء كجرات وعظمائها الذين قدموا لأكبر التحف والهدايا ، كما قدم اعتماد خان إلى أكبر مقاليد مدينة أحمد آباد وأظهر له حسن ولائه وإخلاصه (١) ، ولقد أحسن المقربون من أكبر النفاق فى جبين أمراء الحبش فعرضوا الأمر إلى الباد شاه الذى وضعهم تحت المراقبة من باب الحيلة ، وتوجه هو إلى أحمد آباد حيث عسكر جيشه فى ضفة نهر أحمد آباد ، فى يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) وقرئت الخطبة باسمه (١)

لقد سبق أن ذكرنا بأن المرزاوات استولوا على أجزاء من كجرات وقلاعها ، وكانت هذه القضية من المعامل الأساسية فى تصميم أكبر على إخضاع تلك الولاية ، فبعد أن قدمت عاصمة الولاية أحمد آباد ولاها له ، رأى أن يقضى على وجود المرزاوات فيها ، فتحرك من ضفة نهر أحمد آباد فى يوم الاثنين الثانى من شعبان

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .
 عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٤ .
 جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ٩٧ .
 أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٩١ .
 (٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٤ .
 محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .
 سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٩ .
 محمد عبدالقادر : أوطاق مغل ، ص ٤١٩ .
 غلام حسين طباطبائى : سیر المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

عام ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) متوجها الى ميناء كنبهايت ، واستأذن اعتماد خان وسائر أمراء كجرات التوقف في أحمد آباد فرخص لهم لمدة يومين الى ثلاثة أيام وفي هذه الفرصة هرب اختيار الملك الذي كان من أهم أمراء كجرات الى أحمد - نگر وبيدر (١) ، ففقدت الثقة بهؤلاء الأمراء ، ما دفع الى وضع اعتماد خان أيضا تحت الرقابة ، ونزل أكبر في ميناء كنبهايت في يوم الجمعة السادس من شعبان متفجرا على البحر المالح ، ثم تحرك من كنبهايت في الرابع عشر من الشهر المذكور الى قصبة پروده ، حيث عمل لتنظيم الأمور ، فأعطى حكومة ولاية كجرات عامة ودار السلطنة أحمد آباد خاصة الى مرزا عزيز محمد كوكلتاش (٢) بن خان أعظم شمس الدين محمد أتك (٣) ولقب هو كذلك بخان أعظم (٤).

كانت قطعة سورت الواقعة على ساحل كجرات في المحيط الهندي ملجأ للمرزاوات ، فعزم أكبر على تسخيرها (٥) ، وأرسل مقدما بعض قواده من أمثال سيد محمود خان بارهه وشاه قلي خان محرم وخان عالم وراجه بكوتيداس وكنور - مانسنك ، وفي اليوم التالي السابع عشر من شهر شعبان وصلت التقارير الى أكبر

-
- (١) أحمد نگر وبيدر : كانتا امارتان من الإمارات الدكنية الخمس .
 (٢) كوكلتاش : كلمة تركية بمعنى الأخ من الرضاع (غياث اللغات ، ص ٤٢٠) .
 وكان مرزا عزيز أخا لا أكبر من الرضاعة .
 (٣) أتك : كلمة تركية بمعنى زوج المرضعة (تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٢)
 (٤) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .
 محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .
 سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٩ .
 (٥) التسخير : استخدمت هذه الكلمة في جميع المصادر الفارسية المتعلقة بهذا البحث ، بمعنى الإخضاع والفتح .

تفيد بأن ابراهيم حسين مرزا لما سمع في قطعة بروج عن توجه الرايات إليه ،
عبر من بعد ثمانى كروهات من المعسكر في غاية الفرور والاستكبار ، ناوياً
إثارة الفتن ، فثار غضب أكبر من سماع النبأ وترك جماعة لخدمة ابنه الأمير سليم ،
وتوجه بنفسه لتعقب ابراهيم حسين مرزا ، وأخذ معه ملك الشرق كجراتى
ليدله على الطرق ، كما أرسل واحداً من أمراءه فى طلب سيد محمود خان بارهه
وشاء قلى خان محرم وسائر الأمراء يأمرهم بالعودة فوراً والانضمام اليه ، ووصل
أكبر إلى ضفة نهر مهندي مع أربعين فارساً ، فى حين كان خصه ابراهيم حسين
مرزا قد نزل فى الجانب الآخر من النهر (١) ، ولم يكن أفراد أكبر يتجاوزون المائة
والخمسين فى حين كان يصاحب ابراهيم مرزا ألف من الفرسان ، ومع هذا عبر
أكبر النهر متحدياً خصه الذى بدأ بتنظيم قواته وتعبئتهم للمعركة ، وكان
كنورمانسنگه الهندوكى يتولى قيادة الطليعة فى قوات أكبر ، ولما كان الطريق
المؤدى من ضفة نهر مهندي إلى القطعة وعراً وشاقاً ، سلك طريقاً آخر ، ولكن
أكبر وصل من طريق قريب إلى الباب الذى يواجه النهر ، وعلم أن ابراهيم
حسين مرزا قد خرج من قصبة سرنال ، فأمر أكبر الجند أن يخرجوا من الجدار
الخلفى متعاقبين على هيئة الصيادين ، ولما خرج الجند من الجدار الخلفى
إلى ساحة الصحراء ، تقارب الصفان ، فهاجم ابراهيم حسين مرزا وحدة الرماة
بقيادة تاتارخان قاقشال وطردهم إلى مسافة بعيدة ، وقتل فى المعركة بهويت
ابن راجه بهارمل وهو من الشبان الشجعان بعد أن هاجم على قوات الخصم

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٥ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

وقتل الكثير منهم ، فتجراً المخالفون بسمع هذا النبأ وقاموا بحملة أخرى ، ولكن
 الموقع الذى اختاره أكبر لقواته قد حتمتهم من هذه الهجمات (١) ، إذ كانوا قد
 اتخذوا مواقعهم على أرض وعرة ولا يتمكن فيها ثلاثة من الفرسان أن يقفوا فيها
 جنباً على جنب ، إضافة الى أن أطراف تلك الأرض كانت مليئة بأشجار الزقوم ،
 ومن شجاعة أكبر أنه كان واقفاً فى الصف الأمامى من المعركة ، ومعه راجله —
 بگوتيداس فهاجمها ثلاثة من الفرسان المخالفين ، واتجه أحدهم إلى راجله —
 بگوتيداس ، ولما كانت شجرة الزقوم حائلة ، وقف راجله على الركاب وأطلق إليه النار
 فأصابه إصابات خطيرة أجبرته على الفرار وهاجم الآخرون أكبر ولكنها أيضاً لم
 يقدر على اختراق هذا الموقع فأدبر بالفرار ، ثم قامت القوات بهجوم عام من
 كل جانب أدى إلى هروب إبراهيم حسين مرزا ، فتعقبهم أكبر إلى مسافة ، ولما
 انتشر ظلام الليل أمر الجند بالعودة واكتفوا بالاستيلاء على قصبة سرنال التى كان
 إبراهيم حسين مرزا وقواته تركتها لهم ، وهناك كرم أكبر الذين قدموا خدماً
 ناجحة فى تلك الحملة بالمناصب ومزيد من الرعاية (٢) ، وبعد هروب إبراهيم
 حسين مرزا ، عزم أكبر من جديد لتسخير قلعة سورت (٣) ، وهى كانت قلعة صغيرة
 ولكنها كانت فى غاية المتانة والاستحكام وكانت من القلاع المستحدثة . وكانوا
 يقولون بأن السمس صفراً والمقلب بخد اوند خان من خدام سلطان محمود

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٥ .
 محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .
 محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤١٩ .
 (٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .
 محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .
 سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٩ .
 (٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

كجراتى أحدث هذه القلعة فى شهر سنة ٩٤٩ هـ (١٥٤٢ م) على ساحل بحر عمان لدفع فساد الإفرنج الذين كانوا يلحقون أنواع الخراب بالمسلمين ، وأثناء أحداث القلعة ، هاجمها الإفرنج بسفنهم عدة مرات ولكنهم لم يستطيعوا عمل شئ ما ، ولقد أحضر خدًا وندخان المعمارين المهرة واهتم كثيرا باستحكامات القلعة وهؤلاء المعماريون الدقيقون النظر خططوا لإحداث القلعة تخطيطا يثير الإعجاب ولقد حفروا على جانبي القلعة خندقا بعرض عشرين ذراعا يوصلها الى البحر ورفعوا جدرانها من الأحجار والبصا والآجر ، وكان عرض جدار القلعة يصل الى خمسة عشر ذراعا وارتفاع عشرين ذراعا ، ومن الفرائب أن الأحجار كانت قد استحكمت بقلاب حديدى وهبت الفتحات بالأسرب المذاب ، وبنيت فى القلعة المنكسرات وأماكن رمى الأحجار على هيئة تحير المشاهد . (١)

بعد دخول أكبر فى كجرات ، جمع المرزوات جميع قواتهم فى قلعة سمورت وفوضوا حراستها الى همزيان الذى كان من أنصار همايون ولكنه هو الآخر هرب وانضم الى خصوم أكبر . أرسل أكبر مقدما شاه قليخان محرم وصادق خان ليراقبوا أطراف القلعة ولا يسمحوا لأحد بالخروج منها ، ولما وصل هذا الخبر الى من بداخل القلعة ، أسرع كلرخ بيگم (٢) بنت مرزا (٣) كامران وزوجة مرزا ابراهيم مع ابنها حسين مرزا بالفرار ، وبعد عدة أيام أرسل أكبر راجه تودرسل ليوثق عن مداخل القلعة ومخارجها ، وبعد أسبوع عاد راجه الى أكبر مقدما تقريرا

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

(٣) أى بنت عم أكبر .

عن حقيقة الوضع ، وفي الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) تحرك أكبر من قصبة (١) بروده ونزل على بعد كروه واحد من القلعة في السابع عشر من رمضان ، وفي نفس الليلة ذهب إلى قرب القلعة متفقدًا مداخلها ومخارجها ، وقسم المورچلات على الأمراء ، وبعد ثلاثة أيام اقتربوا من القلعة بقدر تكون على تناول المدفع والبندقية ، وأحكم حصار القلعة الذي استمر لمدة شهرين ، وقطعوا المياه عنها ومدوا المورچلات إليها ، وقللوا أبواب الخروج والدخول ، فاضطر همزيان حارس القلعة وسائر أهلها إلى طلب الأمان ولم يكن الأمراء راضين بإعطائهم الأمان لأنهم قاوموا إلى آخر ما كان يوسعهم ، وبعد أن أصبح موضوع الفتح مسألة يوم وليلة طلبوا الأمان (٢) ، ولكن أكبر أصدر أوامره بإعطائهم الأمان ، وصدرت التعليمات أن يرسل جمع من الكاتبين (٣) (٤) المتدنيين إلى داخل القلعة ليسجلوا جميع ما فيها من الأموال الناطقة والصامتة ثم يعرض بعد الإحصاء والتسجيل إلى أكبر حتى لا يقع التساهل ، وقد وقع فتح قلعة سورت في الثالث والعشرين من شهر شوال سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) ، وفي اليوم التالي تفقد أكبر القلعة وأمر بإصلاح الأماكن التي تضررت فيها ((وأثناء تفقده للقلعة رأى عددا من المدافع الكبيرة التي كانت تسمى سليمانى لأن السلطان

-
- (١) قصبة : هذه الكلمة تتكرر كثيرا في المصادر الفارسية ، وهي تعنى البلدة أو القرية الكبيرة (غياث اللغات ، ص ٣٩٠) .
- (٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٨ . محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .
- (٣) الأموال الناطقة : العبد والأمة والخيول والغنم ، غياث اللغات ، الأموال الصامتة : الذهب والفضة (ص ٢٤٦) .
- (٤)

سليمان ^{الاول} ملك الروم عندما أراد أن يخضع موانئ كجرات أرسل هذه المدافع مع قواته الكثيرة عن طريق البحر ، ولما لم يستطع الروم أن يعملوا شيئاً ما بسبب بعض الموانع ، تركوا هذه المدافع في ساحل بحر عمان وعادوا إلى بلادهم وهذه المدافع كانت ملقاة في الساحل ، إلى أن أحدث خداوند خان قطعة سورت فأدخل جميعها إلى داخل القطعة ، ولما لم يكن يحتاج في حراسة القطعة للمدافع السلطانية ، صدر الأمر السامي بنقلها إلى دار الخلافة آكره (١) ، وبعد أن اطمأن أكبر عن الأوضاع في ولاية كجرات ترك سورت في يوم الاثنين الرابع من ذي القعدة سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) متوجها إلى عاصمة الولاية أحمد آباد حيث وصلها في يوم الأربعاء ، وهناك فوض حكومة كجرات إلى أخيه من الرضاع خان أعظم ، وغادر أحمد آباد متوجها إلى عاصمة ملكه الجديدة ، فتحبور (٢) في يوم عيد الأضحى العاشر من ذي الحجة من السنة المذكورة (٣).

هكذا تم ضم كجرات إلى دولة أكبر ، ولكنه على الرغم من استقرار الأوضاع الذي سمح بأكبر مفادرة كجرات ، ومع أن قلاع هذه الولاية قد أصبحت تحت سيطرة أولياء الدولة ، إلا أنه لم يكف تضي ثلاثة أشهر من عودة أكبر إلى فتحبور ، حتى تواترت الأنباء بأن الأوضاع في تلك الولاية أصبحت متوترة ،

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
 (٢) فتحبور : كان اسم هذه المدينة سكرى ، ولكن عندما أتم أكبر شاه بناء عاصمته الجديدة ، حدث فتح الكجرات أيضاً ، تسمى المدينة فتحبور أو فتحبور سكرى .
 (٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .
 سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٠ .

وفى نفس الوقت وصلت طلبات أعظم خان حاكم كجرات لإرسال الإمدادات ، إذ تحالف المخالفون ضد سلطة أكبر فى هذه الولاية ، وظهروا من مخابثهم بعد مفادرة أكبر ، فخرج هناك اختيار الملك كجراتى والأحباش وأهالى كجرات ومحمد حسين مرزا ، معلنين عصيانهم على سلطات أكبر فى كجرات ومحاربتهم ، فتحرك اختيار الملك ومحمد حسين مرزا وسائر المخالفين مع عشرين ألف من فرسان المنفل والكجراتيين والأحباش وجماعة من الأفغان والراجپوت ، وعندما اقتربوا من أحمد آباد العاصمة تحصن خان أعظم فيها ، وكان يرسل فى كل يوم جمعا للحرب والمناوشة وفى نفس الوقت كان يرسل يوميا تقارير عن الأوضاع إلى أكبر طالبا منه المساعدات ومجىء الرايات (١) ، فرأى أكبر أن يتوجه بنفسه إلى كجرات ثانية ، فطلب من مسؤولى الأمور أن يعدوا لهذا السفر ، حيث استمرت الحملة الأولى لمدة سنة وكان الجند قد فقد الكثير من وسائله ومؤنه نتيجة طول السفر وبعد العودة لم يجدوا فرصة كافية لإكمال النقص ، فصرف أكبر من خزانته زهبا كثيرا ونقودا غير محصورة لحساب العلوفة وإنعام الجند ، واهتم كثيرا فى إعداد أسباب القتال ، واتجه أكثر الأمراء والجند إلى ولاية كجرات (٢) ، وفى يوم الأحد الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م) ركب أكبر ناقصة سريعة السير متوجها إلى كجرات ، وفى الثانى من شهر جمادى

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروى ، طبقات أكبرى ، ص ٣٠٥ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .
- (٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٥ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

الأولى وصل إلى قصبة ديسة التي تقع على بعد عشرين كروها من بيتن وأرسل إلى مير محمد خان كلان عامل ديسة يخبره أن ينضم إليه في قصبة باليسان التي تقع على بعد خمس كروها من بيتن ومعه الجند الموجود عنده فانضم إليه خان كلان بجنده كما انضم إليه جمع آخر من الأمراء وجمع من أعظم الراجپوت من أمثال كنكار ابن شقيق راجه بكوئيداس الذي كان قد أرسل قبل هذا المساعدة خان أعظم ، ولكنه لم يتمكن من العبور من بيتن . (١)

بيد وأن هذه الحملة كانت ذات أهمية كبرى بالنسبة لسابقتها ، حيث طلب أكبر من قواته أن ينزلوا في الميدان ويقوموا أمامه بمناورات وعرض عسكري ، حتى يتأكد من قدراتهم القتالية وأصدر أمره هذا في قصبة باليسان ، وطلب من قواته النزول إلى ساحة العرض بكامل أسلحتهم وذخيرتهم ، فنظم الأمراء أفواجهم وأنزلوا إلى الساحة شابا ذوي خبرة في المعارك ، فتفقد أكبر من باب الحيلة الأفواج ((ولوائه كان واثقا من العون السماوي وإمداد الملائكة له ، إلا أنه نظر إلى عالم الأسباب)) فنظم الأفواج وعين في القلب مرزا خان ابن خان خاتان بيرم خان الذي كان في عنفوان شبابه ، ومعه سيد محمود بارهه وشجاعت خان وصادق خان وجمعا آخر ، كما عين على الميمنة مير محمد خان كلان وعلى المقدمة محمد قلي خان شعباني كما أعطى رئاسة التموين والخزانة لوزير خان وكون أكبر لنفسه مجموعة مكونة من مائة فارس اختيرت من بين آلاف الفرسان ،

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦١ .

وتكفل أنه لو حدث أى خلل فى أى فوج يبادر هو بنفسه مع وحدته الضاربة هذه لتدارك الوضع (١) ، ولم يكن عدد القوات الحاضرين تحت الرايات يتجاوز ثلاثة آلاف فى حين قدر عدد جند المخالفين بأكثر من عشرين ألف (٢) وبعد تنظيم الأفواج أصدر أكبر أوامره بأن لا يغادر أحد الوحدة التى يرتبط إليها ، ثم تحرك من قصبة باليسانه متوجها إلى أحمد آباد عاصمة الولاية بعد أن أرسل مقدما وحدة القراول (٣) إلى خان أعظم لتبشره بوصول القوات وتابع سيره طوال الليل ووصل فى يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الأولى إلى نواحى كرى الواقعة على بعد عشرين كروها من أحمد آباد ، حيث عادت إليه الوحدة الاستطلاعية بتقرير تفيد بأن جمعا كثيرا من المخالفين قد شاهدوا غبار نعال المواكب ، واعتبروا أن هناك قوات على وشك القيام بالهجوم من بيتن فتسلحوا وخرجوا من قصبة كرى استعدادا للمعركة ، فأصدر أكبر أوامره بأن يتحرض فوج من المعسكر مع هذه الفئق ويعد لها عن وسط الطريق دون أن يتقيد بتسخير القلعة ، واستطاع ذلك الفوج أن يجبر المخالفين بالتراجع إلى القلعة ، فتقدم الجند خمس كروهات بعد قصبة كرى ، حيث نزلوا هناك لقضاء الليل وراحة للجند ، وأثناء طلوع الصبح أخذوا طريقهم سرعين إلى ثلاث

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٧ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

محمد عبدالقادر : أوياق مغفل ، ص ٤٢٠ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٧ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦١ .

Edwardes and Garrett: Mughal Rule in India, P.38.

(٣) قراول : كلمة تركية ، بمعنى الوحدة الاستطلاعية .

كروهات (١)، وصل أكبر في خلال تسعة أيام من فتحپور إلى حدود أحمد آباد على النحو الذي ذكر، في حين تقطع هذه المسافة عادة في خلال شهرين، وبارتفاع أصوات الشبور والأبواق، ارتبك المخالفون فجروا في اضطراب إلى خيولهم، وجاء محمد حسين مرزا مع ثلاث من فرسانه إلى ضفة النهر ليتحقق في الأمر، واتفق أن سبحان قلى ترك واحدا من قواد أكبر كان قد ذهب إلى ضفة النهر من هذا الجانب، فصرخ محمد حسين مرزا قائلا: ((يا أخى ما هذا الفوج؟ فأجابه سبحان قلى: إنها كوكبة (٢) دولة خليفة إلهي، جاءت من فتحپور لاستئصال الذين لا يحسنون الرد للجميل)) فقال (٣) محمد حسين مرزا: إن جواسيس أخبروني قبل أربعة عشر يوما من الآن، أن الباد شاه موجود في فتحپور، ولو كان هذا الفوج فوجا بادشاهيا فأين الغيلة البادشاهية التي لم تكن تنفصل عن الركاب؟ فقال سبحان قلى: كيف يمكن للغيلة العملاقة اجتياز مسافة أربع مائة كروه في خلال تسعة أيام؟ فرجع محمد حسين مرزا متحيرا إلى جنده ونظم الأفواج واتجه إلى الساحة وأرسل اختياره الملك مع خمسة آلاف فارس إلى خان أعظم حتى لا يسمح له بالخروج من القطعة (٤)،

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروي: طبقات أكبرى، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.
 سجان راى: خلاصة التواريخ، ص ٣٦١.
 (٢) كوكبة: مجموعة فرسان.
 (٣) محمد قاسم فرشته: تاريخ فرشته، ج ١، ص ٢٦١.
 نظام الدين أحمد الهروي: طبقات أكبرى، ص ٣٠٨.
 محمد هادى: توزك جها نكبرى، ص ١٩.
 P. Spear: A History of India, V. II, P. 30.
 (٤) نظام الدين أحمد الهروي: طبقات أكبرى، ص ٣٠٨.
 محمد قاسم فرشته: تاريخ فرشته، ج ١، ص ٢٦١.
 سجان راى: خلاصة التواريخ، ص ٣٦٢.

ولما امتدت فترة التوقف ، صدرت الأوامر للمقدمة بعبور النهر ، وأمر وزير خان أن يعبر مع الميسرة ، وبعده عبر أكبر النهر معه حراسه ، وأثناء العبور اختل نظام الجند ، حيث دخل الجميع في النهر دفعة واحدة ، ولم يتقدموا قليلا حتى ظهر فوج كبير من جند المخالفين وفي مقدمتهم محمد حسين مرزا مع ألف وخمسمائة فدائي مغلى ، فهاجم المقدمة وانضم اليهم أيضا الأحباش والأفغانيون ورأى أكبر الفتور في المقدمة فهجم على ((فوج العدو كالأسد الغاضب ، ورفع جمع من الخدام الفدائيين نمرات يامعين (١) وهاجموا صف الأعداء)) فأدبر محمد حسين مرزا وشاه مرزا بالفرار ، وتعقبهم الجند ، وكان محمد حسين مرزا مصابا بالجراح ، وأثناء الفرار أدركته شجرة الزقوم فأراد تخليص حصانه منها ولكنه سقط على الأرض ، فقبض عليه كدا على بدخش ، وكان وزير خان على رأس الميسرة ، وكان يقوم بحملات فدائية شجاعة ، وكان فوج الأحباش والكجراتيين يثبتون ويقومون بحملات متتالية ، إلى أن سمعوا عن هزيمة محمد حسين مرزا وشاه مرزا ، فأدبروا من المعركة ، كما كان على رأس الميمنة مير محمد خان كلان الذى أتعب أبناء شيرخان فولادى حتى ولوا الأديار ، فبدأت علائم النصر تظهر ، وصعد أكبر على الهضبة التى كانت تشرف على ساحة المعركة مؤذيا الشكر ، فدخل عليه كدا على بدخش وواحد من خدام خان كلان ومعهما الجريح محمد حسين مرزا ، وكان كل واحد منهما يدعى القبض عليه ، فسأله راجه بيرل عن الذى قبض عليه ، فأجاب بأن إحسان أكبر لى

(١) تكررت كثيرا هذه النعرة ، بلسان أكبر وعندما يريد إثارة حماس جنوده وأن يحسم الموقف مع خصمه ، وربما تكون لهذه النعرة صلة بمعين الدين چشتى المدفون فى أجمير ، والذى كان أكبر مولعا بزيارة ضريحه وفى كل سنة تقريبا .

هو الذي (١) أمسكتي ، فعاتبه أكبر برفق ثم سلّمه إلى رأي سنك الذي قتله فيما بعد ، وبعد ساعة من هذا النصر ظهر فوج منظم من الخصم ، فأخبرت الوحدة الاستطلاعية (قراول) بأنه اختار الطك كجراتي الذي كان يسد الطريق أمام خان أعظم ، فلما علم أنباء هزيمة محمد حسين مرزا ، غير اتجاه سير قواته إلى الصحراء مرتبكين إلى درجة كان جنود أكبر يأخذون سهامهم ثم يضربونهم بها ، كما حالت أشجار الزقوم أمام هروب اختار الطك فقبض عليه شراب بيك — تركمانى وقطع رأسه بخنجر (٢) ، وبعد هذا النصر جاء إلى أكبر أعظم خان والأمرأ ، الذين كانوا متحصنين في المدينة ، فاحتضن أكبر أخاه من الرضاعة ولم يكذب ينتهى من لقاء الأمرأ حتى وصل شراب بيك تركمانى راميا رأس اختار — الطك أمامه ، وأمر أكبر شاه أن تجمع رؤوس القتلى من خصومه والبالغ عددها ألفا رأس ، وترفع منها منارة تكون عبرة للناظرين ، كما أرسل رأسا محمد حسين — مرزا واختار الطك إلى أكره وفتحبور ليعلقا هناك (٣) ، ثم دخل أكبر دار — السلطنة أحمد آبار واستقر بعض الوقت في منازل السلاطين الواقعة في أرك (٤) أحمد آبار ، حيث جاءه الأكابر والأعيان وطبقات الأهالي وأهل الحرف

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٩ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ص ٢٦١ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٩ — ٣١٠ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ .

(٤) أرك : القطعة التى يسكنها الطك .

مهنئين ومقدمين له الهدايا ، وتفقد الذين قدموا خدماتهم في الحملة وأثناء المعركة ، ورقى كل واحد منهم حسب حالته في المنصب والعلوفة ، وتفقد كذلك أحوال الرعية وعموم المتوطنين في أحمد آباد وأمر المحررين بأن يكتبوا وقائع الفتح " فتحنامه " (١) .

هكذا أعيد الاستقرار إلى ولاية گجرات ، وبعد أن اطمأن أكبر شاه عن الأوضاع في تلك الولاية ، غادر عاصمتها في يوم الأحد السادس عشر من جمادى الأولى سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م) متوجهاً إلى عاصمة ملكه في فتحپور ، حيث وصلها في عصر يوم الاثنين السابع من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وكان مجموع أيام الذهاب في هذه الحملة ثلاثة وأربعين يوماً (٢) ، ولكن على الرغم من هذا كله فقد كان يبدو أن الأمور لم تستقر تماماً في گجرات ، إذ تجددت الاضطرابات حيناً بعد حين ، ففي سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) حدثت الاضطرابات بقيادة المرزاوات ، وسبق أن ذكرنا بأن گلرخ بيگم بنت كامران مرزا وزوجة إبراهيم حسين مرزا استطاعت أن تهرب بابنها الصغير مظفر حسين مرزا إلى دكن بمرافقة مهر على أحد خدام زوجها ، وذلك أثناء حصار قلعة سورت في سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) ، وفي هذه الأيام بلغ مظفر حسين مرزا السادسة عشرة من عمره ، فجعل منه مهر على رأس التمرد ، حيث أخرجه من دكن وسيره إلى گجرات

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ .

بقصد الاستيلاء عليها ، واستغل هذا الوضع خصوم الدولة المختبئين ، فظهروا هنا وهناك معلنين العصيان ، ((فحدثت فتن وأعمال شغب عجيبة)) (١) .

كان وزير خان حاكما على كجرات ، وعلى الرغم من أنه كان تحت إمرته حوالي ثلاثة آلاف من الفرسان ، إلا أنه لم يكن يثق في الكثيرين منهم ، فقرر التحصن وكتب عن الأوضاع إلى راجه تودرمل الذي كان موجودا في پتن ومنهما في ضبط أمور كجرات وتشخيصها ، وقبل وصول الراجه ومدده ، حدثت في قصبة ندرسار معركة بين عاظمها باز بهادر بن شريف خان ومظفر حسين مرزا ، انتهت بهزيمة الأول ، فذهب مظفر حسين مرزا إلى كنهايت حيث مكث هناك عدة أيام ثم توجه إلى عاصمة الولاية أحمد آباد ، وفي هذا الوقت كان راجه تودرمل قد وصل إلى أحمد آباد ففادرها المتمردين متوجهين إلى دلوقة حيث تعقبهم إلى هناك الراجه ووزير خان ، وحدثت في دلوقة معركة شديدة انتهت بانتصار الموالين للدولة وانسحاب المخالفين إلى چونه كذه الواقعة على الساحل ، ثم عاد راجه تودرمل إلى أكبر ، ولما اطلع مظفر حسين مرزا على نبأ عودة الراجة ، رجع إلى أحمد آباد وحاصر وزير خان حاكم كجرات ، ((وعلى الرغم من أن وزير خان كان محاطا بجماعة غفيرة ، إلا أنه لم يكن يثق في أنصاره ، فتحصن راعيا الحديقة والحذر)) فوضع مهر على ، مساعد مظفر حسين مرزا السلالم على جدار القلعة ناويا الصعود إليها ، ولكنه أصيب برصاص من داخل القلعة أوداه قتلا ، فأدبر مظفر مرزا هاريسا إلى ندر بار في خاندس ((وخمدت الفتنة وأعمال الشغب)) (٢)

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٧ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٨ .

محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤٢١ .

ثم قبض على مظفر حسين مرزا بواسطة راجو عليخان حاكم خاندسين وأرسل إلى أكبر مقيدا حيث وضعه في السجن ، وبذلك قضى على تمرد المرزوات الذي استمر ثلاثة عشر عاما ابتداء من بداية السنة الحادية عشرة للجلوس وحتى نهاية السنة الثالثة والعشرين منه ٩٧٣ - ٩٨٦ هـ (١٥٦٥ - ١٥٧٨ م) (١) .

سبق أن ذكرنا أن أكبر لم يكن يثق في أمراء كجرات السابقين فوضع الكثيرين منهم تحت الرقابة ، وكان سلطانها السابق مظفر شاه يعيش في كنف أكبر مدة ، حتى زين له بعض أمراء كجرات أن يفر ويعود إليها ليسترجع ملكه ، فاستجاب لهم وفر من آكره ، وحين وصل إلى هناك التف حوله حوالى أربعين ألفا من الأفراد ، فهجم على اعتماد خان الذى كان حاكما على كجرات وظلبه ونهب السكة والخطبة باسمه ، وبذلك أعلن نفسه ملكا على كجرات ، ولما اطلع أكبر على هذه التطورات عين مرزاخان بن بيرم خان على تلك الولاية ، فحارب مظفر شاه وهزمه وطارده إلى دكن ونال على إثرها لقب خان خانان وكذلك رقى بسبب هذا النصر إلى منصب پنجهزاري (٢) الذى لم يكن يوجد في ذلك الوقت منصب أعلى منه (٣) ، وبعد ثمانى سنوات ظهر السلطان مظفر من جديد وجمع

-
- (١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ .
 غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٧٨ .
 (٢) پنجهزاري : قائد الوحدة المكونة من خمسة آلاف .
 محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .
 (٣) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .
 غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .
 عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
 إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

حواله ثلاثين ألفا من الفرسان بمساعدة من كبار ملاك الأراضى فى تلك الولاية ،
فهاجم أحمد آباد ، وكان فى ذلك الوقت قد عين خان أعظم كوكلتاش واليا على
كجرات للمرة الثانية ، فدافع عن عاصمة ولايته وحدثت معركة شديدة قتل فيها
ألف من المخالفين ، كما قتل فيها مائتان من أفراد كوكلتاش وجرح خمسمائة
منهم ، وانتهت المعركة بهروب السلطان مظفر إلى أن قبض عليه فى السنة التالية
فأرسل إلى أكبر ، إلا أنه انتحرف فى الطريق إلى آكروموس كان يخفيها فى
ثيابه (١) وذلك فى سنة ١٠٠١ هـ / ١٥٩٣ م فقطع خان أعظم رأسه وأرسله إلى أكبر
وعاد هو إلى أحمد آباد .

هكذا كان دخول البلاد الكجراتية فى طاعة أكبر وهكذا كانت الاضطرابات
والمعارك تحدث فى تلك البلاد حينما بعد حين ، وكانت كجرات خارجة عن سلطة
سلاطين دهلوى حوالى مائة سنة من سنة ٨٨١ — ٩٨٣ هـ (١٤٧٦ — ١٥٧٥ م)
إلى أن ضمها أكبر فى دولته بالطريقة التى ذكرناها . (٢)

-
- (١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٧٩ .
عبدالصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٠ .
إحسان حقنى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٨ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٥٥ .
(٢) غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

بعد الكجرات اهتم أكبر با خضاع بنكاله وضماها الى ملكه ، حيث كان يحكمها الأفغان خصومه التقليديون ، ولقد اتخذ شير شاه سور من بنكاله وما جاورهاها قاعدة لحملاته التي انتهت بطرد همايون والد أكبر من الهند .

بينما كان أكبر في كجرات يحاصر قلعة سورت الواقعة على الساحل الغربي للهند ، ان جاءته التقارير بأن سليمان كرراني حاكم ولاية بنكاله وبهار قد توفى في سنة ۹۸۰ هـ (۱۵۷۲ م) فخلفه ابنه الأكبر با يزيد الذي قتل بتدبير من الأمراء ، ثم خلفه ابنه الأصغر داود ، وكان سليمان كرراني على صلات حسنة مع أكبر وكان يعترف اسمياً بسيادة الدولة المغولية على بنكاله ، فاستطاع بهذه السياسة أن يجنب حكمه في بنكاله من خطر المغل (۱) ، ولكنه لما تولى ابنه داود السلطة في تلك الولاية ، أغراه ما يخزائنه من أموال كثيرة وما تهيأ له من جند كثيف ، فترك سياسة أبيه المسالمة تجاه المغل واختار سياسة هجومية عنيدة ، وأقدم على تخريب قلعة زمانية التي بناها على قلى خان زمان أثناء حكمه في جونپور ، فأصدر أكبر أوامره الى خان خانان منعم خان الذي خلف بيرم خان في لقب خان خانان (۲) ، ليقوم بتأديب داود وبإخضاع ولاية بهار (۳) .

-
- (۱) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ۳۱۳ .
 محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ۱ ، ص ۲۶۱ .
 أحمد محمود الساداعى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ج ۲ ص ۹۳ .
 جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول ، ص ۹۸ .
 احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ۱۴۸ .
- (۲) خان خانان : أمير الأمراء .

- (۳) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ۳۱۳ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ۳۷۹ .
 غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ۱ ، ص ۱۸۸ .

كان داود في حاجي پور وكان لودي أمير أمراءه يخالفه ويدعى الاستقلال في قلعة رهناس ، وعندما وصل خان خانان منعم خان على رأس الأفواج البادشاهية إلى نواحي پتنه وحاجي پور ، أثر لودي اتباع سياسة سليمان - كمراني فعرض الصلح على خان خانان ، مذكرا خان خانان بالصدقة التي كانت بينه وبين سليمان ، فتقرر أن تقدم له هدايا بمقدار مائتي ألف روبية نقدا ومائة ألف روبية قماشاً (١) ، ويعود بالمقابل الأفواج البادشاهية ، وأرسل لودي أحد رجاله إلى داود فاتحاً له طريق الصلح ، ولكن داود استمع إلى خصي لودي والمقربين عنده وهما قتلوا لوهاني وسرمد هرينگالي ، فقبض على لودي ووضع في السجن ، ويبدو أن لودي نفسه لم يكن صادقا في مصالحته مع المغل ، بل قبل المصالحة كسبا للوقت ، ويعرف هذا من رسالته التي أرسلها إلى داود من سجنه ويقول فيها : ((لو يرى صلاح الطك في قتله فليبادر إلى تنفيذ ذلك ، على الرغم من أنه سوف يندم بعد قتله كثيرا ، ومع أنني لم أجدكم تستمعون إلى النصيحة والخير ، أنصحكم هذه المرة أيضا ، وآمل أن تعطوا به لأنه في صالحكم وهو : أن تحاربوا المغل بعد قتلي حتى النصر ، ولولم تفعلوا سيستولون عليكم وفي هذه الحالة لن تقدروا على معالجة الوضع ، لا تغرنكم مصالحه المغل ، لأنهم لا يتركون الفرصة تفوت من أيديهم)) (٢) ، ولكن قتلوا لوهاني وسرمد هرينگالي

(١) قماش : الثوب الحريري (غياث اللغات ، ص ٣٩٦) .

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣١٤ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦١-٢٦٢ .

رأيا أنه لو قضى على لودى فإن أمر الوكالة والوزارة سينقل إليهما ، فاغتنما الفرصة وتظاهرا لدى داود بالنزاهة والبعد عن الأغراض ، وقدما إليه تقارير مكررة تمهد قتل لودى ، إلى أن باشر داود قتله فاستولى على قبيلته وخزائنه وسائر حشمه ، ومع هذا اعتمد داود على ذلك الصلح الناقص الذى كان قد طرحه لودى ولم يعد نفسه للمعركة ، ولما ذكر نبأ قتل لودى فى مجلس خان خانان عزم على التوجه إلى پتنه وحاجى پور ، فوصل إلى تلك النواحي ، وندم داود من قتل لودى الذى تذكر حسن تدبيره وإصابة رأيه ، فتحرك إلى پتنه محزونا مغمورا ، وفى الوهلة الأولى عزم على الحرب ولكنه انصرف عن القتال وقرر التحصن ، فلجأ إلى قلعة پتنه دون أن يطلق سهما أو أن يخرج سيفا من غلافه ، وتوجهه خان خانان باستصواب من كبار الأمراء إلى محاصرة القلعة . (١)

كتب خان خانان منعم خان إلى أكبر بأن فتح پتنه على وشك الوقوع ، ولأن فتوح هندوستان قد تمت باسمه ، يريد أن يتم فتح پتنه باسمه أيضا ، فيأمل أن يركب السفينة متوجها إلى پتنه (٢) ، فاجتمعت سفن البيوت والمعامل من قورخانه (٣) ، ونقارخانه (٤) ، وخزانة خانه (٥) ، وفرا شخانه (٦) ،

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ص ٢٦٢ .

(٢) بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٣٣٨ .

محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤٢٢ .

(٣) محل ذخيرة الأسلحة .

(٤) المحل الذى تضرب فيه الطبول والأبواق .

(٥) بيت الخزانة .

(٦) إدارة الفراشين .

وجيته خانسه (١) والمطبخ والطوائل وسفن سائر المعامل ، حول السفن الكبيرة المعدة للجلوس الخاص ، وكذلك أخذت طريقها إلى النهر السفن الشراعية وغيرها من السفن ، ثم استراح أكبر عدة أيام في عاصته الجديدة فتحبور ، وأرسل الجيش والفيلة عن طريق البحر وعلى رأسهم مرزا يوسف خان - رضوى وهو من كبار الأمراء ، وركب أكبر السفينة متوجها إلى پتنه في سلخ (٢) صفر عام ٩٨٢ هـ (١٥٧٤ م) (٣) ، وفي العاشر من شهر ربيع الثاني وصل في منطقة دمنى من أعمال بوفور فأرسل من هناك قاسم خان إلى منعم خان ليخبره بوصوله إلى تلك المنطقة ويسأله عما يراه مناسبا بعد هذا ، فعرض خان خانان أن تتابع الرايات سيرها عن طريق النهر ، ويتوجه المعسكر عن طريق البحر ، وطلب خان خانان تزويد جنوده بالأسلحة من القورخانه الخاصة (٤) حيث ضاع معظم أسلحتهم بسبب موسم الأمطار ، فبادر أكبر بإرسال أسلحة كثيرة وبأنواعها المختلفة (٥) ، ثم تابع أكبر سيره حتى وصل على بعد كروهين من پتنه حيث التقى فيه مع خان خانان وسائر أمرائه ، وفي السادس عشر من ربيع الثاني وصل على مقربة من قلعة پتنه ونزل في منزل منعم خان ، وبعد يوم من نزوله أمر بإحضار الأمراء للتشاور ، فخطبهم قائلا : ((إن مدة الحصار قد طالت ولا بأس من تأخير التسخير حتى الآن ، ولكن بعد أن توجهت الهمة الشاهنشاهية

(١) محل تربية وحفظ فهود الصيد .

(٢) سلخ : آخر يوم من أيام الشهر القمري والذي يرى في مغربه الهلال .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبر ، ص ٣١٥ .

(٤) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

(٤) مخزن الأسلحة الخاص .

(٥) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبر ، ص ٣١٧ .

لتسخير القطعة ، فلا تسمح غيرة السلطنة أن تبقى هذه الطائفة في هذه القطعة
بل وفي هذه المملكة ، ويخطر لنا هاليان قطعة حاجي پور هي محور الإمدادات
لهؤلاء الناس ، فلنبادر بالاستيلاء عليها أولاً لنمهد للقضاء عليهم نهائياً (((١)
وحسنت الفكرة من قبل مجلس الأمراء والخوانسين ، ثم قام المجلس بتوزيع
الأروار ، فميين خان عالم على رأس ثلاثة آلاف فارس للهجوم على قلعة حاجي پور ،
وركبوا السفن الرياحية المشحونة بوسائل فتح القلاع ، ورشح لمساعدة خان عالم
أيضاً راجة كجي من زميندارات (٢) هذه المنطقة والذي كان يتبعه أناس كثيرون
وزهب أكبر إلى مورچل أحد قواده المقام على ضفة عالية من نهر گنگ حيث كان
باستطاعته أن يشاهد من هناك قلعة حاجي پور وأن يتابع سير المعركة ، ونظراً
لبعد المسافة وتصادد الدخان والأتربة تعذرت الرؤية والتشخيص ، فأركب فسي
عصر يوم الثامن عشر من شهر ربيع الأول عام ٩٨٢ هـ (١٥٧٤ م) ، مجموعة من
الشبان على غراب (٣) وأرسلهم إلى حاجي پور ليعودوا إليه بالأخبار الموثقة عن
كيفية سير المعركة ، ولما رأى الأفغانيون هؤلاء الشبان هجموا عليهم ، ولكنهم
استطاعوا أن ينجوا من قبضتهم بالسباحة ، فالتحقوا بقوات خان عالم ورزاً وأن قائد
قوات القلعة فتح خان بارهه وكثير من الأفغانيين قد لقوا مصرعهم ، وأصبحت

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣١٨ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٢٩ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mogule, pp. 90 - 91.

(٢) زميندار : مالك الأرض .

(٣) غراب : سفينة رياحية .

القلعة بتصرف خان عالم الذى شحن رؤوس القتلى فى السفن وأرسلها إلى أكبر الذى أرسلها بدوره إلى داود أفغان ((ليرى بعين العبرة رؤوس قواده فيتفكر ويتأمل فى ماله ومصيره)) (١) .

فى الثامن عشر من شهر ربيع الثانى ركب أكبر على فيله وجال به حول مدينة پتنه وقلعتها ، وصعد على پنج (٢) بهارى المكان الذى كان يحازى القلعة ، فلاحظ القلعة وجوانبها بنظر الحيلة وشاهده الأفغانيون من برج القلعة ، فأطلقوا إلى جهة پنج بهارى عدة طلقات ولكنها لم تصب أحدا بسوا ((ولقد ضاقت الصحراء من الأفواج والعساكر البادشاهية والى طوقت أطراف القلعة)) كما وصلت أخبار فتح حاجى پور إلى داود الذى لم يجد طريقا غير الهروب ، فركب السفينة هاربا فى منتصف ليلة الأحد الواحد والعشرين من شهر ربيع الثانى عام ٩٨٢ هـ (١٥٧٤ م) ((وكانت تلك الليلة نموذجاً ليوم الحشر)) ؛ جماعات غفيرة من الناس تتجه نحو مضيق النهر للعبور ، فيفرق الكثيرون نتيجة الازدحام ، والجماعات التى حاولت الفرار عن طريق البر ، وقع الكثيرون منهم تحت أقدام الفيلة والفرسان فى الشوارع الضيقة ، والبعض الآخر ألحقوا بأنفسهم فى الخنادق نتيجة هول المشاهد ، واستطاع كجرخان الملقب بركن الدولة أن يقيم جسرا على نهري پتنه فعبر منه هو ومجموعة من فيله ، فتعاقبه جماعات هاربة

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٨ .

(٢) پنج بهارى : عبارة عن خمس قباب كانت بنيت فى سابق أيام الكفرة .

(طبقات أكبرى ، ص ٣١٩) .

من الأفغان ليفروا عن طريق الجسر هذا ، ولكن الجسر لم يتحمل هذه الكثرة
فانكسر وسقط الكثيرون في النهر. (١)

في أواخر الليل نقل إلى أكبر خبر هروب داود ، وفي الفجر عين أكبر ،
خان خانان منعم خان في القلب ، وتولى بنفسه المقدمة فدخلوا پتنه واستولوا
على كثير من الفيلة التي لم يستطع الهاربون سوقها معهم ، وبذلك تم فتح
هذه المدينة التي كانت في حقيقتها فتحاً لبنكالة حيث لم يستطع الأفغانيون بعدها
أن ينظموا مقاومة تصل إلى هذا المستوى (٢)

مكث أكبر الساعات الأولى من النهار في پتنه ونادى بالأمن والأمان
للأقاصي والأداني ، ثم ترك خان خانان لحراسة المعسكر وأسرع هو مع الجند
في تعقب كجرخان الذي اصطحب معه فيلة داود ، ولقد طارده أكبر حتى
منطقة د ربابور الواقعة على نهر كنگك والتي تبعد عن پتنه ستة وعشرين كروها ،
واستولى على حوالي أربع مائة فيل من الفيلة العملاقة ، وتوقف أكبر في
د ربابور لمدة ستة أيام ثم فوض تصريف أمور بنكالة لخان خانان منعم خان ،
وترك لمساعدته عشرة آلاف فارس آخر ، كما أضاف في عطفة الجند المصاحب

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣١٩ .

سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

محمد عبدالقادر : أويلاق مفصل ، ص ٤٢٢ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣١٩ .

محمد قاسم فرشته ، تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

لخان خانان بنفسه ثلاثين إلى أربعين في العشرة ، وترك لخان خانان أيضاً جميع السفن التي جلبها من آكره ((وسلم ليد اقتداره زمام الحل والعقد وعنان العزل والنصب)) ثم عاد من درياپور إلى عاصمته . (١)

لقد تابع خان خانان مطاردة الأفغان بعد عودة أكبر فهجم على بلدة تانده التي لجأ إليها داود ، وحصن فيها قلعة كرهى إلى درجة كان يعتقد بأنها تحكته من مقاومة المغل خلال سنة ، وكانت وحدة القراول (٢) تقدم إلى خان خانان تقارير عن الأوضاع في تانده ، وعلم منعم خان أن داود يستعد للقتال ، فأحضر الأمراء الكبار للتشاور ثم قام بتعبئة الأفواج ، ولما اطلع داود بأن خان خانان عازم على محاربتة تذكر ما جرى في پتنه فترك تانده ، حيث دخلها خان خانان في الرابع من جمادى الثانية سنة ٩٨٢هـ (٥٧٤ م) ، راضعاً نداء الأمن والأمان ، ولجأ داود إلى ولاية أوريسة التي تقع على الساحل في أقصى البلاد الشرقية للهند ، وعين خان خانان راجه تودرمل مع جمع من الأمراء ليتوجهوا إلى أوريسة بغرض تعقب داود (٣) ، واطلع راجه أن داود موجود في قلعة گنگ بنارس مركز تلك الولاية ويعد نفسه للقتال ، فأرسل راجه إلى خان خانان من يخبره على حقيقة الوضع ، فترك منعم خان بلدة

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ج ١ ، ص ٢٦٢ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

(٢) قراول : الوحدة الاستطلاعية .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

تأنيده والتحق برأجه تودرمل ، ونزل داود قواته أمامهم وحفر الأفغان حول معسكرهم الخندق وبنوا القلعة ، وفي اليوم الثامن من ذي الحجة سنة ٩٨٢ هـ (١٥٢٥ م) نظم خان خانان صفوف قواته وتولى بنفسه قيادة القلب ومعه سائر أمراء الأتمش^(١) ، وعين خان عالم على رأس هراول^(٢) ، وجعل على برنغار^(٣) قباخان كنك كما وضع أشرف خان ميربخش وراجة تودرمل في جرنغار^(٤) ، كما كان ينظم صفوف قوات الأفغانيين على النحو التالي : القول^(٥) وعلى رأسه داود ، والميمنة وعلى رأسها جهان خان حاكم أوريسه ، والميسرة وعليها اسماعيل خان آبدار المطبق بخان خانان ، والمقدمة وعليها كجرخان ((ولقد تزلزلت أركان الأرض من الأسلحة المحمولة على الفيلة الطائشة العملاقة ، وانتشرت الأتربة من حركة الخيول))^(٦) ، وبدأت المعركة وأمر خان خانان أن تطلق نيران المدافع الثقيلة والخفيفة والمقامة على العربات في مقدمة الصفوف فأدبر عدد من الفيلة الطائشة الموجودة في مقدمة صفوف الأفغانيين وقتل عدد من الشبان الأفغان بنيران البنادق ، واستطاع كجرخان قائد مقدمة

(١) أَلْتَمَشُ : كلمة تركية تعني الفوج الذي يكون بين المقدمة والقلب .

(غياث اللغات ، ص ٤٥) .

(٢) هراول : كلمة تركية تعني مقدمة الجيش في المعركة .

(٣) بَرْنِغار : كلمة تركية تعني الميمنة .

(٤) جَرْنِغار : كلمة تركية تعني الميسرة .

(٥) قَوْلٌ : كلمة تركية تعني القلب .

(٦) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٥ ،

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

الأفغان أن يهجم على مقدمة قوات منعم خان ويقتل قائدها خان عالم ، كما انهزم الأتشي أيضا فدخل على القلب ، وبات محاولات خان خانان بالفشل في المحافظة على النظم ، حتى أن كجرخان استطاع الوصول إلى خان خانان نفسه وأصابه بجروح ، ثم تمكن قباخان كنگ قائد المينة من أن يلتف على طرفي الأفغانين وأن يفرقهم شيئا فشيئا حتى شلت حركتهم ، فاستطاع خان خانان أن يعيد النظام إلى قواته ، وفي نفس الوقت أصيب كجرخان بسهم قتل على إثره ، فأثر قتله على معنويات جند الأفغان (١) ، وكذلك هاجم فوج الميسرة مينة الأفغان هجوما مريكا ، وعلم داود زعيم الأفغان بنياً قتل كجرخان فرجع الانسحاب إلى داخل القلعة تاركا غنائم كثيرة ، كما قتل جميع أسرى الأفغانين ، ومكث منعم خان عدة أيام لمعالجة جروحه ، وأرسل تقريرا عن الأوضاع إلى أكبر ، ثم عقد مجلس الأمراء للتشاور ، فقرر إرسال راجه تودرمل وغيره من الذين لهم سبق في المعارك ، ليتعقبوا داود أفغان ، ثم ينضم إليهم خان خانان أيضا بعد التئام جروحه ، وعندما وصل راجه تودرمل ومرافقيه الأمراء على مقربة من القلعة ، أخبرهم الجواسيس بأن داود وسائر الأفغانين قد تحصنوا في قلعة كنگ بنارس مع عوائلهم وأطفالهم ، وأنهم يمشوا من أن يجدوا مفرأ لهم فقررأ أن يحاربوا إلى آخر من بقي منهم في الحياة (٢) ، بعد

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٥ . ٣٢٦ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٦ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

أن يقتلوا نساءهم وأطفالهم ، حيث كان على جانبيهم البحر وفي طرف آخر راجحة أوريصة وفي الجانب الرابع جند المفل (١) ، فبعث راجه تودرمل تقريراً عن هذه الحالات إلى خان خانان منعم خان ، فتوجه خان خانان إلى كنگ بنارس ولم يتوقف إلا على بعد كروهين منها حيث أجرى مشاورات مع الأُمراء ، وباستصواب منهم ، عسكر في ضفة نهر مهندي على بعد نصف كروه من بنارس ، وبدأ في الإعداد والتنظيم لعطيات فتح القلاع (٢) ، وفي نفس الوقت رأى رأييه إلى الأفغانيين بأنهم إخوة في الإسلام ، فأرسل إلى داود من يبلغه بأنه لا داعي بأن تتحمل دماء هؤلاء المستضعفين ، ثم قال له : وإن كنت تركت السلطنة فأرسل الأسباب الباد شاهدة لأرسلها إلى أكبر ، وفي هذه الحالة سوف أطلب منه أن يقطعك ولاية أوريصة وضواحيها ، وقبل داود هذا العرض وأعرب عن استعداد له لعقد الصلح ؛ وفي نفس الوقت كان موسم الأمطار على الأبواب ويستمر البرسات (٣) في تلك الولاية لمدة ستة أشهر ، ويؤدي إلى اختلال ولاية بنكاله التي يكثر فيها الطين والمياه ، فينقطع في خلاله تردد التجار والبضائع (٤) ، ولقد اشترط خان خانان على داود أن يحضر إليه بنفسه للتأكيد على عهد الصلح ، وقبل داود هذا الشرط ، فأقام خان خانان محفلاً كبيراً ، خصص فيه أماكن خاصة

(١) بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٣٤٥ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٦ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

(٣) برسات : كلمة هندية تعنى موسم الأمطار .

(٤) بيات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٣٤٥ .

للأمراء والملازمين الذين اشتركوا في الحملة كل حسب حالته ورتبته ، وأقام أمام مدخل المعسكر صفوا منظمة جميلة ، ثم خرج داود من قلعة كك بنارس وبرفته أمراء الأفغنة وكبار رجاله ، ولما اقترب إلى المعسكر ، رحب به خان خانان واستقبله استقبالا حارا وصاحبه إلى وسط المعسكر وأجلسه على جنبه (١) ، وبعد الانتهاء من حفل الطعام بدأ الكلام في العهد والميثاق ، وتعهد داود أن لا ينحرف طوال حياته ، وأكد هذا الشرط بأحلاف غليظة ، وبعد الانتهاء من كتابة العهد ، قدم خان خانان إلى داود سيفا مرصعا غاليا ووعد به بأن يلتبس من أكبر أن يقطع له ولاية أوريسا ، ثم عاد خان خانان إلى تانده في العاشر من صفر سنة ٩٨٣ هـ (١٥٧٥ م) وكتب عن هذه التطورات إلى أكبر الذي استحسن تصرفاته وقبل جميع ما التمس به خان خانان منعم خان . (٢)

لقد توفي منعم خان في شهر رجب من عام ٩٨٣ هـ (١٥٧٥ م) إثر إصابته بمرض وبائي قضى عليه وعلى خلق كثير ، إلى درجة أن أصبح الناس عاجزين عن دفع الموتى ، فكانوا يلقونهم في النهر ، وتركت وفاته فراغا كبيرا في إدارة البلدان الشرقية من الهند (٣) ، فاستغل داود أفغان هذا الوضع وتناسى العهد الذي قطعه لخان خانان فهاجم تانده واستولى عليها ((وعت الفوضى))

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٦ — ٣٢٧ .

(٢) المصدر نفسه : ط ص ٣٢٧ .

غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

(٣) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٣١ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤٢٢ .

فأصدر أكبر أوامره إلى حاكم پنجاب حسين علي خان تركماني المخاطب بخان جهان بالتوجه إلى بنكاه لتدارك الوضع ، فوصل خانجهان إلى بنكاه واسترد من الأفغانيين قطعة كهري التي كانت تقع في الطريق إلى تانده ، ثم واصل تقدمه إلى حدود تانده التي انسحب عنها داود إلى مكان يحيطه النهر من جانب والجبل من جانب آخر وبنى فيه قلعة لجنده .

كان أكبر يتابع الأوضاع من عاصمته فتحپور ، وأحس أن قوات خانجهان تحتاج لمزيد من القوات المساعدة ، فأمر لمظفر خان حاكم پتنه وبهار ، أن يجمع جميع الأفواج العاملة في تلك النواحي ويتوجه معهم لمساعدة خانجهان (١) ، وأمر أيضا بارسال خمسمائة ألف روية لامداد الجند ، كما أمر بشحن الحبس على السفن من آكره وإرسالها إلى الجند الذين يحاربون الأفغانيين .

التحق مظفر خان بخانجهان مع حوالي خمسة آلاف من جند بهار وحاجي پور وپتنه ، وبدأ بتنظيم الصفوف استعدادا للحرب ، وفي الجانب الآخر أيضا قام داود باتفاق مع جنيد وسائر زعماء الأفغان ، بتنظيم صفوف قواتهم ، ثم بدأت المعركة بين الجانبين ، انتهت إلى هزيمة الأفغانيين ، وأسر داود نفسه فقطع رأسه خانجهان وأرسله إلى أكبر ، كما حصلوا على غنائم

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

كبيرة . (١)

هكذا قضى على حكم الأفغان فى بنكاله ، إلا أنه بقى لهم نفوذهم فى ولاية أوريسسة ، حتى حاربهم فيها راجه مانسنگ بن راجه بهكوانداس فى سنة ١٠٠١ هـ وغلّب عليهم بعد معركة شديدة ، وأصبحت تلك الولاية أيضا فى تصرف أولياء دولة أكبر ، وهى بلاد وسيعة تقع على الساحل فى أقصى بلاد بنكاله ، وبذلك أصبحت حدود الدولة تمتد الى البحر شرقا وغربا . (٢)

وعلى الرغم من أن بلاد بنكاله ضمت الى دولة أكبر وانتهى فيها حكم الأفغان ، إلا أن هذه البلاد شهدت اضطرابات وحوادث ترمد بعد وفاة منعم خان ثم وفاة خان جهان ، استمرت لعدة سنوات ، فبعد أن أرسل مظفر خان الى بنكاله خلفا لخانجهان ، أخذ يتشدد فى معاملته ومحاسبتها مع الأمراء ، وأخذ يعزل كثيرا من أمراء بنكاله وعاطليها ، وأعاد المعاملات القديمة الى التحقيق ، وأمر

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٤ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٩٤ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ٩٨ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٩ .
- (٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .
عبدالصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٠ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٨ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

بتقييد بعض الأمراء وضربهم بالشلاق في سبيل تحصيل مبالغ كانت عليهم ولم يهتم إلى التماس بابا خان قاقشال زعيم القاقشاليين (١) في إعادته إلى منصبه وعدم اجراء التحقيق معه ، إضافة إلى أنه خرجت من لسانه كلمات مجرحة ضد بابا خان قاقشال ، فقرر القاقشاليون التمرد وقاموا بنهب أموال مظفر خان في عدة أماكن وذلك في سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨١ م) (٢) ، وعندما اطلع أكبر شاه على هذه التطورات ، أصدر أوامره إلى مظفر خان بأن طائفة القاقشاليين لهم سبق الخدمة ولا يستحسن إزعاجهم ، فلتبادر إلى استمالتهم وإرجاعهم إلى مناصبهم ، ووصل هذا المرسوم في الوقت الذي كان مظفر خان في مواجهة تلك الجماعة ، وتظاهر بابا خان قاقشال بالطاعة وطلب من مظفر خان أن يرسل إليه رضوى خان وتيرداس ليطمئن من جانبه ، فأرسل مظفر خان ، رضوى خان ومير أبو اسحاق وراى تيرداس ، ولكن بابا خان قيد هؤلاء الثلاثة ، وفي نفس الوقت اتفق أن حدث في ولاية بهار ما حدث في ولاية بنغال ، إذ تشدد ملاطيب وپيرگهوتم بخش متوليا مهام تلك الولاية ، وأبعدا محمد معصوم كابلوى وعرب بهادر وسائر أمراء بهار من أعمالهم وأسأوا معاملتهم ، فلجأ معصوم كابلوى إلى التمرد باتفاق مع عرب بهادر وغيره وقصدوا قتل ملاطيب وپيرگهوتم اللذين اضطرا للفرار تاركين أموالهم نهبا ، وبعد عدة أيام جمع پيرگهوتم حوله مجموعة

(١) القاقشاليون : هم فرع من المغفل ، ولقد أبلاوا بلاها حسنا في توطيد حكم السلطان في الهند ، وخاصة في معارك الدولة ضد الأزابكة وضد الأفغانيين في الأقاليم الشرقية ، ووصل بعض أفراد هذه الأسرة إلى مناصب عالية في حكم الأقاليم وقيادة الجند .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

محمد عبدالقادر : أوياق مغفل ، ص ٩٨ .

من القوات فعبّر نهر جوسا لمواجهة المتمردين ، إلا أنهم باغته
فقتلوه . (١)

لما وصلت أنباء تمرد معصوم كابلى إلى القاقشاليين ، تبودلت بين الجانبين
الرسائل والرسائل ، فاتجه معصوم إلى مساعدة القاقشاليين ، وأرسل مظفرخان
فوجا بقيادة خواجه شمس الدين ، ليقوم بسد الطريق أمام معصوم ، إلا أن معصوم
كان يصاحبه جمع غفير فحارب شمس الدين وغلب عليه وانضم إلى القاقشاليين الذين
قويت شوكتهم به ، فعبروا النهر معا لمحاربة مظفرخان ، الذى تحصن فى قلعة
تائده التى لم تكن أكثر من جدران أربعة ، فاستولى المتمردون على تائده وقلعتها
وأخرجوا منها مظفرخان وقتلوه ، وبذلك أصبحت ولايتى بنگاله وبهار فى قبضة
المتمردين الذين جمعوا حولهم حوالى ثلاثين ألف فارس ، كما أخرجوا شرف
الدين حسين مرزا من سجن مظفرخان وعينوه قائدا لهم (٢) .

بعد أن اطلع أكبر على هذه التطورات ، بادر بإرسال مجموعة من أمرائه
وفى مقدمتهم راجه تودرمل ، ليقوموا بإخماد الاضطرابات فى ولايتى بنگاله
وبهار ، وإعادة سلطة الدولة فيهما ، كما أصدر أوامره إلى حكام المناطق
القريبة من هاتين الولايتين ، ليقوموا بمساعدة راجه تودرمل فى أداء مهمته .

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٥ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٤ .

غلام حسين طباطبائى : سیر المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٥-٣٤٦ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٤ .

محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٩٨ .

لما وصل راجه تودرمل وكبار الأمراء الى جونپور ، التقوا بمحمد معصوم — فرنخوى حاكم جونپور ، ولا حظوا وجود تحركات تشتم منها رائحة عدم الاخلاص والولاء ، ولكن راجه تودرمل كان يداريه ويسعى لتسليته واستمالته ، فقدم للأمراء ثلاثة آلاف فارس بكامل أسلحتهم ، ثم تقدموا الى قصبة مونگیر حيث جمع المتمردون حولهم حولى ثلاثين ألف فارس وخسمائة فيل ومدافع وسفن حربية ، ولم يستحسن راجه تودرمل أن يدخل المعركة بجنود بنگاله ، حيث لم يكن يشق فيهم فتحصن فى قلعة مونگیر وبنى حول القطعة القديمة قطعة أخرى ، وطالبت الاشتباكات بين الجانبين لأربعة أشهر ، حتى وقف بعض ملاك الأراضى (١) فى تلك النواحي الى جانب الموالين للدولة ، فسدوا طريق إمداد المخالفين بالفلال ، فظهرت فيهم عسرة شديدة ، كما مرض باباخان قاقشال فى تانده وأصبح ينتظر الموت ، فترك المتمردون حصار راجه تودرمل ، وانسحب معصوم — كابلى الى بهار كما اتجه عرب بهادر الى پتنه للاستيلاء عليها ، إلا أن حاكمها ثبت فى مقاومته حتى وصلت إمدادات من راجه تودرمل أجبرت عرب بهادر على ترك الحصار .

لما طالت حوادث بنگاله ، استعان أكبر بخان أعظم الذى كان يعيش تحت الرقابة فى ناحية من آگره ، فأرسله الى بهار ومعه خمسة آلاف فارس . (٢)

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٦ .

سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٥ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٦ — ٣٤٧ .

سجان راي : خلاصة التواريخ : ص ٣٨٥ .

لقد استمر اتساع دائرة التمرد في البلدان الشرقية هنا وهناك ، حتى استطاع مرزا عزيز كوكه الملقب بخان أعظم (١) أن يضع حدا لها في سنة ١٩٩٢ هـ (١٥٨٤ م) ، حيث تمكن من استمالة الكثير من المتمردين وخاصة القاقشاليين فأعيدت إلى سلطة الدولة الأراضي التي كان قد استولى عليها المتمردون ، ولم يرغب خان أعظم أن يستمر في تصريف أمور بنگاله ، ولكنه عاد إلى منزله في أكره بعد أن أعاد النظام في بنگاله ، وعين أكبر شهبازخان حاكما على تلك الولاية ، وأمره أن يقطع جميع الأراضي السلطانية للجند ، فتوجه شهبازخان إلى تولي مهامه في السابع عشر من جمادى الثانية سنة ١٩٩٢ هـ (١٥٨٤ م) (٢) .

-
- (١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .
(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٥٤ .
سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .
غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

كانت لحوادث التمرد في الأقاليم الشرقية انعكاساتها في كابل ،
وسبق أن قام مرزا محمد حكيم ، حاكم كابل والأخ الأصغر لأكبر ، بمهاجمة
پنجاب في أوائل أيام أكبر ، ولكن حملتها باءت بالفشل ، وفي هذه المرة
اتصل به المتمردون من الأقاليم الشرقية وأغروه بالهجوم على هندوستان ،
والاستيلاء عليها مستغلا في ذلك انشغال أكبر بحوادث الاضطرابات والتمرد
في ولايتي بنكاله وبهار وما جاورها ، فلبى مرزا محمد حكيم هذا الطلب وأرسل
مقدا خادمه المسمى شادمان الذي عبر نهر نيلاب الذي كان يفصل بين ولايتي
پنجاب وكابل ، ولكن كنورمانسنگ هاجمه وقتله ، وعلى إثر سماع هذا النبأ ،
عبر مرزا محمد حكيم بنفسه النهر ونزل في قصبة سيد پور ، ثم وصل إلى لاهور
ونزل في حديقة مهندي قاسم (١) .

كانت لولاية كابل أهميتها الاستراتيجية الخاصة ولم يكن أكبر ليفرط
في أمنها وحفظ ولائها لدولته ، وذلك على الرغم من مشاكلها الداخلية ،
وعلى الرغم من استيلاء المتمردين على الأقاليم الشرقية من دولته ، وصحيح
أنه ليست لهذه الولاية محاضيل تذكر ، إلا أن القدر جعلها بوابة الهند ،
فمن هنا كان يرسل حاكم هندوستان مبالغ هائلة إلى هناك لنفقات الجند ،
حتى تقوم بحراسة حدود الدولة مع توران (٢) وإيران ، وفي الأزمنة السابقة

(١) نظام الدين أحمد الهروي ، طبقات أكبري ، ص ٣٤٢ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٢) توران : ما وراء النهر .

لما كانت كابل خارجة عن سلطة حاكم الهند ، كان التورانيون يقومون بفارات على أطراف هندوستان ، فكانت نتیجتها خراب ولاية پنجاب المجاورة لكابل ، وكلما كانت الهند وكابل فى سلطة حاكم واحد ، كلما كانت پنجاب معمورة ، وكانت الهند آمنة (١) ، ومن هنا لما سمع أكبر على نبأ عبور مرزا محمد حكيم من نهر نیلاب ، تحرك إلى پنجاب وترك ابنه الأمير دانیال ليقوم بتصرف مهام الدولة فى العاصمة أثناء غيابه ، ووصل أكبر إلى قصبة پانی بت ، ولما سمع مرزا محمد حكيم بأن أكبر بنفسه فى الطريق اليه على رأس قواته ، عاد من لاهور إلى كابل ، إلا أن أكبر تعقبه وأرسل مقدما ابنه الأمير مراد وأكثر الأمراء الكبار ليخضعوا كابل ، ولما وصل الأمير مراد على بعد سبع كروهاة من كابل هاجمه عنه مرزا محمد حكيم (٢) فى منطقة خورد كابل الواقعة على الجنوب الشرقى من كابل ، ولكنه انهزم وتولى هاربا ، فدخل الأمير مراد كابل ، التى وصلها أكبر أيضا فى يوم الجمعة العاشر من رجب عام ٩٩٠ هـ (١٥٨٢م) واطلع أكبر أن أخاه موجود فى غوربند الواقعة فى شمال كابل والقريبة من حدود الأزبكة حكاه ما وراء النهر ، فبادر أكبر إلى إرجاعه

(١) سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٨٨ .

أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٩ — ٣٥٠ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٣٦٤ .

أحمد محمود الساداتى : تاريخ السلمين فى شبه القارة الهندية

وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ٩٩

عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٥ .

وتسليته خوفاً من أن يلجأ للأزبك ، فأرسل في طلبه لطيف خواجه ، فعاد مرزا محمد حكيم وغفا عنه أكبر وترك له حكم كابل ، ثم عاد إلى هندوستان بعد أن تنزه لمدة سبعة أيام في حدائق كابل ، وبعد الاطمئنان على الأوضاع في كابل ، أرسل قسماً كبيراً من الأمراء والجند الذين اشتركوا في حملة كابل ، إلى الأقاليم الشرقية لمساعدوا خان أعظم في إعادة النظم إلى تلك المناطق (١) .

توفي مرزا محمد حكيم حاكم كابل في سنة ٩٩٤ هـ (١٥٨٥ م) ، ومرة أخرى نرى اهتمام أكبر الفائق بكابل ، إذ فور سماعه نبأ وفاة أخيه ، أصدر أوامره إلى حاكم پنجاب راجه بهيكو أنداس وابنه كنورمانسنگ أن يتوجها إلى كابل ويستوليا عليها ، وتوجه أكبر بنفسه أيضاً إلى پنجاب (٢) لمراقبة الأوضاع عن قرب ، وكان أكبر يريد أن يبقى كابل في أيدي أبناء محمد حكيم — مرزا ، إلا أن الأمراء الكبار عرضوا عليه أن أبناء أخيه ما زالوا في الصف — وحدثة السن ، فلم يتأهلوا بعد لتحمل مسؤوليات الحكم ، وأن الأزابكة قد استولوا على بدخشان الواقعة في الشمال الشرقي لكابل ، وهم بالمرصاد ، فاستصوب أكبر هذا الرأي وعين كنورمانسنگ والياً على كابل ، وطلب أبناء

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٥١ — ٣٥٢ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٩ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

أخيه إلى الهند خوفاً من أن يلجأوا إلى حاكم توران عبدالله خان أريك
وفي الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ٩٩٤هـ (١٥٨٦م) كان أكبر
في طريقه إلى پنجاب ، إذ جاءه تقرير من كنورمانسنگ يطمئنه فيه عن إخلاص
أهالي كابل وولائهم للدولة ، وأن الأوضاع مستقرة (١) .

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٩ .

Ishwari Prasad : A Short History of the Muslim Rule
in India, P.249.

بعد الاطمئنان على الأوضاع في كابل تم فتح كشمير سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٧ م) ، وكانت قبل هذا تحت حكم الطوك المسلمين ، إلا أن الفساد والفتن والمنازعات كانت تسودها ، فانتهز أكبر أئمة وجوده في لاهور وهو يتابع تطورات كابل ، فرصة الفوضى الضاربة في كشمير ، فأرسل مرزا شاه رخ وراجة بهكوانداس وشاه قلي خان محرم وغيرهم من الأمراء الكبار ليقوموا بتسخير تلك الولاية ومعهم حوالي خمسة آلاف فارس ، ولما وصلت القوات إلى مرمبهولياس الجبلى الواقع على حدود كشمير ، رأوا أن حاكم كشمير يوسف خان قد سبقهم إلى هناك فوجدوا الطريق قد سد أمامهم ، وفي نفس الوقت بدأت السماء تمطر الأمطار والثلوج ، وانقطع وصول الغلال من الأطراف ، فقال الأمراء للصلح (١) ، واغتم يوسف خان هذه المصالحة فجاء إلى لقاء الأمراء ليصحبهم إلى أكبر الذى لم يؤيد المصالحة فمنع الأمراء من اللقاء به لعدة أيام تعبيرا عن استيائهم لما قاموا به .

في أوائل شهر شعبان سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٧ م) أرسل أكبر مجندا قوات لإخضاع كشمير ، وكان يقود القوات في هذه المرة محمد قاسم خان

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبناطرة المغول ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٦ .

إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ،

ص ١٥١ - ١٥٢ .

أمير البحر والبر^(١) ، كما كان يصحب هذه الحملة عدة آلاف من النحاتين الذين كانوا يتقدمون منزلا بعد منزل ويقطعون الأحجار ويقطعون الأشجار ويوسعون الطرق والمسالك^(٢) ، وعندما وصلت القوات إلى حدود كشمير وجدوا أن يعقوب بن يوسف خان قد سد أمامهم ممر كرتل الجبلى ، إلا أن عددا من الأمراء الكشميريين انضموا إلى محمد قاسم خان قائد قوات أكبر ، كما رفع جمع آخر لواء المخالفة فى سرى نگر عاصمة كشمير ، فاضطر يعقوب أن يعود إلى العاصمة ليقوم بإخماد الاضطرابات ، فدخلت قوات أكبر إلى كشمير دون مقاومة تذكر ، وهرب يعقوب إلى المناطق الجبلية واستولى محمد قاسم خان على سرى نگر ، كما أرسل العاطلين إلى القصبات ليقوموا بإقرار النظم ، وجمع يعقوب قواته مرة أخرى وحارب محمد قاسم خان ، إلا أنه انهزم ، كما قام فى المرة التالية بهجوم ليلى مباغت ، ولكنه لم ينجح ، وتعقبه الجند إلى الجبال المليئة بالأشجار والوديان الضيقة ، وكان أن يقبض عليه ، إلا أنه أعلن ولاءه فالتقى بمحمد قاسم خان وأصبح من الموالين لدولة أكبر ، وبذلك تم إخضاع كشمير وإدخالها إلى سلطة آكره ، وأصبحت مصيفا للباد شاه وحاشيته^(٣) ، ثم

(١) أمير البحر والبر " ميربحر و بر " كان يطلق هذا اللقب على رئيس الجمارك .

(٢) عبدالصمد : مكاتبات علامى ، ص ٢٨ .

نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٠ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٩٥-٣٩٦ .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول ، ص ١٠١ .

عين يوسف خان حاكما على كشمير وتمكن من إقرار النظام هناك ، كما كافأ
أكبر شاه قائده محمد قاسم خان بتعيينه حاكما على كابل (۱) .

في سنة ۹۹۷ هـ (۱۵۸۹ م) زار أكبر هذه الولاية الفاتنة وقام بالتنزه
في أرض الورود - كما يسميها في رسالته إلى ملك إيران - وتابع سيره إلى
أقصى جبال كشمير وتبت ، وقضى أفراح أيام عيد الفطر هناك ، ثم توجه
إلى كابل ومن هناك إلى غزنة عائد إلى هندوستان . (۲)

-
- (۱) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ۱ ، ص ۲۶۲ .
غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ۱ ، ص ۱۹۸ - ۱۹۹ .
(۲) عبدالصمد : مكاتبات علامي ، ص ۸ ، ۲۸ .
غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ۱ ، ص ۱۹۹ .

فى الوقت الذى كان لأكبر قوات تقوم بإخضاع كشمير ، كانت قوات أخرى تحارب الأفغانين فى مواطنهم الأصلية على الحدود الشمالية الغربية للهند ، وهذه منطقة تفصل ما بين ولاية كابل وغزنى من جهة والهند من جهة أخرى ، كما يقع فيها مرخيسر ، البوابة الرئيسية لدخول الغزاة القادمين من الشمال وبعد ضم كابل ضما مباشرا إلى سلطة أكبره ، عزم أكبر على إخضاع قبائل الأفغان الساكنين فى هذه المنطقة ، ليؤمن دولته من غاراتهم من جهة وليؤمن الطريق إلى كابل من جهة أخرى ، خاصة أن دولة الأزابكة فيما وراء جبال هندوكوه قد استطاعت أن تقضى على حكم مرزا سليمان فى بدخشان وتستولى عليها ، وبالتالى أصبح خطرهم أكثر تهديدا لسلطة أكبر فى كابل . (١)

كان قد ظهر فى وسط الأفغانين شخص هندوستانى سمي نفسه —————
بير روشنائى (٢) ، وجعل الأفغانين مريدين له ، ولما توفى بير روشنائى فى سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨١ م) ترك ابنا فى الرابعة عشرة من عمره يسمى جلاله ، وعندما عاد أكبر من كابل أخذ معه جلاله المذكور ليعيش فى البلاط ، ولكنه هرب بعد فترة إلى الأفغانين ، وأصبح على رأس التمرد فيهم ، وإن جمع حوله خلقا كثيرا وسد طريق هندوستان — كابل ، ولما اطلع أكبر على هذه الأحداث أمر الهندوكى كنورمانسنگ فى سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٢ م) ليقوم بمحاربة هذه الطائفة

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ص ١٠٠ .

أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،

ص ٩٦ — ٩٧ .

(٢) بير روشنائى : المرشد النير .

التي سمت نفسها بالطائفة المنسورة^(١) ، كما كان زين خان كوكه يقود قوات أخرى لمحاربة الأفغانيين في منطقة سواد ، وكانت أعدادهم غفيرة ، فأرسل أكبر في الثاني من شهر صفر عام ٩٩٥ هـ (١٥٨٧ م) قوات مساعدة لزين خان ، وكان في هذه القوات راجه بيريل وشيخ فيضى وغيرهما من كبار رجالات الدولة ، وبعد أيام أرسل كذلك قوات جديدة أخرى وفيها حكيم أبو الفتح وجمع آخر من الأمراء فالتحقت هذه القوات بزين خان كوكه الذي قوى عضده بهذه القوات ، فهاجمت الأفغانيين ، وحصلت منهم على غنائم كبيرة ، إلا أنه حدث ما لم يكن يتوقع نتيجة عدم التنسيق بين زين خان كوكه والقوات الجديدة ، إذ قال قائل لراجه بيريل بأن الأفغاننة يريدون مباغتكم في أثناء الليل ، فلو عبرتم من الجبال الثلاثة أو الأربعة التي أمامكم ستكونون في مأمن من مباغتتهم ، فعبر راجه بيريل الجبال مع الجند دون اتفاق وتنسيق مع زين خان ، وانتهى النهار وجاء ظلام الليل فضل الجند الطريق ووقع الكثيرون في الوديان والخنادق فهلكوا ، كما كان الأفغاننة أيضا بالمرصاد ، فحدثت هزيمة نكراء^(٢) ، وهلك حوالى ثمانية آلاف شخص كما قتل أيضا راجه بيريل وجمع كثير من الأعيان ، وانهزم نتيجة ذلك أيضا زين خان كوكه وحكيم أبو الفتح في الخامس من ربيع الأول سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٧ م) ، وانسحبوا بصعوبة إلى قلعة أتك^(٣) ، وغضب عليهم أكبر فحرّمهم من الحضور

-
- (١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .
نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦٨-٣٦٩ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .
(٣) قلعة أتك : بناها أكبر من الجص والحجر في سنة ٩٨٠ هـ بعد عودته من كابل ، لضبط الأمور في نواحي نيلاب ، ويرى الهندوس أن العبور من نهر نيلاب ممنوع ، فسميت القلعة بأتك لأن هذه الكلمة تعنى في اللغة الهندية المنع . (تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٤) .

لعدة أيام ، ثم عين راجه تود رسل على رأس جيش كبير ليقوم بتدارك الوضع ، فأقدم راجه ، من واقع خبرته ، إلى إحداث عدد من القلاع فى المناطق الجبلية واستطاع أن يضيق الساحة على الأفغانيين ، كما حدثت معركة أخرى بين كنورمانسنگه وأتباع جلاله فى ممر خير الإستراتيجى ، حيث هددوا طريق القافلة ، وانتهت المعركة بهزيمة الأفغان وقتل الكثيرين منهم (١) ، وهرب جلاله لاجئاً إلى عبد الله — خان أزيك زعيم الأزابكة وخصوم أكبر التقليديين ، ثم عاد من هناك فى سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢ م) عازماً على إثارة الاضطرابات من جديد ، وقام بسد ممر خير الذى يوصل الهند بكابل ، فعين أكبر أحد قواده وهو جعفر بيك آصف — خان ليقوم بمحاربته باتفاق مع محمد قاسم خان حاكم كابل ، كما كان نظام الدين أحمد الهروى (٢) يتولى منصب رئاسة النفقات والخزانة فى هذه الحطة ، كما ودع زين خان كوكه أيضاً فى أواخر شهر شعبان من تلك السنة ليقوم بإقرار النظام فى ولاية سواد و بيجوروتيراه (٣) ، ويساعد فى القضاء على تمرّد جلاله وأتباعه (٤) ، وفى الرابع عشر من ذى القعدة سنة ١٠٠١ هـ (١٥٩٣ م) عاد زين خان كوكه وآصف خان إلى أكبر بعد أن قتلوا الكثيرين من أتباع جلاله ، كما قبضوا على حوالى

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٩ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

(٢) هو مؤلف كتاب " طبقات أكبرى " .

(٣) هذه المناطق من المواطن الأصلية للأفاغنة ، وهى مناطق جبلية متحصنة ، وإلى الآن يعيشون عيشة عشائرية .

(٤) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٥ — ٣٧٦ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

أربعمئة شخص من أهله وعياله وأقاربه وأتباعه وجاءوا بهم إلى أكبر ، وفي النهاية استطاع أكبر بحملاته المتتالية على الأفغانيين ، أن يحد من خطرهم ، حيث انقاد له أغلبهم كما قتل الكثير منهم تحت أقدام الفيلة العملاقة ، وكذلك أسرجمع آخر من هؤلاء الذين بيعوا في أسواق سمرقند وبخارى وتركستان^(١).

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٩ .
عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٩ ، ٧١ .

فى الوقت الذى كانت هناك قوات تحارب الأفغانين فى مواطنهم الجبلية ، كانت قوات أخرى يقودها خان خانان مرزا خان ، لإخضاع السند وبلوچستان وقندهار .

استقر أكبر بمدينة لاهور بينجاب لعدة سنوات ، وفى خلال هذه المدة لم يقم جاني بيك حاكم تهنه (١) بزيارة أكبر حتى يظهر خضوعه له ، فقرر أكبر إخضاع بالقوة ، وعين لإجراء هذا الأمر خان خانان مرزا خان فى شهر ربيع الثانى سنة ٩٩٩ هـ (١٥٩١ م) ومعه جمع من الأمراء الكبار من أمثال شاه بيك خان كابل وفريدون برلاش وسيد بهاء الدين بخارى ، يصاحبهم أعداد كبيرة من الفيلة وعدد من المدفعية (٢) ، ووصل خان خانان إلى قلعة سهوان فحاصرها ، ثم علم أن جاني بيك ومعه ملاك الأراضى فى تلك الولاية فى طريقهم إليه بسفن كثيرة ، كما توجد عندهم المدفعية ، فترك الحصار وتقدم إلى الأمام حتى وصل إلى نصير پور على بعد سبع كروهاى بين الفريقين ، فأرسل جاني بيك جميع سفنها التى كان يتجاوز عددها المائة ، كما كانت هناك حوالى مائتا سفينة مشحونة بالرمال والمدفعية ، وعلى الرغم من أن خان خانان لم يكن يملك أكثر من خمس وعشرين سفينة ، إلا أنه استمر فى الاشتباكات مع قوات جاني بيك ، ولقد

(١) تهنه : اسم آخر لولاية السند .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٤ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤١٤ .

Ishwari Prasad : A Short History of the Muslim Rule in India, P. 250.

تمسرت أحوال جند خان خانان بسبب قلة المؤن والغلال وإطالة مدة الحصار فكتب عن الأوضاع إلى أكبر الذى أسرع بإرسال الغلال والمؤن من لاهور إلى ملتان على ظهر السفن ، كما أرسل قوات جديدة ، وإمدادات نقدية وعينية ومدافع ثقيلة (١) ، وبعد وصول هذه القوات شدد خان خانان على حملاته المتوالية على قوات جاني بيگ الذى اضطر إلى الانسحاب ، فاستولى خان خانان على قلعة التى كان قد بناها فى موقع تحيطه المياه ، كما قتل حوالى مائتى شخص من جنود جاني بيگ المحمولين على السفن ، واستولى خان خانان كذلك على سبع سفن منها ، وهدم القلعة ، وحدث هذا النصر فى ربيع الثانى من عام ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢ م) ، ثم لم يتمكن جاني بيگ من الاستمرار فى المقاومة إذ حدث وسط جنوده ضيق شديد ، بحيث كان أنصاره يقومون بأكل خيولهم وجمالهم ، كما كان يقتل منهم فى كل يوم الكثيرون بضرب المدفع والبندقية ، وفى نفس الوقت كان مرض الوباء قد انتشر بينهم ، فاضطر جاني بيگ إلى الصلح . (٢)

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٥ .
غلام حسين طبا طبائسى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

- (٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٨ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٧ .
غلام حسين طبا طبائسى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

يبدو أن أكبر كان موفقاً في نشر الإشاعات والدعايات لصالحه ، إذ فسى الوقت الذى أصيب الناس فى ولاية تهتهه بوباء عظيم ، أشيع فى أوساط الأهالى بأن هذا الوباء جاء نتيجة لسوء نيات حكام الولاية وسوء أعمالهم ، فلو خضعت الولاية لسلطة أكبر وراجت فيها سكتة سيزول الوباء عن الناس ، وباشتجار هذه الشائعة أصبح الناس يدعون لجنود أكبر بالظفر ، وعلى أية حال لقد قبل خان خانان المصالحة مع جاني بيك الذى تعهد بالولاء لدولة أكبر ، كما زوج بنته لابن خان خانان الأكبر ، ثم جاء فى سنة ١٠٠١ هـ (١٥٩٣ م) إلى ملازمة أكبر الذى رفاه إلى منصب سه هزاري (١) ، كما أعاده إلى تلك الولاية ليقوم بتصريف أمورها (٢) ، وبذلك تم إخضاع ولاية السند ، كما سهل فتح هذه الولاية الاستيلاء على بلوچستان وإعادة قندهار إلى سلطة الدولة ، إذ أمر خان خانان أن يسرع للاستيلاء على قندهار التى تعتبر بوابة أخرى للدخول إلى الهند من حدود إيران ، وكانت بلوچستان على طريق الوصول إلى قندهار فنصح أكبر قائده الكبير خان خانان بأن يحاول استمالة زعماء البلوچ ، فان أبوا الطاعة يحاربهم أولاً ثم يوالى سيره إلى قندهار ، إلا أن خان خانان نجح فسى

(١) سه هزاري : قائد الوحدة التى تتكون من ثلاثة آلاف جندي .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٢) غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

عبدالصمد : مكاتبات علامى ، ص ٨ - ٩ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المفلول ، ص ١٠١ .

عبدالمعنى النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٦ .

السيطرة على بلوچستان دون معارك تذكر ، ثم تقدم إلى قندهار حيث كان حاكمها مظفر حسين مرزا (١) بانتظاره ، إذ تولى عرش ايران شاه عباس الأول ، فخاف من سطوته كما لم يكن مطمئن البال من ناحية الأزابكة الذين كانوا يواصلون معاركهم ضد الصفويين ، فاستنجد بأكبر (٢) ، الذى أنجده ليسترجع قندهار إلى ملكه من جديد وليقطع امتداد نفوذ خصومه الأزابكة إليها أيضا ، وهكذا أعيدت قندهار إلى حوزة الممالك الهندية دون قتال ، مستغلا في ذلك المنازعات الموجودة داخل الحكام الصفويين .

هكذا تم لأكبر إخضاع الهند الشمالية والوسطى ، وأصبحت دولته قبل أن ينصرم القرن العاشر الهجرى ، دولة متسعة الأرجاء ، امتدت من أوريسة آخر حدود بنكاله شرقا وإلى كجرات والسند وقندهار غربا ، ومن جبال هماليا فى الشمال إلى نهر نربده فى الجنوب ، كما اتسعت فى الشمال الغربى إلى كابل وجبال هندوكوه (٣) وأطمأن أكبر بعد ذلك على دولته بعد أن أمن أبواب الهند ، فترك لاهور متوجها إلى حدود الدكن فى الجنوب ليحاول إدخاله أيضا إلى دولته .

(١) مظفر حسين مرزا : هو ابن بهرام مرزا شقيق شاه طهماسب الصفوى .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

عبدالصمد : مكاتبات علامى ، ص ٩-١٠ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول ، ص ١٠١-١٠٢ .

أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٩٧ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٩٧ .

عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٦ .

كانت السلطنة البهمنية (١) تحكم دكن منذ منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر للميلاد) إلى أن ضعفت في أواخر القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد) وقام على أنقاضها خمس إمارات يرأس كل واحدة منها أمير من أمراء السلطنة المتفلبون ، ومنها الإمارة البريدية التى كانت سباقه فى اغتصاب السلطة والتغلب على السلطان البهمنى ، وفى سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٦ م) ولما علم شاه كليم الله البهمنى ، آخر سلاطين الأسرة البهمنية بأن بابر شاه قد استولى على دهلى ، أرسل إليه أحد مقربيه يستنجد به فى استخلاصه من أمراء المتفلبين ، الذين سيطروا على أطراف دكن وجوانبها ولم يتركوا له من السلطنة إلا الاسم ، ووعد كليم الله البهمنى لباير شاه ، بأنه لو أنقذه من هذه الحالة ، فسيقدم له إمارة برار من الإمارات الدكنية ، ولكن بابر شاه لم يعط لهذا العرض أى اهتمام لأنه لم يكن قد فرغ من تمكين دولته فى الهند بعد ، ولأن كجرات وغيرها من الإمارات كانت تحول بينه وبين ما أراد السلطان كليم الله ، الذى توفى فى أحمد نكر فى سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٨ م) وبوفاته انتهت السلطنة البهمنية من الوجود وخلفتها إمارات خمس هى :

العماد لشاهية نسبة إلى مؤسسها يوسف عادل شاه وعاصمتها بيجا پور ،
والنظام شاهية نسبة إلى مؤسسها نظام الملك بحرى وعاصمتها أحمد نكر ،
وقطب شاهية نسبة إلى مؤسسها سلطان قلى قطب الملك وعاصمتها گلکنده ،
وعمد شاهية نسبة إلى مؤسسها فتح الله عماد الملك وعاصمتها برار ،
وبريد شاهية نسبة إلى مؤسسها قاسم بريد وعاصمتها بيدره (٢)

(١) نسبة إلى مؤسسها السلطان علاؤ الدين حسن كانكوى بهمنى (٢٤٨-٧٥٩ هـ)

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٥٣ .

باستيلاء أكبر على كابل وكشمير والسند وبلوچستان وقندھار، تم إخضاع الهند الشمالية، وأصبحت دولته دولة قوية مترابطة، سمحت له بأن يولى اهتمامه إلى الجنوب ليضم إلى دولته الولايات الحاكمة في دكن، ولكن قبل هذا وأثناء انشغال أكبر بفتوحاته في گجرات وبنگال وغيرها، كانت هناك اتصالات بينه وبين حكام دكن، وكان يحاول من خلال تبادل الرسل والرسائل أن يستطلع عن الأوضاع في دكن وأن يكسب ولاء حكامها بالطريق السلمية (١).

ففي سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م) رجع مبعوثه مير محسن رضوى من دكن حاملاً معه الهدايا التي أرسلها إليه هؤلاء الحكام (٢)، وفي سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) عاد حكيم عين الملك من دكن الذي كان مبعوثاً إلى طلي عادلشاه حاكم بيجاپور، وقد ضمه فيلة متازة وتحفا وهدايا نفيسة إلى أكبر شاه (٣)، كما كان حكام دكن يرسلون إلى أكبر هدايا وتحفا بصحبة مبعوثيهم وفي كل سنة (٤).

في سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٤ م) حدث تطور مهم في العلاقات بين دولة أكبر وبين دكن، إذ أصبحت دولته ملجأ للخارجين على سلطة أحمد نگر، ففي هذه السنة لجأ إلى أكبر برهان الملك شقيق مرتضى نظام الملك حاكم أحمد نگر، بعد أن جمع حوله عدة آلاف من الأنصار وحارب بهم قوات أخيه، إلا أنه انهزم وفي لمدة سنتين في أحمد نگر متكرراً في هيئة الدراويش، ومخططاً لاغتيال صلابت خان قائد قوات أخيه ولكن خطته فشلت إذ قبض على أنصاره فاضطروا إلى اللجوء إلى گجرات عند قطب الدين خان أحد أمراء أكبر، ومن هناك استدعى إلى العاصمة (٥) وفي هذه السنة لجأ إلى أكبر أيضاً بعض من كبار الأمراء في إمارة

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول، ص ١٠٢.

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى، ص ٣١٢.

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته، ج ٢، ص ٤٧.

(٤) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى، ص ٣٤٢-٣٤٤.

(٥) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته، ج ٢، ص ١٥٢.

إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، ص ١٦١.

أحمد نكر وفي مقدمتهم سيد مرتضى وخداوند خان ، اللذين ثارا على صلايت —
 خان قائد قوات أحمد نكر فحارباه ولكنهما انهزما وهربا إلى أكبر عن طريق كجرات
 فأصدر أكبر أوامره إلى خان أعظم عزيز كوكه الذي كان في ذلك الوقت حاكما على
 مالوه ، بأن يقوم لمساعدة هؤلاء فيخضع إمارة برار لهم ثم يقوم بإخضاع الممالك
 الدكنية لبرار ، ولقد صاحب هذه الحملة سيد مرتضى وخداوند خان وبرهان
 الملك وسائر الأمراء الدكنيين اللاجئين إلى أكبر ، كما اشترك في الحملة جند
 مالوه ومعهم المدفعية وثلاثمائة فيل ، ولقب مير فتح الله شيرازي بعضد الدولة
 وأرسل ليدبر الأمور في دكن (١) ، ولما وصلت القوات إلى هندية الواقعة
 على حدود دكن ، عقد اجتماع بين الأمراء المشاركين في الحملة ، ولكن الاجتماع
 باء بالفشل ، نتيجة خصومات بين أعظم خان وشهاب الدين أحمد خان ، وحاول
 عضد الدولة مير فتح الله شيرازي أن يزيل الاختلافات ولكنه لم يفلح ، فتوقفت
 القوات في هندية لمدة ستة أشهر حتى ترك شهاب الدين الاشتراك في الحملة
 وعاد إلى إقطاعيته في راي سين ، ولما شاهد راجو عليخان حاكم أسير وبرهانپور (٢)
 الخلاف الموجود في قوات أكبر ، انضم إلى جند دكن واستعدوا للمواجهة
 وحاول عضد الدولة كثيرا أن يكسب ولا راجو عليخان ولكنه لم يتمكن من ذلك ،
 فرجع وتوجه إلى كجرات للاستعداد بخان خانان (٣) ، إلا أن موسم الأمطار
 قد قرب ، فكتب أعظم خان إلى خان خانان يشعره بإيقاف العمليات في هذه

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٦١ — ٣٦٢ .
 محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٥ ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .
 (٢) هي ولاية خاندین الواقعة على حدود دكن ، التي تشكل الطريق إلى
 أحمد نكر .
 (٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

السنة ، وأن يتوجهها إلى دكن في السنة القادمة ، فرجع أعظم خان إلى ولايته في مالوه كما رجع راجى عليخان والد كنيون إلى أماكنهم ، وهكذا فشلت أولى حملة مسلحة على دكن ، نتيجة الخلاف بين أمراء أكبر من جهة ونتيجة استعداد الدكنيين لدفع الحملة من جهة أخرى . (١)

بعد فشل هذه المحاولة حدثت تطورات في إمارة أحمد نگر ، استدعت التدخل من جانب أكبر في شؤونها ، إذ قتل مرتضى نظام شاه حاكم أحمد نگر بواسطة ابنه ميران حسين في الثامن عشر من شهر رجب سنة ٩٩٦ هـ (١٥٨٨ م) وخلفه على عرش أحمد نگر ذلك الابن القاتل (٢) الذى قتل هو أيضا بعد شهرين وثلاثة أيام بواسطة قواده المتغلبين ، وخلفه على عرش أحمد نگر إسماعيل بن برهان الملك الذى كان في الثانية عشرة من عمره (٣) ، ولما اطلع أكبر على هذه التطورات أحضر إليه برهان الملك الذى كان في إقطاعيته فى بنكش الواقعة على حدود ولاية كابل ، وأبلغه بأنه هو الوارث الحقيقى لعرش أحمد نگر ، فليبادر إلى عزل ابنه ، ووعده بأن يضع تحت تصرفه القوات اللازمة لإنجاح هذا العمل ، وعرض عليه برهان الملك بأنه لو صاحبه الجيش البادشاہى إلى دكن فسيتوحن أهالى دكن منه ، ويتمردون عليه ، وطلب أن يتوجه إلى هناك بمفرده ويحاول استمالتهم

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٢ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦١ .
(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ — ١٥٠ .

بالملاطفة واللين ، فقبل أكبر هذا العرض على شرط أن يتنازل له برهان الملك عن ولاية برار ، بعد أن تمكن من الاستيلاء على عرش آبائه ، فقبل برهان الملك هذا العرض ، وتحرك إلى دكن ونزل في بلدة هندية الواقعة على حدود دكن والتي أقطعت له من قبل أكبر ، كما كتب البادشاه إلى راجى عليخان حاكم خاندیس ، بأن لا يقصر فى مساعدة برهان الملك (١) ، وبعد اتصالات ، تعهد ملاك الأراضى فى ولاية نظام شاه (٢) وزعمائها بالطاعة والانقياد لبرهان الملك طالبين قدومه إليهم ، فدخل برهان الملك إلى ولاية برار مع جمع معدود من الفرسان والمشاة ، ولكن جهانگیر خان حبشى الذى كان من أمراء الحدود ، ندم من عهده لبرهان الملك فقام بمحاربته حيث هزمه وأجبره إلى العودة إلى بلدة هندية ، فكتب إلى راجى عليخان يستشيريه فيما استجد من الأمر ، فرد عليه حاكم خاندیس بأنه ليس بمقدوره أن يجهز جيشا يتمكن من محاربة جمال خان الذى كانت بيده السلطة الفعلية فى أحمد نگر ، وكذلك لا يستحسن الاستنجاد بأكبر شاه ، خوفا من غضب حكام الدكن عليه وانضمامهم إلى جمال خان ، وفى مثل هذه الحالة يطول الأمر فلا يتصور انتهاءه خلال عشر سنوات وأكثر ، ونصحه حاكم خاندیس بأن يطلب فى هذا الأمر مساعدة إبراهيم عادلشاه الثانى حاكم بيجاپور ، وعمل برهان الملك بهذه النصيحة ، وفى النهاية استطاع (٣) بمساعدة من حاكم بيجاپور

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

(٢) هى ولاية أحمد نگر .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٣ .

وحاكم خاندیس ، أن يقتل جمال خان في معركة وقعت بين الجانبين ففى شهر رجب من عام ٩٩٩هـ (١٥٩١م) كما اعتقل فيها ابنه اسماعيل فجئ به اليه ، وبذلك تمكن برهان الملك من الجلوس على عرش أحمد نكر ، إلا أنه تناسى سابق عهده مع أكبر شاه فلم يلتزم بما وعده .

بعد أن اطمأن أكبر على الأوضاع فى الشمال ، بدأ يهتم فى التوجه إلى الجنوب ، وحاول من جديد أن يكسب له ولاء حكام دكن بالطرق الدبلوماسية فعين فى سنة ٩٩٩هـ (١٥٩١م) أربعة مبعوثين إلى حكام دكن الأربعة : ملك الشعراء الشيخ فيضى إلى راجى عليخان حاكم أسيروبرهانپور ، وخواجه أمين الدين إلى برهان الملك حاكم أحمد نكر ، ومير محمد أمين مشهدى إلى ابراهيم عادلشاه الثانى حاكم بيجاپور ، ومرزا مسعود إلى قطب الملك حاكم گلگند ، وأمر الشيخ فيضى أيضا بأن يتقابل مع برهان الملك بعد أداء مهمته مبعوثا لدى راجى عليخان (١) ، وأتبع أكبر بعد هذا بإرسال ابنه الأمير مراد حاكما على ولاية مالوه المتاخمة لدكن ، وكان هؤلاء المبعوثون يحملون رسائل من أكبر إلى حكام دكن المذكورين ، تحتوى على الوعد والوعيد فى سبيل كسب ولائهم ويشير أكبر فى رسائله إلى فتوحاته التى تمت بالنجاح ثم أبقى بعدها على الحكام الذين سلكوا فى النهاية طريق الولاء والطاعة ، كما يؤكد فى رسائله بأن

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٤ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٤ .

((السلاطين العظام الذين يسمعون لتسخير العالم والعالمين ، لا يريدون من حكام الديار وولاة الأمصار إلا الإخلاص والطاعة)) (١) ، وأخذ أكبر في رسالته إلى برهان الملك حاكم أحمد نكر يذكره بسابق أيامه حيث كان لا جئاً إليه ، ويخاطبه في رسالته إليه كأنه يخاطب أحد ولائته ، ويطلب منه أن يعمل لانتظام الأمور في ولايته ، وأن يقوم بترويج قوانين أكبر هناك كما هي سارية في دولته ، وكذلك أخذ أكبر يذكر له بأنه لو لم يسلك حكام دكن الآخرون طريق الطاعة والولاء له ، ((وتخلوا بعد المسافة حصنا حصينا)) (٢) فسيكون جميع بلادهم من نصيبه هو .

لم تنجح الرسائل الطويلة التي أرسلها أكبر إلى حكام دكن بصحبة سيموشيه في التأثير على هؤلاء الحكام وكسب ولائهم ، فرجع السيموشيون إلى أكبر معلنين له فشلهم في مهماتهم ومقدمين له تقارير عن الأوضاع في دكن ، فعزم أكبر على إخضاع دكن بالقوة (٣) ، وعين في الواحد والعشرين من شهر محرم سنة ١٠٠٢ هـ (١٥٩٣ م) ابنه الأمير دانيال على رأس قوة قوامها حوالي سبعين ألفاً من الفرسان ، وكان يصاحب الأمير أيضاً أمراء كبار من أمثال خان خانان مرزا عبدالرحيم وراي رايسنگ وحكيم عين الملك وأمراء مالوه

(١) عبدالصمد : مكاتبات علامي ، ص ٧٢ ، ٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

(٣) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٣٧٩ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

واقطاعى ولايتى أجسیر ودهلى ، وبعد أن تحرك الجند من لاهور ووصل
إلى سلطانپور على بعد خمسة وثلاثين كروها من لاهور ، تغير رأى أكبر فى من
يتولى قيادة هذه القوات ، فاستدعى ابنه وكلف بهذه المهمة خان خانان . (١)

فى نفس الوقت حدثت تطورات فى داخل دكن ، إذ توفى برهان الملوك
حاكم أحمد نگر فى شهر شعبان سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٥ م) وأصبح بعده عرش
أحمد نگر محل نزاع بين أمرائها الذين تنازعوا حول من يجلسونه على العرش ،
ولقد خلف برهان الملوك ابنه ابراهيم نظام شاه الذى قتل بعد أربعة أشهر ،
فى معركة وقعت بينه وبين حاكم بيجاپور ، ثم أجلس ميان منجو (٢) على عرش أحمد
نگر المسمى أحمد شاه الذى كان فى الثانية عشرة من عمره وأشاع بين الأهالى
بأنه من أسرة نظام شاه ، ولكن الأمراء الكبار رأوا أن أحمد شاه أجنبى وليس
من سلالة الملوك ، وحوصر ميان منجو وأنصاره فى قلعة أحمد نگر بواسطة
المولدين والأحابش ، فسأت أوضاعهم ، واستنجد ميان منجو بسلطان مراد بن
أكبر شاه الذى كان حاكما على كجرات ، ثم عين على مالوه القرية من دكن ،
ولما كان سلطان مراد مأمورا بتسخير أحمد نگر من قبيل أبيه وكان يتحين الفرص
لبى ذلك النداء دون تريث ، فتحرك بجيشه ومعه خان خانان إلى أحمد نگر (٣) ،

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٢) هو كبير أمراء أحمد نگر والوصى على عرشها .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٩٠ ، ١٥٩ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول ، ص ١٠٣ .

وبعد أن وصل إلى تلك الحدود طلب من میان منجو أن يلتقى به وأن يسلم له القلعة ، ولكن میان منجو حارب مخالفه في يوم السبت الخامس والعشرين من شهر المحرم عام ۱۰۰۴ هـ وقبل قدوم الأمير وغلبيهم ، وندم لاستنجاده بالأمير مراد ، وامتنع عن تلبية مطالبه ، وملأ القلعة حسب طاقته بالفلال والمؤمن والخيول والحشم وأعطى حراستها لأنصارخان الدكني ، وبدأ هو في تجميع الجند والإمدادات ولكن كان قد فات الآوان حيث لم يكن أحد يستمع لأحد ، وكان رعيا إماراة نظام-شاه قد تفرقوا إلى ثلاث فرق ، كل واحدة منها تنادى بأن يكون عرش أحمد نگر لرجلها المفضل ، وكان زعماءهم يرون تصفية بعضهم البعض أولا ومحاربة جيش المغل ثانيا (۱) ، وتدخل حاكم بيجاپور إبراهيم عادلشاه الثاني وعمل لإزالة الخلافات الموجودة بين أمراء أحمد نگر ، وقال لهم ان ما يريدونه من تصفية بعضهم البعض أولا ، لا يمكن أن يتيسر في وقت قصير ، وهناك خوف من أن يستنجد المغلوب بجيش المغل ، فيستحسن أن تتحدوا وتطردوا جيش المغل أولا ، ثم يبدأ البحث عن يكون أهلا لتولي العرش ، فوافق الجميع على هذا الاقتراح ، وأرسلوا متفقين رجالهم إلى بيجاپور طالبين المساعدة ، وفي نفس الوقت كانت چاند بي بي شقيقة برهان الملک وزوجة علي عادلشاه حاكم بيجاپور السابق موجودة في قلعة أحمد نگر ، وأرسلت هي الأخرى تطلب مساعدة حاكم بيجاپور في محاربة المغل (۲) ، وقد وافق إبراهيم عادلشاه على هذا الطلب

(۱) محمد قاسم فرشت : تاريخ فرشت ، ج ۲ ، ص ۹۰ .

(۲) المصدر نفسه ، ص ۹۱ ، ۱۶۰ .

وأمر قائد جيشه سهيل خان ، أن يتوجه لمساعدة أمراء أحمد نكر على رأس جيش قوامه ثلاثون ألفاً من الفرسان ، كما كتب إلى أمراء أحمد نكر ، أن يعدوا قواتهم وأن يلتقوا بسهيل خان في شاه درك الواقعة بين أحمد نكر وبيجاپور ، وأن يتحركوا من هناك إلى الجهة المقصودة بكامل الاتفاق والوفاء فالتحقت الجيوش في شاه درك كما انضم اليهم أيضا مهدي قلى سلطان على رأس جيش تلنگ (١) بأمر من محمد قلى قطب شاه حاكمها ، وهكذا أصبح الدكنيون يقاومون المغل بجيش موحد ((وأصبحت الجبال والصحراء لا تتسع لكثرة جيوشهم)) (٢)

بعد أن علم الأمير مراد توحيد جيوش دكن واجتماعهم في شاه درك وأنهم في الطريق اليهم ، استشار مع أتابكه صادق محمد خان وكبار أمراءه ، فاتفقوا أن يعملوا لفتح قلعة أحمد نكر قبل وصول جيش دكن إليها ، فبدأوا بحفر النقب وكان الأمير مراد وأتابكه في خلاف مع خان خانان ، فلم يطلعاه على هذه الإجراءات ، ولم يستشيراه حتى يكون الفتح باسمهما ، فتم تمديد خمسة أنقاب إلى جدران القلعة ، وجوفوا جدران القلعة في خمسة مواضع وملاوها بالباروت والمتفجرات ، وذلك في ليلة الجمعة غرة شهر رجب سنة ١٠٠٤ هـ (١٥٩٦ م)

(١) هي الإمارة التي أسسها سلطان قلى قطب الملك أحد أمراء السلطنة البهنمية في سنة ٩١٨ هـ ، كما يسمى حكامها باسم حكام گلگنده عاصمة الإمارة .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٩١ ، ١٦٠ .

وتقرر أن يفجروها بعد صلاة الجمعة (١) ، ولكن خواجه محمد خان شيرازى الذى كان فى جيش الأمير مراد أشفق على سكان القلعة فأسرع إليهم فى ظلام الليل وعرفهم عن مواضع الأنقاب وما يدبره ضدهم جيش المغل ، فأمرت چاند بى بى الصفار والكبار بأن يبحثوا عن مواضع النقب فى أركان القلعة ، واستطاعوا أن يكتشفوا النقبين حتى ظهر الجمعة ، فأخرجوا الباروت منهما ، واستمروا فى البحث عن الأنقاب الأخرى ، وفى نفس الوقت قام الأمير مراد وصادق محمد خان بتعبئة القوات بانتظار ارتفاع صوت المتفجرات ثم الهجوم إلى القلعة عن طريق الفتحات التى سوف تتركها الانفجارات وكل ذلك بدون علم من خان خانان حتى لا يتم الفتح باسمه . (٢)

وصلت قوات المغل بأمر من الأمير مراد إلى مقربة من القلعة بالخيل والحشم والطبل والعلم ، ثم أمر الأمير مراد بإشعال النار فى الأنقاب ، وكان أهالى القلعة قد وجدوا النقب الثالث الذى كان أكبر الأنقاب ، وكانوا يخرجون الباروت منه ، إذ فجرت الأنقاب المتبقية وتصادت على إثره أعمدة من الدخان والأتربة ، ودمرت جدران القلعة بقدر خمسين ذراعا ، وهلك تحت الأنقاض جمع من الذين كانوا يقومون بحفر الأنقاب ، وهرع الآخرون باحثين عن أماكن يختبئون فيها ، إلا أن چاند بى بى فوراً انطلعت على هذه الحادثة

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٣ .

المروعة ، ليست البرقع وتسلحت وحملت سيفها حافية ، وتوجهت مع جمع من أعوانها إلى الفتحة التي تركها الانفجار ، ولما رأى الآخرون شجاعتها خرجوا من مخابثهم والتحقوا بها للدفاع عن الفتحة. (١)

لم يكن الأمير مراد وصادق محمد خان وسائر أمراء المغل يعرفون حقيقة تخليّة الأنقاب الأخرى من المتفجرات ، فكانوا ينتظرون تفجير سائر الجدران فسنحت الفرصة للمحاصرين بدخول القطعة أن يقوموا بنصب المدفعية وسائر وسائل الدفاع على الفتحة ، ولم يسمحوا للمغل أن يترددوا حول القطعة حتى جاء الليل واستطاعوا في ظلامه أن يعيدوا بناء الجدران من جديد ، حيث رفعوها إلى ثلاثة أذرع ، وكانت چاند بي بي تثير الحماس في أهالي القطعة ولما يئس المغل من اشتعال النار في الأنقاب المتبقية ، هاجموا القطعة بأمر من الأمير مراد ، وحدثت بين الطرفين معركة شديدة ، وكانت چاند بي بي تتفقد الأبراج والفتحة التي تركها الانفجار ، معرضة الجنود بأن يستبسلوا في الدفاع عن قطعهم ، ولقد دامت المعركة من الثلث الأخير من النهار وحتى غروب الشمس ، ولم يستطع المغل تسخير القطعة ، إضافة إلى أنهم تكبدوا خسائر جسيمة في الأرواح ، فانسحبوا في الليل إلى أماكنهم مشدين بشجاعة چاند بي بي التي اشتهرت بعد ذلك بچاند سلطان (٢) .

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ١٦١ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول ، ص ١٠٣ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٦١ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٨ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٩٨ — ٩٩ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول ، ص ١٠٣ .

بعد أن لم تثمر محاولات الأمير مراد في الاستيلاء على القلعة وبعد أن عرف الأمير أن جيش دكن الموحد في طريقه إلى أحمد نكر بقيادة سهيل خان قائد قوات بيجا پور ، وخاصة بعد أن طلبت چاند سلطان قدوم هذه القوات على وجه السرعة ، وكذلك بعد أن تجاوز القحط حدوده في جيش المغل ، عقد أمراء أكبر شاه مجلس الاستشارة ، فاقترح خان خانان مرزا عبدالرحيم التوجه إلى برار والعمل لتسخيرها ، ثم يتحينوا الفرص لفتح قلعة أحمد نكر ، فوافق على هذا الرأي الأمير مراد وجميع الناس الذين كانوا يعانون من فقدان ضروريات المعاش ، وقبل أن يعملوا لإخضاع برار عنوة ، طرخوا مع چاند سلطان باب المذاكــرة والمصالحة ، بتدبير من مرتضى خان الذى كان قائدا لجيش برار فى عهد مرتضى نظام شاه ، ثم لجأ إلى أكبر وأصبح منتظما فى سلك أمراء (١) ، ورأت چاند سلطان بادئ الأمر اضطرار جيش المغل فأبـت الصلح ، ولكن تغير رأيها بعد ذلك ولم تر حلا فى الحرب ، ورضيت بالصلح بدون علم من أمراء دكن ، بل وبدون علم من أمرائها هى ، وعين فريق من الجانبين لعقد العهد ، فتقرر أن يكون من

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ١٦٢ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٨ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٣ .

نصيب الأمير مراد ما كان تحت تصرف تغالخان (١) في ولاية برار، وتكون بقية الممالك من قلعة مهور الى ميناء چپول ومن پرنده الى دولت آباد وحدود كجرات لحاكم أحمد نكر، وأكد الجانبان هذا العهد بأحلاف غلاظ كما كتبوه وختموه بالخواتم.

لما وصل سهيل خان مع جيش دكن على بعد ست كروهات من أحمد نكر علموا بنباء مفارقة جيش المغل بعد أن تم بينهم وبين چاند سلطان الصلح كما استدعت چاند سلطان ، بهادر شاه بن إبراهيم شاه الذي كان قد وضع فوس السجن بأمر من میان منجو ، فأجلسته على عرش أحمد نكر وهو في السنة الرابعة من عمره ، وأراد میان منجو أن يصر على أن يكون عرش أحمد نكر من نصيب أحمد شاه

(١) كان تغالخان من كبار أمراء ولاية برار الذي تغلب على حاكمها الطفل برهان عماد الملك ، وحبسه في بيته ، وقام بتصريف أمور الولاية بكامل الحرية وكأنه هو الحاكم لها ، وفي سنة ٩٩٨ هـ هاجم مرتضى نظام شاه حاكم أحمد نكر على ولاية برار لضمها الى ولايته وبحجة أنه يعمل لإنقاذ أميرها برهان عماد الملك من قبضة تغالخان ، ولقد انهزم تغالخان واستنجد بأكبر شاه قانلا له : بأنه من الموالين له وأنه قرر تقديم ولاية برار هدية له ، فليبادر الى الاستيلاء عليها قبل أن يستولى عليها حكام دكن ، الا أن أكبر شاه كان مشغولا بأوضاع بنگاله فلم يتمكن من تلبية دعوة تغالخان الذي قبض عليه حاكم أحمد نكر وقتله وضم منذ ذلك الوقت ولاية برار الى ولايته أحمد نكر ، ومن هنا كان أكبر شاه يدعى في المذاكرات وتبادل الرسائل بأن له حق تاريخي في ولاية برار.

إلا أن حاكم بيجاپور منعه من ذلك واستدعاهما إلى عاصته وأقطعهما هناك ، كما عادت جيوش دكن إلى أماكنها ، كما توجه إلى برار الأمير مراد وخان خانان ففى أوائل شهر شعبان سنة ١٠٠٤ هـ (١٥٩٦ م) . (١)

لم تشهد أحمد نكر الاستقرار ، إذ بدأت المنازعات بين أمرائها ، فاستغلها خان خانان واستولى على بعض المناطق فى خارج ولاية برار ، وبذلك نقض العهد الذى تم بينهم وبين چاند سلطان التى استجدت مرة أخرى بحاكم بيجاپور ، فكلّف سهيل خان من جديد ليقود قوات دكن ضد المفل ، كما اشتركت معهم أيضاً قوات من إمارة تلنگ بقيادة مهدي قلى سلطان ، ووصل جيش دكن إلى برار ففى شهر جمادى الثانية سنة ١٠٠٥ هـ (١٥٩٧ م) ، ووقعت معركة شديدة بين الجانبين انتهت بهزيمة جيش دكن تاركين غنائم كبيرة لقوات خان خانان ، كما قتل فيها راجى عليخان حاكم خانديس الذى كان قد أعلن ولائه لأكبر ، وعمل خان خانان لتقوية استحكاماته فى برار وفتح قلاعها ، إلا أن الأمير مراد وصادق محمد خان أصرا بأن تتوجه القوات لفتح أحمد نكر ، ولكن خان خانان أصر بأن يقضوا هذه السنة فى برار ، ثم يتوجهوا إلى أحمد نكر فى السنة القادمة ، فأرسل الأمير إلى أبيه عرائض تشكو فيها عن خان خانان الذى استدعاه أكبر فى سنة ١٠٠٦ هـ (١٥٩٨ م) وأرسل الشيخ أبا الفضل خلفاً له فى قيادة القوات الموجودة فى دكن ، إلا أنه لم يوفق فيما وفق فيه خان خانان ، وفى نفس الوقت

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ١٦١ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،
ج ٢ ، ص ٩٨ .

توفى الأمير مراد في شوال سنة ١٠٠٧ هـ (١٥٩٩ م) نتيجة إدمانه الخمر (١) ،
فقرر أكبر شاه تعيين خان خانان ، قائدا على القوات العاملة في دكن ، كما
زوج بنته جانان بيكم إلى الأمير دانيال أصغر أبناء السلطان ، وأرسلهما لإكمال
تسخير أحمد نكر ، كما غادر هو أيضا عاصمته أكره متوجها إلى دكن في منتصف
سنة ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ م) وفوض تصريف مهام الحكم في غيابه إلى ابنه الأكبر
الأمير سليم (١) .

دخل الأمير دانيال وخان خانان إلى دكن ووجدوا أن بهادر خان بن
راجو عليخان ، حاكم خانديس غير مطيع لدولة أكبر ، وأنه تحصن في قلعة
أسير ، فتوقفا لاستمالته ، وفي هذا الوقت وصل أكبر إلى مندو وأرسل إلى
الأمير وخان خانان يبلغهم أن يتقدما إلى أحمد نكر ويقوما بتسخير قلعتها
وأن البادشاه بنفسه يتولى إخضاع قلعة أسير ، ونصح أكبر في الأول بهادر خان
بالطاعة والانقياد ، ولما لم يترتب على ذلك أثر ، جاء من مندو إلى برهانپور
وعمل إلى تسخير قلعة أسير بالقوة ، وبعد أن طال أيام الحصار وبدأت العفونة
داخل القلعة من كثرة الخلائق وبدأ الناس يموتون ، اضطرب بهادر خان على
الرغم من كثرة ذخيره واستحكامات القلعة .

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٥ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٨ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ،
ج ٢ ، ص ٩٩ .

ولما فتحت قلعة أحمد نكر في أوائل سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ م) أصبح بهادر خان في قلق أكثر من ذي قبل فطلب الأمان و ((سلم القلعة التي لا نظير لها إلى ديوانيى الباد شاه في السنة المذكورة وحصل أولياء الدولة البادشاهية على خزائن ودفائن وأسلحة وأمتعة نفيسة يعجز القلم عن إحصائها))^(١) ، وأما عن كيفية الاستيلاء على قلعة أحمد نكر فان الأمير دانيال وخان خانان وصلا إلى القلعة دون معارض ، حيث هرب آهنگ خان قائد قوات أحمد نكر الذى كان فى خلاف ونزاع مع چاند سلطان ، ف ضرب جيش المغل الحصار حول القلعة ، وقسموا المورچلات على الجنود وبدأوا بحفر الأنقاب ، كما أقاموا السرکوبات^(٢) وأصبحت القلعة على وشك السقوط فى أيدي المغل ، ورأت چاند سلطان التنازل عن القلعة للأمير دانيال للحفاظ على الأرواح والأعراض ، ثم يتحينوا الفرص للانقضاض على الجيش المغلى ، إلا أن خصومها أشاعوا بأنها اتحدت مع أمراء أكبر وتريد أن تسلم القلعة لهم ، فهاجمها الدكنيون وقتلوها^(٣) ، وفى نفس الوقت تمكنت

-
- (١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧١ .
 سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٧ .
 إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٣ .
 جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٤ .
 عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٩ .
 وليام لانجبر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤٠٨ .
- (٢) سرکوب : بناية على هيئة البرج ، كانت تقام فى محاذاة قلعة العدو ، ثم كانوا يقومون بنصب المدفعية عليها ، لتطلق نيرانها إلى داخل القلعة .
- (٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .
 جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٣ — ١٠٤ .
 إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٣ — ١٦٤ .

قوات أكبر شاه من توصيل الأنقاب تحت جدران القطعة وأوجدوا فيها فتحات ودخلوا منها إلى القطعة ، حيث قاموا بأعمال القتل والنهب ، كما أسسوا بهادر شاه الأمير الطفل وأرسلوه إلى برهانپور عند أكبر شاه .

هكذا تم إخضاع خاندیس والاستيلاء على قلعة أحمد نگر ، واكتفى أكبر شاه بهذا القدر من الفتوح داخل دكن ، فدخل في مفاوضات مع حاكم بیجاپور ، انتهت بالصلح بين الجانبين ، وتعهد حاكم بیجاپور بموجبه أن يدفع إلى أكبر الإتاوة ، كما طلب أكبر شاه صبيبة إبراهيم عادلشاه المسماة بیگم سلطان زوجة للأمير دانيال ، وأرسل إلى بیجاپور مير جمال الدين أنجو وهو من كبار الأمراء ليعود بالعروس والهدايا ، ثم عين أكبر ابنه الأمير دانيال حاكما على ممالك الدكنية وهي أسير وبرهانپور وأحمد نگر وبرار ، كما عين خان خانان أبا بكا على ابنه ، ورجع هو إلى آكره حيث وصلها في أوائل سنة ١٠١٠ هـ

(١٦٠١م) ليعالج تمرد ابنه الأمير سليم عليه . (١)

وهكذا كانت نهاية المطاف بالنسبة لفتوحات أكبر ، ولم يتمكن بعد هذا أن يوسع رقعة دولته أكثر من ذلك ، نظرا للظروف الداخلية والنفسية

(١) محمد قاسم فرشته : ز تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٣٦ - ٤٣٨ .
أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ،

ج ٢ ، ص ٦٤١ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول ، ص ١٠٤ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٤ .

التي مرت بأكبر ، حيث تمرد عليه ولي عهده الأمير سليم ، كما توفي ابنه الأصغر الأمير دانيال في ذي الحجة سنة ١٠١٣ هـ نتيجة إدمانه الخمر (١) .

وهكذا ، ونتيجة لهذه الجهود الجبارة ، وعلى الرغم من اتساع الهند وحدة تضاريسها فقد أصبحت الممالك الشرقية في الهند من بيتنه وبهار وكور وبنكاله وأوريسنة إلى المحيط ، خاضعة لدولته ، وفي الجنوب أصبحت خانديس وبرار وقسم كبير من أحمد نكر وبيدر تابعة له ، وفي الحدود الغربية ضمت إلى الدولة كل من تهته وطلتان وقندهار وزمين داور وكابل وغزنه وغوربند ، وباميان (٢) إلى جبال هندوكوه ، وفي الشمال أصبحت في قبضة أولياء الدولة جبال سوايك إلى كشمير ومن الجهات الأربعة كانت سافة ستة أشهر داخلية في ملكه . (٤)

-
- (١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mugul, P. 228.
- (٢) زمين داور : ولاية واسعة بين سجستان والفور . (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٥١) .
- (٣) باميان : كورة في الجبال بين بلخ وهرات وغزنة (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٣٠) .
- (٤) بهگوانداس : تاريخ آبا وأجداد شاه جهان ، ق ١٠٥ أ - ق ١٠٥ ب .
بيفردج : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٤ - ١٠٦ .

الفصل الثالث

الأحوال الداخلية

الفصل الثالث

الأحوال الداخلية

- الإدارة
- الجيش
- الدستور
- الاقتصاد
- الثقافة والفنون
- قافلة الحجيج الهندية
- أكبر والهنادكة
- مذهب " دين إلهي "

كان السلطان أكبر هو المسيطر على شؤون دولته ، وعلى الرغم من هذا فإنه كان يأخذ بمشورة رجال دولته وكبار أمراءه ، وكان الوكيل (١) فى مقدمة كبار رجالاته ، ومنزلته تأتى بعد الأمراء أبناء البادشاه ، وكان يراعى فيه أن يكون قد وصل فى قمة الفهم ومراتب الإخلاص ، وهو ينسب السلطان فى الأمور الملكية والمالية ، كما كان كبيرا للمستشارين ، وتنظم به جلائل أمور الحكم ، وتكون باستصوابه الترقية والتنزيل والنصب والعزل ، ومع أنه ليس صاحب المكتب إلا أن رؤساء المكاتب يراجعون إليه ويستترشدون ببعد نظره (٢) .

كان يساعد الوكيل فى أداء مهامه كل من رئيس المالية (٣) ، وصاحب الختم البادشاهى (٤) ورئيس الجمال (٥) ورئيس البلاط (٦) ورئيس الترسانة (٧) ورئيس تنظيمات الجيش (٨) ورئيس المعابر النهرية (٩) ورئيس المعابر البرية والغابات (١٠) ورئيس القصور الملكية (١١) ورئيس المطابخ (١٢)

(١) الوكيل : يشبه منصب رئاسة الوزراء .

(٢) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(٣) ميرمال (٤) مهرانار (٥) ميربختى

(٦) ياربىگى (٧) قوربىگى (٨) ميرتوك

(٩) ميربحر (١٠) ميربر (١١) ميرمنزل

(١٢) خوان سالار .

ورئيس التحريات السلطانية (١) ورئيس الصيد والصيدان (٢) ورئيس (٣) الإصطبل (٤) كما كان مجلس السلطان يتكون من الوكيل ومساعديه ومن الوزراء ، وكان المجلس يقدم المشورة للسلطان الذى كان يحتفظ لنفسه باتخاذ القرار اللازم فى نهاية الأمر ، ولم تكن لسلطات الملك حدود ولا قيود ، وكان يقضى فى يومه فى الأمور المعارضة له ، ويستقبل فى ديوانه وفى جلسات عامة كل ملتمس أو مطالب بحق مهضوم ، أو متظلم من ظلامة واقعة عليه ، فيجزم السلطان بالقضايا المختلف عليها ، كما كان كتبة السريحرصون على قراراته هذه (٥) .

لقد تولى منصب الوكالة فى أول عهد أكبر بالحكم ، أتابكه بيرم خان الذى كان يباشر مهام الملك دون الاستئذان من أكبر نظرا لحدثة سنة آنذاك ، إلا أن هذه السلطات الواسعة لم يشهد لها أى وكيل بعد بيرم خان ، ومن الذين تولوا هذا المنصب بعد بيرم خان ، الخان الأعظم مرزا عزيز كوكه (٦) ، الذى تولى هذا المنصب ثمرة فى سنة ١٠٠٣هـ (١٥٩٤م) وهى السنة الأربعون من جلوس أكبر على العرش (٧) .

-
- (١) منشى : (٢) قوش بيگى (٣) أخته بيگى .
- (٤) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٦٠ .
- (٥) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٥ .
- جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ص ٤٦٤ .
- (٦) كوكه : كلمة تركية بمعنى الأخ الرضاعى ، وكان مرزا عزيز أخا أكبر من الرضاة .
- (٧) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٧١١ ، ٧١٦ .
- أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١١٣ .
- بيفردج وديغز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٧ .

كذلك كان هناك منصب الإشرافية على الديوان ، فإذا لم يوجد من يتأهل لتولى منصب الوكالة ، يعين من يكون عنده بعض من صفات الوكيل ، مشرفاً على الديوان ، فتكون رتبته أعلى من رتبة الوزير وأقل من رتبة الوكيل (١) ، ويأتى راجه تودرمل فى مقدمة الذين تولوا الإشرافية على الديوان ، وذلك فى سنة ٩٩٠هـ (١٥٨٢م) وفى هذه السنة أهتم السلطان بالتجديد فى انتظام أمور الطك والمال . ففوض إلى راجه تودرمل إشرافية الديوان التى كانت فى المعنى تقوم بمهام الوكالة ، وأصبح تصريف المهام الطكية والمالية راجعاً إلى استصواب المشرف على الديوان راجه تودرمل الهندوكى (٢) حيث أصبح الوكيل المطلق والوزير الأعظم ، وكذلك فإن الضوابط والقوانين التى وضعها للوزارة كانت بقدر من الاستحكام ، بحيث كلما حاول الوزراء العظام والديوان الأعظم استهلاكها واختراع الجديد مكانها ، لم يفلحوا فى ذلك (٣)

-
- (١) أبو الفضل علامى : أثين أكبرى ، ج ١ ، ص ٧٠ .
(٢) راجه تودرمل : كان صغيراً عندما توفى والده ، فريته أمه مع كمال إفلاسها ، وكان تبدو فى ناصيته منذ الصغر آثار الرشد والوعى ، ومن الاتفاقات الحسنة أنه دخل فى الخدمة الرسمية فى زمرة المحررين ، وبمقتضى وفور علمه ومهارته كان يتزايد قدره يوماً بعد يوم ، وكذلك اشترك فى كثير من المعارك التى أبدى فيها بلاً حسناً ، وحارب فى ولايته كجرات وبنكاله وخرج منها منصوراً ، واستمر ارتقاؤه إلى أن وصل إلى منصب الوزارة العامة " وزارت كل " .

(سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩) .

- (٣) أبو الفضل علامى : أثين أكبرى ، ج ١ ، ص ٧٠ .

سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

يأتى الوزير بعد المشرف على الديوان ، وكان يعبر عنه بديوان ، وهو نائب مالى يحرس الخزائن ويرعى المحاسبات ؛ وكل عقدة يعجز المستوفى عن حلها ، تحل ببعد نظر الديوان ، وإن عجز هو أيضا عن حلها ، يكون الحل بيد الوكيل ، وكان يتبع الوزير كل من رئيس المحاسبات وهو المستوفى ، وكبير المحاسبين أو أوارجه نويس وميرسامان (١) وناظر بيوتات (٢) والمشرف على الخزائن وواقعه نويس (٣) وعامل الخالصة (٤). (٥)

لقد تعلم السلطان أكبر من الماضى الخطر الذى ينجم عن قيام وزارة لا حدود لسلطانها ، فأعاد تنظيم حكومته المركزية سنة ٩٧٢ هـ (١٥٦٤ م) ، وعهد بالمهام المالية إلى الديوان أو الوزير ، ومن يومها انطفاً البريق الذى كان لسلطة الوكيل (٦) . ومن الذين تولوا منصب الوزارة خواجه شاه منصور شيرازى الذى كان خبيراً فى المحاسبة ، ولقد تولى الوزارة فى سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦ م) وهى السنة الواحدة والعشرون من جلوس أكبر على عرش الحكم (٧) .

(١) المشرف على ما فى البيوتات من أوانى وغيرها .

(٢) المشرف على المباني الحكومية .

(٣) المشرف على المخابرات .

(٤) الذى كان يتولى شؤون الأراضى السلطانية .

(٥) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٦ - ٧ .

(٦) بيفردج وديفز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٧ .

(٧) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .

كما كانت هناك عدة إدارات لخدمة البلاط ، منها إدارة المطبخ وإدارة الفراشين وإدارة فهود الصيد وإدارة المرطبات وإدارة مياه الشرب ، وكان السلطان أكبر يشرب من مياه نهر كنك في السفر والحضر ، فكان يقيم في ساحله عدد من المؤمنين ، فيأخذون من مياهه بالحيطه ، ويملاؤن منها الأباريق ثم يهتمونها ، كما كان يستفاد في الأكل والطبخ من مياه نهري جمته وچناب (١) ومياه الأمطار (٢) . وفي خارج المدينة والمعسكر كان يقام المسلخ وفي جوار النهر والأحواض ، لذبح وتسليخ الأغنام والمعز والدجاج وغيرها ، وبعد الغسل والتسليخ كانت اللحوم تغسل ، ثم تملأ في الأكياس فتختم الأكياس بختم سيلا نجي (٣) ، ثم ترسل إلى المطبخ حيث كانت تغسل من جديد ثم إلى القدور والطهي (٤) . من الإدارات المهمة التي أحدثها السلطان أكبر في البلاط ، هي إدارة هفت چوكي (٥) وإدارة استقبال المرائي ، لقد قسم السلطان جميع منسوبي البلاط إلى سبعة أقسام ، وجعل كل قسم مسؤولاً عن كرسى يوم وليلة ، وعين واحداً من الرجال الكبار رئيساً على ذلك الكرسي ، حتى يطلع على جميع معاملات ذلك اليوم والليلة وينظمها ، وكذلك عين واحداً من رجاله على منصب

-
- (١) نهر من أنهار پنجاب .
 - (٢) أبو الفضل علامي : آئين أكبري ، ج ١ ، ص ٨ ، ٥٥ .
 - (٣) نظام الدين أحمد النهروى : طبقات أكبري ، ص ٣١٥ .
 - (٤) سيلانچى : هو المشرف على الذبح والسليخ .
 - (٥) أبو الفضل علامي : آئين أكبري ، ج ١ ، ص ٥٧ .
 - هفت چوكسى : الكراسى السبعة .

مير عرض (١) ، حتى يقوم فى أثناء كرسىه بتقديم عرائض الناس وملتساتهم إلى السلطان ، دون أية ملاحظة أو أغراض نفسانية ، وحتى يقطع عن الناس محنة الانتظار والتعب ، ولقد تأسست هذه الإدارة فى سنة ٩٨٣هـ (١٥٧٥م) ، وهى السنة العشرون من حكم السلطان أكبر (٢) .

ومن المناصب الهامة فى دولة أكبر منصب الصدارة وكان ينادى متوليها العام بصدر الصدور وهو كبير العلماء والمشرف على القضاة ورجال العدل وأئمة الساجد وخطبائها ، وكان فى العادة من العلماء أصحاب المهابة ، وفى سنة ٩٧١هـ (١٥٦٤م) أصبح المحدث شيخ عبد النبى (٣) صدرا للصدور ، وكان له سلطات واسعة ، كما كان السلطان يوقره ، وكان له أيضا حق الرعاية بالنسبة لتوصيته على الحالات المستحقة للمعونات من الملك ، ولكن هذه السلطات لم تستمر أكثر من خمس عشرة سنة ، إذ رأى أكبر فى سنة ٩٨٥هـ (١٥٧٧م) أن المسؤوليات والمهام المطلقة على عاتق صدر الصدور أكبر بكثير من أن يتحملها شخص واحد ، فقرر أن يكون هناك صدر لكل صوة أو ولاية ، وعين عبد الله سلطانپورى فى صدارة ولاية پنجاب ، وطلب من رجاله أن يبحثوا عن عدد من المتدينين المجددين ، ليتولوا مناصب الصدارة فى الولايات ، وفى سنة

(١) مير عرض : هو المسؤول عن العرائض الواردة إلى السلطان .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٢٦ .

(٣) شيخ : هذه الكلمة كانت تطلق فى الهند على من بقى من سلالة الصحابة

رضى الله عنهم أجمعين .

(أوياق مغل ، ص ٣٣٠) .

٩٨٩ هـ (١٥٨١ م) عين حكيم أبو الفتح^(١) على صدارة ولايات دهلوى ومالوه وكجرات كما عين شيخ أبو الفيض فيضى على صدارة آكره وكالبي وكالنجر ، وعين حكيم همام على صدارة حاجى پور وعين حكيم على ، على صدارة بهار وحكيم عين الملك ، على بنكاله والقاضى على بدخشى على پنجاب ، وكذلك عين السلطان أكبر على كل مدينة كبيرة مشرفا على القضاة . (٢)

وهكذا أصبح منصب الصدارة من المناصب الهامة فى الولايات ، وبعد شيخ — عبدالنبي وحتى قبله أيضا لم يرد فى المصادر المتوفرة لدينا ذكر لصدر الصدور ولكن كلمة الصدارة والصدر استمر ذكرها ، ويبدو أن تحديد صلاحيات صدر الصدور وتوزيعها على صدور الولايات ، راجع إلى التحولات التى طرأت فى مواقف أكبر من العلماء الذين لم يوافقوه فى اجتهاداته ، وهذا ما سنراه أثناء دراستنا لمذهب " دين الهى " الذى اخترعه أكبر وخالفه فى ذلك معظم العلماء ، وعلى رأسهم كبيرهم والمتحدث باسمهم وهو صدر الصدور ، هذا ولقد عين الشيعى مير فتح الله شيرازى على منصب الصدارة فى سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٤ م) وهى

(١) حكيم : هذه الكلمة كانت تطلق على الطبيب .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ ، ٢٥٧ .

عبدالقادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ١٥٤ .

أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٧ .

بيفردج وديفز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٧ .

أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية

وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

Ibn Hasan : The Central Structure of the Mughal Empire, P. 269

السنة التاسعة والعشرون من حكم أكبر ، ولكنه لم يلقب بصدر الصدور ، بل قيل إنه عين على منصب الصدارة الرفيع (١) .

هـ
ما يذكر لأكبر تقسيماته الإدارية لدولته المترامية الأطراف ، ففي سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٥ م) وهي السنة الأربعون من حكمه ، قسم دولته إلى اثنتى عشرة ولاية أو صوبة واشتهرت كل صوبة باسم أهم معمورة فيها ، وبعد فتح خانديس ودكن أصبحت الولايات خمس عشرة ولاية وهي : إله آباد وأكره وأؤذه وأجمير وأحمد آباد ومهاراشتر ودهلى وكابل ولاهور وملتان ومالوه وبرار وخانديس وأحمد نگر ، وكانت هذه الولايات تضم ألفين وسبعمائة وسبع وثلاثين قسبة ، من مائة وخمس سركار (٢) ، وعين على رأس كل ولاية سپه سالارا ، وهو القائد العام ونائب السلطان فى الولاية ، ولم يكن له أن يتدخل فى حرب أو يجرم التحالف والصلح دون مشورة السلطان ورأيه ، وله أن يعين صفار العمال ويقلبهم ، ولم يكن له أن يتدخل فى الأمور الشرعية التى هى من اختصاص الصدر وحده ، أو يصدر الحكم بالإعدام دون إذن السلطان نفسه (٣) .

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٥٤ .
 - (٢) سركار : الوحدة الإدارية التى كانت تتكون من عدة قصبات .
 - (٣) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ٢ ، ص ٧٣ .
- “ : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ .
- غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ص ١١ .
- محمد عبدالله خان : تذكره فى سير أكره ، ق ٣٨ ب .
- أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

وكان يدير الحكومة الإقليمية طبقات من العمال تناظر أولئك الذين يديرون الحكومة المركزية ، وكانت الولايات مقسمة إلى مراكز باسم سركار وكل سركار مقسم إلى محلات ، وكان على كل سركار رئيس تنفيذي يسمى فوجدار ، كما كان يسمى رأس كل محله باسم مير محلة ، كما كان في كل ولاية ديوان أو وزير وبخشي (١) ، وناظر العدل ، و صدر ، وكوتوال (٢) ، وأمين للصندوق ، وواقعه - نويس (٣) ، وكان هؤلاء الموظفون الإقليميون المهمون ، يعينون على يد الحكومة المركزية (٤) .

ونظرا لاتساع رقعة الدولة وزحمة المعاملات ، قرر السلطان أكبر في سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٥ م) أن يكون في كل ولاية وزير ، فعين اثني عشر وزيرا أو ديوانا على الولايات الاثنى عشرة كالتالي :

حسين بيگ، على إله آباد وبهارتی چند على أجمير وراي رامداس على أحمد آباد وكهتور على آوڈہ ، وكشنداس على بنگالہ ، ورامداس على بهار ، ورام راي على دهلي ، وخواجه غياث بيگ على كابل ، و متھرا داس على لاهور ، وخواجه محب على، على مالوہ ، وكيشوداس على آگرہ ، وخواجه مقيم على ملتان ، وكان وزير

(١) رئيس شؤون تموين الجيش ونفقاته ومعاشات منسوبيه .

(٢) كوتوال : كان له مسؤوليات متعددة وفي مقدمتها حفظ الأمن أو الشرطة .

(٣) واقعه نويس : كان يقوم بعمل الاستخبارات .

(٤) أبو الفضل علائي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٤١ .

محمد عبدالله خان : تذكره في سير آگرہ ، ق ٣٨ ب .

بيفردج وديفز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .

الحكومة المركزية في ذلك الوقت خواجه شمس الدين خافي ، وأمر لوزراء الأقاليم بأن يقدموا تقارير عن سير أعمالهم إلى السلطان وعن طريق الوزير خافي (١) ، ونرى من أسماء وزراء الأقاليم بأن ثمانية من هؤلاء الوزراء الاثنى عشر من الهندوكيين ، وأربعة فقط من المسلمين ، وكان الوزير يناط به شؤون المال بالولاية وهو يلقى السبب سالار في المرتبة ، وكان في أول أمره يعين من قبل أمير الإقليم ، حتى رأى السلطان أن يجعله تابعاً له ليكون رقيقاً على كل ما يصدر عن الحاكم وليحد من سلطانه إذا لزم الحال ، وكذلك كان هناك مندوب للولاة في المركز ، يقومون بتقديم عرائضهم إلى السلطان أكبر (٢) .

ويبدو أن الإدارة كانت متشعبة للغاية ، بحيث كان يجري تسجيل كل قضية بما يلزم من الإيضاحات والبيانات اللازمة ، وكل هذه المعاملات كان يقتضى لها جيش من الموظفين والكتبة ، ليس لهم محل أو ذكر بين مراتب الجيش وصفوفه .

ولضبط غلال الأرض والمحاصيل ، كان لابد من عدد كبير من المحاسبين والكتبة ، ومثل هذا العدد وأكثر لجباية الرسوم ، ومثلهم لشؤون المطال والتحصيلدارات ، وغيرهم من المحاسبين والمفتشين لضبط القيود والإشراف على عطيات الجرد ، وكان ألوف من الكتبة يسجلون كل يوم بيومه مجموع واردات الدولة

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٦١٣ .

أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ،

ج ٢ ، ص ١١٥ .

Ibn Hasan: The Central Structure of the Mughal Empire,
P. 165

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٦٢ .

ومداخل الضرائب ومصروفات الملك ، كما يسجلون البارز من حوادث البلاد ومجرياتها اليومية ، ويضبطون أسماء الأجانب الذين يدخلون البلاد ، مع بيان بأسماء البلدان التي قدموا منها والغرض من قدومهم ، كما قامت في المدن ، والمرافئ ، إدارات مستقلة يعهد بها الى محتسب أو كوتوال يكلف بالصهر على أمور الأمن ، ومعاينة المجرمين وتحديد الأسعار ومراقبة المكايل والموازين وملاحقة الكسالى وإلزامهم على العمل ، والصهر على تنفيذ التعليمات الصادرة عن السلطان . (١)

كان الباد شاء يقف على كل أمر يجري في كافة نواحي دولته المترامية الأطراف ، وذلك بواسطة رقباء من الموظفين الكبار في الولايات ، وكان على كل واحد من هؤلاء أن يحيط أمير الأقليم ورجاله علما بما ييلفه من الحوادث والوقائع قبل أن يرفع خبرها وتفصيلها الى السلطان ، ويرغم أن الباد شاء أحكم الرقابة على عماله في مختلف أنحاء دولته ، وأقام من كبارهم رقباء بعضهم على البعض ، إلا أن صعوبة المواصلات وتراعى المسافات ، واشتغال الدولة نفسها بالحروب والغزوات المتواصلة في الغالب ، قد أضعف من جدوى هذا النظام ، حتى صار حكام الأقاليم يتصرفون عموما وفق هواهم وعلى مسؤوليتهم الخاصة . (٢)

(١) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٦ .

(٢) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ،

وكان هناك أيضا زميندارات (١) يتولون إدارة أراضى واسعة ويمارسون فيها كل أنواع السلطة لقاء عوائد معينة يدفعونها للسلطان الذى كان بوسعه أن يسترد هذه الأراضى المقتطعة. (٢)

(١) زميندارات : ملاك الأراضى .

(٢) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٦ — ٥٨٧ .

كان الجيش من أهم العناصر المكونة لدولة السلطان أكبر ، وهو كالعمود الفقري لمشمل هذه الدولة التي قضت معظم أوقاتها في حروب تكاد تكون متواصلة ، من أجل الفتح والتوسع أو للقضاء على الاضطرابات وحوادث التمرد هنا وهناك .

لقد وزع أكبر شاه مناصب الجيش من وحدة العشرة إلى الوحدة العشرة آلاف ، واختص أبناءه بالمناصب التي تزيد عن وحدة خمسة آلاف ، وأصبحت مراتب المناصب في الجيش ستا وستين مرتبة^(١) ، ولقد ذكر أبو الفضل مؤرخ البلاط هذه المناصب الستة والستين في اثنتي عشرة صفحة من الجداول ، موضحا فيها الامتيازات التي كان ينالها القواد أو رؤساء تلك الوحدات ، من أنواع الخيول والفيلسة والجمال وسائر وسائل النقل التقليدية ، وكذلك أوضح في تلك الجداول رواتبهم التي كانت تبدأ من خمس وسبعين روبية لقائد وحدة العشرة ، وتصل إلى ستين ألف روبية لقائد وحدة العشرة آلاف ، وفي كل وحدة هناك القائد الأول والثاني والثالث ، الذين تتفاوت رواتبهم فيما بينهم ، ما عدا المناصب الثلاثة الأولى ، وهي وحدة العشرة آلاف ووحدة الثمانية آلاف ، ووحدة السبعة آلاف ، التي لم يكن لها غير أبناء أكبر ، وعلى سبيل المثال كان

(١) أبو الفضل علامي : آئين أكبري ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٥ .

بيفردج وديفنز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٧ .

لقائد وحدة الخمسة آلاف ٣٣٧ من الخيول المتنوعة ومائة من الفيلة المختلفة وثمانون من الإبل ومائة وستون عربية ، وراتب القائد الأول لهذه الوحدة هو ثلاثون ألف رويية ، وراتب القائد الثاني تسعة وعشرون ألف رويية ، وراتب القائد الثالث ثمانية وعشرون ألف رويية (١) ، وكان على هؤلاء الضباط أن يجندوا الجنود ، ويحضروا لهم الخيل ويجهزوه بما يلزم من عدة وعتاد ، مقابل مرتبات تدفع لهم ، ومن بين هؤلاء الضباط كان السلطان أكبر يختار عماله والموظفين الأكفاء للمراكز الإدارية البارزة (٢) .

ولقد كان السلطان حذرا من أن يرقى الأمراء الكبار إلى منصب يقودون فيه أكثر من وحدة الخمسة آلاف ، وكان يرى أن الذى يتولى قيادة جيش كبير فقد يخدع الشيطان فيرفع علم العصيان . (٣)

وكانت هناك أيضا فرقة خاصة من الفرسان للحرس السلطانى ، وكانت تسمى هذه الفرقة أحدى ، وكانت تتكون من اثنى عشر ألفا من الفرسان المتأزين ، كما كانت لهذه الفرقة قائدها الخاص . (٤)

(١) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٢١٧-٢٢٨ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P. 263

(٢) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٥ .

(٣) سليم شاه الهندى : تاريخ أكبر شاه ، ق ١٤ ب .

(٤) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٩٠ .

سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٤١٠ .

أحمد محمود الساداشى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية

وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١١٩ .

وكان سبيه سالار^(١) هو الذى يخلف الباد شاه فى الولاية ويطيعه جندها ورعيته
ويكون عمرانها بعدله^(٢).

ولقد تباينت أقوال المؤرخين فى تحديد عدد قوات السلطان أكبر، فمنهم
من رأى أن عدد قواته كانت تصل إلى خمسة وعشرين ألفا^(٣)، ومنهم من يذكره
مائة وأربعين ألفا^(٤)، كما يرى البعض أن الجيش ضم فى مختلف قطاعاته
والويت وفى جميع أنحاء الهند أكثر من مليون جندى^(٥)، ويذكر مؤرخ البلاط
أبو الفضل بأن عدد الجند والزמידارات كان يزيد عن أربعة وأربعين
مائة ألف أى أربعة ملايين وأربعمائة ألف^(٦).

والثابت المعروف أن الجيش الذى سار به الباد شاه للقضاء على تمرد أخيه
محمد حكيم مرزا عند الحدود الشمالية الغربية، كان يضم قرابة خمسين ألف من
الفرسان وحوالى خمسة آلاف من فيول الحرب وألوف كثيرة من المشاة، وجميعهم

(١) سبيه سالار : قائد الجند

(٢) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم
ج ٢ ، ص ١٢٠ .

(٣) ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٥ .

(٤) شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٢ .

جلال يحيى : العالم الإسلامى المعاصر ، ج ١ ، ص ٤٦٤ .

(٥) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٥ .

(٦) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

كانوا يتناولون مرتباتهم من الخزانة العامة ، ومن الطبيعي أن يتضاعف هذا العدد حين تنضم إليه قوات الولايات ، وينكمش الى ما دون ذلك بكثير أيام السلم . (١)

وكان نظام توزيع الجيش في أثناء المعارك ، هو المقدمة وألتمش (٢) والقلب والميمنة والميسرة ، كما كانت هناك وحدات استطلاعية تسمى قراول تسبق الحملة لمعرفة قدرات العدو ، ومدى استعداداته في الدفاع أو الهجوم . (٣)

وكان مير بخشى يصاحب كل حملة أو جيش ، وهو الذى يشرف على شؤون تمويل الجيش ونفقاته وخزائنه ورواتب منسوبيه .

وكان من النظم الرائجة أن يقام مجلس الحرب للبحث في أسباب تأخير الفتح ، والتشاور لما يتخذ من اجراءات وأساليب تحسم الموقف ، فعندما طالّت مدة حصار پتنه في الفتوحات الشرقية ، أسرع السلطان إلى اللحاق بقواته المحاربة هناك ، وأمر باحضار الأمراء في منزل خان خانان منعم خان قائد هذه الحملات ، حتى يتشاوروا في الأمر ، فخطبهم السلطان أكبر قائلاً : إن مدة الحصار قد طالّت ولا بأس من تأخير التسخير حتى الآن ، ولكن بعد الآن ، لا تسمح غيرة السلطنة بأن تبقى طائفة الأفغانيين في قلعة پتنه بل وفي هذه المملكة ، ويبدو

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية

وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

(٢) ألتمش : كلمة تركية بمعنى الجيش الذى يكون بين المقدمة والقلب / غياث

اللغات ، ص ٤٥ .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٧ ، ٣٢٥ .

أن قلعة حاجي پور هي محور الإمدادات لهذه الناس ، فلنبادر إلى الاستيلاء عليها أولاً لنمهد استئصال الجماعة نهائياً ، وحسنت هذه الفكرة من قبل الأمراء والخوانين فوزعت الأذوار في المجلس (١) .

وكذلك كان السلطان أكبر يطلب أحياناً من قواته أن يقوموا بالمناورة والعرض العسكري قبل بدء المعركة ، وذلك لا اختبار قدراتهم التعبوية والقتالية ، فعندما رجع السلطان إلى الكجرات ثانية ، ليقضى على تحالف المخالفين ضد سلطته هناك ، وقبل أن يلتقي جيشه بقوات أعدائه ، طلب من الجند أن ينزلوا إلى ساحة العرض ، بكامل أسلحتهم وذخيرتهم ، فنظم الأمراء والقواد أفواجهم ، وأنزلوا إلى الساحة شباباً ذوي خبرة في المعارك ، وتغمد السلطان المناورة وأشرف عليها ، ووزع قواته إلى القلب والمقدمة والميمنة والميسرة ، كما كون لنفسه مجموعة قتالية اختيرت من بين آلاف من الفرسان ، تكون على أهبة الاستعداد ، فلو حدث أي خلل في أي فوج ، يبادر السلطان بهذه المجموعة لتدارك الوضع ، وبعد تعبئة الأفواج وتنظيمهم ، صدرت الأوامر بأن لا يفارق أحد فوجه (٢) ونظراً لكثرة القلاع الحربية وانتشارها في الهند في ذلك الزمان ، كانت هناك أساليب لفتح هذه القلاع ، ومن أهمها إقامة الساباطات والمورچلات ، والسلباط عبارة عن جدارين متوازيين بينهما من مسافة مرمى البندقية ، فيمدان إلى

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣١٨ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٠٧ .

جدار القلعة ويفطى سطحه بالألواح الخشبية وجلود الأبقار وغير ذلك ، ويمتد
فى النهاية كطريق صغير إلى جدار قلعة العدو ، فيعبر منه النقبون والقائمون
على المدفعية والبندقية ، فيضرب الجدار بالمدفع ، أو يحفر النقب تحت الجدار ،
فيلاً بالباروت ثم يفجر الجدار ، فتحدث فيه فتحة ، ويأدى الجنود بالعبور
عن الساباط والدخول إلى القلعة عن طريق تلك الفتحة فيقومون بفتح القلعة ،
وأما المورچيل فهو عبارة عن النقب الذى كان يحفر تحت الأرض باتجاه قلاع
العدو لفتحها (١) .

ولقد اهتم السلطان أكبر نفسه ببناء القلاع فى أنحاء الهند المختلفة ،
وذلك بقصد الدفاع وإقرار الأمن ، ومن القلاع التى قام السلطان بإحداثها قلعة
أتك ، التى بناها على مقربة من نهر نيلا ، وذلك بعد أن عاد من كابل فى
سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٦ م) وعبر ذلك النهر ، فأمر ببناء تلك القلعة من الجص
والحجر ، لضبط الأمور فى تلك الحدود ، وسميت القلعة بأتك ، لأن مذهب
الهنود كان يمنع العبور من نيلا وكلمة أتك فى اللغة الهندية تعنى المنع (٢)
وكذلك لما انهزم قواد أكبر فى حربهم ضد الأفاغنة فى الحدود
الشمالية الغربية ، عين السلطان فى سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٧ م) راجه تودرمل

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

نظام الدين أحمد الهروى : طبقات الكبرى ، ص ٢٨٣ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

على رأس جيش كبير لتدارك الأوضاع ، فأقدم راجه من واقع خبرته ، إلى إحداث عدد من القلاع فى المناطق الجبلية ، واستطاع بهذه الطريقة أن يسير ضد الاء فغانيين الحملة تلوا الحملة حتى أخضعهم . (١)

وكان عدد القلاع المستحكمة والمشهورة فى دولة السلطان أكبر يصل إلى ألفين وأربعمائة قلعة ، ما عدا قلاع بنكاله التى قاومت السلطان أربع سنوات ، كما كانت القلاع تضم سجوناً للمجرمين والمتمردين ، ويذكر السلطان سليم بن السلطان أكبر وخليفته أنه بعد توليه الحكم أصدر العفو عن السجناء فى الممالك المحروسة ، وأمر بإطلاق سراحهم جميعاً ، ويقول أنه فى قلعة كواليار وحدها كان يقيم سبعة آلاف من السجناء ، وكانت سائر القلاع على غرارها . (٢)

كما كانت هناك تهاجمات (٣) كثيرة منتشرة فى أنحاء البلاد للحفاظ على الأمن ، وكان من مهام هذه الشكنات الحفاظ على أمن السياح ، فإذا ما قصر فى العناية بسائح أو لم يجيدوا الدفاع عنه ، أصبح المسؤولون عن الأمر عرضة للحساب والعقاب . (٤)

-
- (١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٩ .
 - (٢) سليم شاه الهندى : تاريخ أكبر شاه ، ق ٩ أ .
 - (٣) تهاجمات : جمع تهاه وهى عبارة عن شكنات صغيرة من الجيش وقوى الأمن
 - (٤) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٦ .
- غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٤٢٦ .

كانت قوات أكبر الأسلحة تتألف من المشاة والمدفعية والفرسان والبحرية ، وبالنسبة للمشاة فإننا اذا استثنينا منهم حطة البنادق وأرباب السيوف ، لم يكن لهم فى المعارك شأن يذكر فى الغالب ، فعاصمتهم وعلى كثرة عددهم كانوا يضطلعون بخدمة القوة العاطمة ونقل المؤن ورعاية الدواب وحراسة المعسكرات ، وأما سلاح المدفعية فقد كان مناط عناية الباد شاه الكبرى حتى كان يشرف على كل شؤونه بنفسه ، وقد أتى بهذا السلاح إلى الهند جد السلطان أكبر ، ظهير الدين محمد بابر شاه ، وعرفه الكجراتيون من بعد ذلك على أيدي البرتغاليين الذين كان لهم مستعمرات بشاطئهم ، فاستخدموه فى حروبهم مع همايون ، وأغلب خبراء هذا السلاح كانوا من رجال فرغانة ومن العثمانيين والمولودين من البرتغاليين بالهند .

وكان السلطان أكبر يرى أن سلاح المدفعية قفل عجيب لحراسة الحكم ، ومفتاح رائع لأبواب الفتح ، وكان هذا السلاح فى دولة أكبر من الكثرة بحيث كان يسخر لجبهه إلى المعارك عشرات من الفيلة وآلاف من الأبقار ، وكان السلطان يهتم بهذا السلاح اهتماما بالغا ، ولقد رشح لسلاح المدفعية قواد مجدون وكتاب لهم عمق النظر ، وكان يعمل لتنمية الخبرات فى هذه الناحية ، ومضاعفتها ، حتى استطاعت مصانعه أن تنتج أنواعا من الاختراعات التى كانت تثير الإعجاب ، ومن تلك المخترعات اختراع مدفعية تفصل أجزاؤها من بعض ، فتنتقل إلى المعارك بسهولة ثم تتركب عند الحاجة بيسر ، ومنها ما كان

تفتح أجزاؤها السبعة عشر بفتيلة واحدة ، كما كان كل نوع من أنواع المدفعية يحمل اسما خاصا به ، ومنها مدفعية كج نال التي كان يجرها فيل واحد بسهولة ، وهناك نوع آخر كان يسمى نرنال وكان باستطاعة شخص واحد تحريكها ، وكان الفنيون النادرون ينتجون الجديد تلو الجديد ، وخاصة من نوع كج نال ونرنال ، كما كان الأمراء والأحاديون يتلقون إزا هذه الأعمال رواتب شهرية ، ولقد وزعت المدافع في أنحاء الدولة وفي كل ولاية حسب أهميتها .

وكذلك كان اهتمام أكبر بصنع البنادق ، وكانت مصانعه تصنع بنادق على قدر كبير من المتانة والصلابة ، بحيث كانت تملأ إلى فيها بالباروت فتطلق نيرانها دون أن تنفجر أو تخرق ، ويشرح أبو الفضل الطريقة التي كان يتبعها الحدادون في صنع البنادق ورصاصاتها ، ويذكر أن هناك ظهر صناع كثيرون في هذا المجال منهم الحداد استاد كبير حسين ، وكذلك أشار مؤرخ البلاط إلى أنواع البنادق المصنوعة وأسمائها (١) .

وأما سلاح الفرسان فقد كان هو القوة الضاربة الرئيسية في الجيش ، حتى أن الباد شاه كان يوالى بنفسه التفتيش عليه ويختبر خيوله وينزل إلى حظائرها ،

-
- (١) أبو الفضل علامي : أئين أكبري ، ج ١ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .
أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٥٥٦ .
أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١٢٠ - ١٢١ .
نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٣٧٤ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢١٦ .
جلال يحيى : العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، ص ٤٦٤ .

ويراقب تدريب رجاله ، وإلى جانب الفرسان كان هناك وحدات الفيلة ، وقوام كل واحدة منها كان يتراوح بين العشرة والثلاثين ، وكان كل فيل يحمل اسما خاصا به .

وكذلك عني أكبر بتدعيم سلاحه البحرى ، وإن لم يبلغ به الى درجة الأساطيل التى كانت تجوب أعالي البحار فى عصره ، وأغلب سفنه كانت تعمل فى أنهار الهند ، وفى حدود موانئه ، ومن بينها ما كان يحمل المدافع الخفيفة وآلات الحرب . (١)

ولقد اهتم السلطان أكبر كثيرا أن يكون جيشه دوما على أحسن ما يكون تدريباً وعدة وكفاية وفعالية ، لينهض على الوجه الأتم بالحروب التى تحدث عليه مواجهتها . (٢)

كما كان السلطان يهتم بإرضاء جيشه ، ولقد أقطع لهم من الأراضى السلطانية فى سبيل محاربتهم ضد المتمردين ، وأمر قائده شهباز خان أن يقطع جميع الأراضى السلطانية فى بنكاله إلى الجند ، لكي يبذلوا قصارى جهودهم فى استئصال المتمردين فى الأقاليم الشرقية ، وكذلك عندما تأخر فتح پتنه توجه السلطان إليها بنفسه ، فرفع رواتب جنده هناك إلى أكثر من ثلاثة أضعاف ، وكذلك كان السلطان يقوم بتسديد ديون أنصاره الذين قتلوا

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،

ص ١٢١ .

(٢) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٤ .

فى المعارك ، فلما قتل شيخ محمد بخارى وسنفيخان كوكه فى حروب كجرات ، أمر بسداد ديونهما من خزانة الدولة ، ولقد بلغ مجموع ديونهما مائة ألف رويية ، أكبر شاهى التى كانت تساوى ألفين وخمسمائة تومان الرائجة فى العراق فى ذلك الوقت . (١)

كذلك اهتم السلطان أكبر بتنظيم الشؤون البريدية فى دولته والتى كانت تخدم كثيرا فى الأغراض العسكرية ، وكان يوجد على بعد كل خمس كروها من الطرق حصانان سريعا السير ، وعدد من الموظفين ، وكان يقال لهذا النظام داك چوكى (٢) ، فاذا كان هناك فرمان ضرورى إلى الأمراء ، أو معروض مهم من أمراء الحدود ، يسلم إلى داك چوكى الذى يستلم البريد ويسلمه بدوره إلى داك چوكى آخر ، إلى أن يصل إلى الجهة المختصة ، وبهذه الطريقة كانت تقطع فى كل يوم وليلة مسافة خمسين كروها ، وكذلك لو كان هناك شخص يكلف من العاصمة بالذهاب إلى مكان ما ، أو كان هناك من يراد مجيئه إلى البلاط على وجه السرعة ، يركب خيل داك چوكى ، وكثيرا ما حدث أن قطع موظفو داك چوكى مسافة سبعمائة كروه فى خلال عشرة أيام . (٣)

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٥٤ .

(٢) داك چوكى : الكرسي البريدى .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧١ — ٢٧٢ .

نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٤ .

غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٤٢٨ .

أصدر السلطان أكبر مرسوما مطولا عاما سماه " دستور العمل " وذكر فى مقدمته أن هذا الدستور وضع للعمل به فى كيفية تصريف الأمور وانتظام الأمصار والقرى ، ويعمل به من قبل الأبناء السعداء والأحفاد المخلصين والأمراء الكبار وسائر المسؤولين والعاملين فى الدولة ، وخاطب السلطان فى هذا الدستور منسوبي الدولة وخاصة الأمراء وحكام الأقاليم كما يلى :

- ١ — طلب الرضا الإلهى فى جميع الأمور والأعمال من العبادات والعبادات وأداء العمل والمسؤولية ، دون النظر إلى النفس أو الغير .
- ٢ — عدم الركون إلى الخلوة ، لأنها أسلوب الدراويش ، وعدم الاعتياد للجلوس المستمر مع العامة وفى الكثرة ، لأنه عادة السوق ، واختيار منهج وسط بين هذا وذاك .
- ٣ — محبة الذين أعزهم الله ، وتعمود الاستيقاظ فى الصبح والمغرب ومنتصف الليل والنهار . (١)
- ٤ — مطالعة كتب أرباب الصفوة والصفاء ، مثل كتب علم الأخلاق ، فى الأوقات التى لا توجد فيها أعمال لخلق الله ، لأن علم الأخلاق عبارة عن الطب الروحانى وخلاصة لجميع العلوم ، وقراءته تجعل الإنسان يتعرف على غاية مراتب الدين ، دون أن تهزه تسويلات أرباب التزوير والخداع .
- ٥ — أحسن العبادات هو إكمال وإتمام مهام الخلائق بجبين منبسط ودون النظر إلى الصداقة والعداوة والقراة وغير القراة .

- ٦ — الإحسان بقدر المستطاع إلى الفقراء والمساكين ، وخاصة المنزويين
المجردين (١) ، الذين لا يفتحون أفواههم للطلب والسؤال .
- ٧ — قياس تقصير الناس وزلاتهم وجرائمهم بميزان العدالة ، ومعرفة التقصير
الذى يستحق الإغماض عنه من الجريمة التى تستحق السؤال والإعلان
عنها ومعاقبة مرتكبيها ؛ لأنه لا يمكن من تقصير يوجب العقاب الشديد ، وكم
من تقصير يجب الإغماض عنه . (٢)
- ٨ — إرشاد المتمردين على تفاوت مراتبهم بالنصيحة والملازمة والشدة واللين ،
فإذا تجاوز الأمر حد النصيحة ، يعمل بالقبض والضرب وقطع العضو والقتل
على تباين المدارج ، ولا يجترأ فى القتل ، بل يتأمل فيه كثيرا ، لأنه
لا يمكن توصيل الرأس المقطوع ، وحتى إذا كان يرسل الذى يستحق
القتل إلى البلاط ، عارضا حقيقته ، وأما إذا كان حفظ المتمرّد أو إرساله
يؤدى إلى الفساد ، فينتهى منه ، ولكنه يحترز من التقشير والإلقاء تحت
الفيل وأمثال هذه الأعمال التى يقدم إليها السلاطين الكبار .
- ٩ — معاقبة كل طبقة من الناس حسب حالتهم ؛ لأن عالى الهمة والفطرة
إذا نظرت إليه نظرة الاستئزاز ، كأنك قتلتها ؛ فى حين تجد صاحب
الفطرة الدنيئة ، لا يكفيه الضرب .

(١) المجرد : من اصطلاحات الصوفية .

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٥٨ .

عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢١٣ .

- ١٠ — إكرام الذى وفقه الله لقول الحق ؛ لأن الناس عاجزون فيه للغاية ، ولو أخطأ القائل أحيانا ، لا يعاقبه لأن العقاب يسد البيان والكلام .
- ١١ — المتعلق ليس بصدى ، وكم من أعماله تكون غير صالحه ، ولا يساء الظن بهم كليا لأن الملازمين لا يستغفنون عن التعلق . (١)
- ١٢ — الاهتمام الشخصى بأحوال المتظلمين حتى المستطاع ، وعدم تحويل عرائضهم إلى الديوان ، لأنه ربما تكون شكاوهم من صاحب الديوان .
- ١٣ — كتابة أسماء المراجعين بترتيب مجيئهم ؛ الأقدم فالأقدم ، وتنظر لدعائهم على هذا الأساس ؛ حتى لا يتحمل الأسبق محنة الانتظار ، وحتى لا يكون للمساعدين ، مجالا للتقديم والتأخير .
- ١٤ — عدم التسرع فى العقاب ، والتريث لمعرفة المجرم ، لأن المتقولين والمفترين كثيرون ، والصادقين الطيبين قليلون .
- ١٥ — العغل بالتأنى والصبر وعدم الاستسلام للغضب ، ويختار عددا من المتعارفين والملازمين الممتازين برجحان العقل والإخلاص ، حتى لا يصمتوا عن نطق كلمة الحق ، أثناء هجوم الهم والغم ، لأن العقلاء يتوقفون عن الكلام ، فى مثل هذه الحالة .
- ١٦ — الاحتراز عن التحلف ، لأن معناه أن تتهم نفسك بالكذب ، والاحتراز عن تعويد المخاطب بسوء الظن والشتيمة ، لأنه عادة الأجلاف . (٢)

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٥٩ — ٦٠ .

١٧- الاهتمام بالتقاوى (١) وتوسعة الزراعة وتنميتها والعمل لاستمالة الرعايا حتى تكثر الأمصار والقرى والقصبات سنة بعد سنة .

١٨- التساهل فى طلب المحصول ؛ حتى تتحول أراضى البور إلى أراضى زراعية .

١٩- تفقد أحوال صفار الرعايا فردا فردا ، وعدم الانصراف عن القرارات تحت أى اسم أو رسم ، وعدم إنزال الجنود وغيرهم فى بيوت الناس ، دون رضاهم .

٢٠- ضرورة المشورة وعدم الاستبداد بالرأى ، وعلى رجال الدولة أن يستشيروا من هو أعلم منهم بالأمر ، ولولم يجدوه ، لا يتركون المشورة أيضا ، لأنه كثيرا ما يوجد طريق الحق بواسطة جاهل ، وكذلك يحترز عن استشارة الكثيرين ، لأن العقل الواعى عطاء من الله ، ولأنه ربما يخالف فى الأمر جمع من الجهال ، فيشوشون فى كيفية تصريف الأمور ، ويبعدون الشخص عن الاستفتاء بعقله وعقل الواعين الصالحين الذين هم قليلون دائما . (٢)

٢١- كل عمل يستطيع الملازمون القيام به ، لا يحوله المسؤول فى الدولة إلى أبناءه ، وكل ما يستطيع أبناؤه القيام به ، لا يتكلفه هو ، لأنه إذا فات الآخرين شئ ، يستطيع تداركه ، وأما إذا فاته شئ يصعب تلافيه .

٢٢- إن أمر السياسة هو أدق أمور السلطنة ، ويحتاج تصريفها إلى التأنى والفهم ، وعلى المسؤول فى الدولة أن يستمع إلى الأعذار ، لأن الإنسان

(١) التقاوى : ما يقدم للعامل أو المزارع مسبقا ، والمبلغ أو البذر الذى يقدمه المالك للمزارع ، ويستردده بعد حصاد المحصول . (عميد : قرههك عميد ، ص ٥٩٩)

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٦٠ .

ليس بدون خطأ وتقصير ، وقد يؤدي التشدد مع المقصر إلى أن يصبح أكثر جرأة ومغامرة في ذلك ، وقد تسوق الغيرة إلى الغربة ، والملاحظ أن هناك من يجب تأديبه بسبب ذنب واحد ، وهناك من يجب الإغماض عن ألف من تقصيراته .

٢٣ — يسلم أمر مراقبة الطرق إلى أناس شجعان يتقنون الله ، فيكون موضع السؤال

صلحاء الطرق وأشرارها ، ويكون المسؤول في الدولة دائم الاطلاع على مجريات الأمور ، لأن السلطنة والقيادة عبارة عن المراقبة والحراسة (١) .

٢٤ — إن الإنسان لا يقبل الضرر لنفسه في أمر الدنيا وهي فانية ، فكيف يختار

الضرر عن علم في أمر الدين وهو باق ، فلو كان الحق معه يجب

اتباعه ، ولو اختار غير الحق عن جهل ، فهو سكين ومريض وجاهل ومحل

ترحم وإعانة ، وليس موضع التعرض والإنكار . فعلى المسؤول في الدولة

أن يحب صلحاء كل طائفة ومن يفكر خيرا .

٢٥ — على المسؤول في الدولة أن لا يسرف في النوم والأكل والشرب ، ولا يتعدى

حد الضرورة ، حتى يتجاوز حدود الحيوانية ، ويختص برتبة الانسانية .

٢٦ — على المسؤول ، أن لا يترك عمل النهار إلى الليل بقدر استطاع ، وأن

لا يكون شديد العداوة مع الناس ، وأن لا يجعل صدره سجنا للحسد .

٢٧ — لا يضحك المسؤول ولا يهزل ، إلا قليلا ، ويراقب الجواسيس دائما ، ولا

يعتمد على قول جاسوس واحد ، لأن الصدق وعدم الطمع نادران جدا ،

(١) عبيد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٦٠ - ٦١ .

عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢١٣ .

فيعين في كل مسألة عددا من الجواسيس الذين لا يعرف بعضهم البعض ،
ويكتب تقارير كل واحد منهم منفصلة ، فيتأكد من خلالها على الحقيقة ،
ويعزل الجواسيس الذين يبحثون عن الشهرة ويعددهم عن النظر .

٣٨ — لا يقرب المسؤول إلى نفسه الأشرار ، ولكن وجود هذه الجماعة مفيد
لمقابلة الأشرار الآخرين ، إلا أنه يراعى التوازن ويهتم في قلبه هذه
الجماعة دائما ، حتى لا يضر الأبرار في ثوب الصداقة .

٢٩ — يراقب المسؤول أقاربه وخداه ، حتى لا يستغلوا القرابة ويظلموا الناس ،
ويراقب المتطقين الأشرار ، الذين يعطون عمل الأعداء في ثوب
الأصدقاء ، وأن الفتن تحدث من هذه الناحية ، ويكون مطلعا من
أطرافه وجوانبه ، ولا يطيل في الكلام ، ويعرض ما هو قابل للعرض .
٣٠ — الاهتمام لترويج العلم والحرف والمهن ، حتى لا يضيع أصحاب الاستعداد

ويهتم في تربية الأسر القديمة ، ولا يغفل عن تسليح الجند وتجهيزه .
٣١ — الاقتصاد في النفقات ، وأن ينفق أقل من الدخل ؛ لأن مال

المعاملات في رهنه ، وقالوا : من زاد صرفه عن دخله فهو أحق ،
ومن تساوى صرفه مع دخله فهو ليس بعاقل ولا بأحق . (١)

٣٢ — لا يركن المسؤول للإقامة ، ويكون دائم الاستعداد للملازمة ، ودائم
الانتظار للطلب ، ولا يخلف في الوعد ، ويكون سالم القول ، خاصة مع
متولى أشغال السلطنة .

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٦١-٦٢ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢١٣ .
ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٦ .

- ٣٣ — على المسؤول أن يتدرب دائما على الرمي واستعمال البندقية ، وأن يأمر الجند بالتمارين الرياضية ، وأن لا يشغف للصيد ، بل يقوم به أحيانا لرياضة الجندية وتنشيط خاطر الذي لا بد منه في الدنيا .
- ٣٤ — على المسؤول أن لا يأخذ الغلات من الرعايا دفعة واحدة بقصد اذخارها فترتفع أسعارها .
- ٣٥ — على المسؤول أن يضرب النقارة أثناء طلوع الشمس ، وفي منتصف الليل ، لأنه في المعنى بداية الطلوع ، وفي أثناء تحويل الشمس من برج إلى برج تطلق البنادق والمدافع طلقاتها ، حتى يطلع جمهور الأنام فيشكروا .
- ٣٦ — على الوالى أن يترك واحدا من الناس في البلاط ، حتى يقدم عرائضه إلى السلطان . (١)
- ٣٧ — العناية للكوتوالية بالحفاظ على قوانينها وترويجها ، وعلى الولاة أن لا يحقروا هذا العمل ، بل يعتبروها عبادة عظمى ، وإن لم يكن في إقليمهم كوتوال (٢) ، يقوم الوالى بمهامه ، إلى أن يعين كوتوال آخره .
- هذا وكانت الكوتوالية من أهم الوظائف الموجودة في جميع أنحاء الدولة ، ولقد اهتم بها الدستور المذكور مشرعا مهامها كالاتى :

(١) عبد الصمد - : مكاتبات علامى ، ص ٦٢ .

(٢) كوتوال : لفظ مفرس من الهندية بمعنى صاحب القطعة ، ولكن الكوتوالية كنظام من النظم الموجودة في دولة أكبر ، أوسع بكثير بمعنى ودلالة كما هو الموضح أعلاه .

يقوم الكوتوال بتسجيل كل مدينة وقصبة وقرية ، وكل بيت وعمارة ، ويسجل سكان كل محلة بيتا بيتا ، ويربط البيوت بعضها ببعض ، حتى يكون الواحد ضامنا للآخر ، ويوزعها على محلات ، ويعين على كل محلة أميرا ، حتى يعرف طيبتها وخبيثتها باستصوابه ، كما يعين على كل محلة جاسوسا ، يكتب وقائعها اليومية ، ويسجل أسماء الواردين إليها والخارجين منها ، ويقرر أنه لو جاء لص أو حدث حريق أو وقع أمر غير سار آخر ، يقوم الجيران بنجدة بعضهم البعض وكذلك يبادرون إلى المساعدة صاحب المحلة وسائر المطلقين ، ولو لم يقوموا بهذا العمل دون عذر ، اعتبروا مذنبين .

ولا يستطيع أحد أن يفادر محله دون علم من جاره ومير محله وصاحب الخبر فيها ، وكذلك لا يسمح بنزول أحد في المحلة دون أن يكون هناك من يكفله ، والجمع الذى لا ضامن لهم ، يوضعون في خانات منفصلة والتي يبنيتها الكوتوال لهذا الغرض ، ويعين عليهم أمير المحلة وصاحب الخبر .

على الكوتوال أن يدرك بفراسته وبعد نظره ، أن من تزيد مصارفه عن عوائده ، فلا بد أن يكون من وراءه سبب غير جائز ، وفي مثل هذه الحالة يقوم الكوتوال بالتحقيق فى الأمر ، دون أن يفقد نظره الخيرة ، ويعتبر هذا التحقيق مطلوبا للانتظام وليس رأس مال الأخذ والجبر . (١)

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٦٢-٦٣ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، ص ٢١٣ .

يقوم الكوتوال بتعيين الدالين على الأسواق ،ليعلنوا عن كل شيء يشتري ويبيع ، ويقرر أن كل من يشتري أو يبيع دون الإعلان مسبقا ، فسيكون عرضة لدفع الغرامة ، ويسجل في الصحيفة اسم المشتري والبائع ، وكل شيء يشتري أو يبيع في السوق ، يكون بعلم من مير المحلة وصاحب الخبر فيها .

وعلى الكوتوال أن يعين عددا من الأفراد للحراسة الليلية ، وذلك في كل محلة وشارع وضاحية ، ويسعى أن لا يكون في المحلة والسوق والشارع أى أجنبى ويعقب اللصوص حتى لا يكون لهم أى أثر ؛ فإذا حدث أن ضاعت الأموال أو نهبت ، يقوم بالبحث عنها وغن لصوصها ، فإن لم يستطع يكون مسؤولا عنها . وكذلك يحقق في أموال الغائب والمتوفى ، فإن كان هناك وارث تترك له ، وإلا تسلم إلى الأمين ويقدم شرحا عنها إلى البلاط ، حتى إذا حدث أن وجد صاحب الحق ، يحصل على أمواله .

على الكوتوال ، أن يبذل قصارى جهده في محاربة الخمر حتى لا يبقى أثر منه ، ويؤدب شاربه وبائعه وصانعه ، وذلك باتفاق مع الحاكم وبطريقة تكون عبرة للناس ، ولكنه لا يتعرض لحكيم وفطن ، يستخدمه في أغراض العلاج وصنع الأدوية . (١)

يقوم الكوتوال بمراقبة الأسعار ومحاربة الاحتكاره فيهم أن تكون الأسعار نازلة ورخيصة ، ولا يسمح لأصحاب الأموال بأن يشتروا البضائع الكثيرة ثم يدخرونها ليبيعوها بالتدريج .

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٦٣-٦٤ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢١٣ .

وعلى الكوتوال أن يهتم بإقامة الاحتفالات في الأعياد وفي مقدمتها احتفالات النوروزية (١) .

وعلى الكوتوال أن يمنع ركوب النساء على الحصان بدون ضرورة ، وأن يفصل أماكن غسل الرجال وحمل المياه في الأنهار ، ويجعل للنساء أماكن خاصة بهن (٢) . ومن التشريعات التي سنّها السلطان أكبر مرسومه الصادر في إعفاء الناس عن تأدية بعض الضرائب ، ولقد أصدر هذا التشريع في سنة ألف من الهجرة ، وفي السنة السابعة والثلاثين من حكمه ؛ ولقد قال في تعليقه لإصدار ذلك المرسوم :

المنّة لله ، بإضاءة لوامع العدالة ، أصبحت مدن هندوستان الكبرى وسائر الممالك المحروسة ، مهبل أصناف النعم ومأمن سافري الأقاليم ؛ وفي هذه الآوان وبموجب توسعة المراحم الذاتية وتكطمة المكارم الفطرية ، صدر حكم نافذ وأمر جازم بالإعفاء عن تأدية التمفا (٣) والباج (٤) والضرائب ، وغير ما كان يؤخذ قليلا كان أو كثيرا ، وفي جميع الممالك المحروسة ؛ وذلك من أصناف

(١) نوروز : اليوم الجديد ، وهو اليوم الأول من شهر الحمل ، ويكون

بداية للسنة الشمسية الجديدة .

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٦٤ .

عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢١٣ .

(٣) تمفا : كلمة تركية بمعنى الضرائب التي تحصل من التجار في بوابات

البلاد ومعايير البحار . (غياث اللغات ، ص ١٢٨) .

(٤) باج : ما يحصل عن شيء غير مطوك ، بل يكون بسبب حق الصيانة أو

الإعانة ، فما يحصله الطوك الكبار من الطوك الضعاف ، يكون

بسبب حق الإعانة ، وما يحصله من التجار يكون بسبب حق

الصيانة . (مكاتبات علامي : ص ٦٧ ، حاشية ٥) .

الحبوب والغلات والنباتات ؛ من أغذية وأدوية وسمن وملح وسكر وأقسام العطريات وأنواع القطن والأسباب الصوفية والأدوات الجلدية ، وسائر الأشياء ، والأسباب والأمتعة والأجناس التي عليها مدار معاش جمهور الأنام وملاك معيشة الخواص والعلوم سوى الخيل والفيل والإبل والغنم والمقر والأسلحة والقماش ؛ ولقد كان استمرار أمثال تلك الأمور في السلطنة إلى هذا الوقت ، بفرض أن لا يتطاول الأقوياء على الضعفاء ؛ والآن وبعد أن تمكنت الهيبة والأبهة البادشاهية من السيطرة على قلوب الناس ، وامت أنوار العدالة والرفقة أقطار الممالك وأكثافها ، أمرنا بإعفاء تحصيل تلك الأشياء ، شكرا لألطف النعم الحقيقي ، ما عدا الأشياء السبعة المذكورة آنفا والتي استثنيت حفاظا على مصالح الحكم .

وعلى الأبناء السعداء والأمراء الكبار وتولى مهام الولايات وحكام البلاط وإقطاعيي الأمصار وعمال الخالصات ومقاطعي (١) المواضع والقصبات وجميع محافظي الطرق وأماكن عبور الأنهار ، وضباط المسالك وملاك الأراضي ومشاهير الممالك ، أن يصفوا إلى مضمون المرسوم ويهتموا بتنفيذ هذا الحكم اهتماما بالغا ، وأن لا يغفلوا عن تطبيقه دقيقة واحدة . (٢) .

(١) مقطع : الذي يقطع معاملات الناس ودعاويهم .

(غياث اللغات ، ص ٤٩٢) .

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٦٢ - ٦٨ .

نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكرمي ، ص ٣٤٤ .

ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

وكذلك أمر السلطان بتحرير العبيد ، قائلا : إن المالك الحقيقي هو الله ولا تليق هذه الصفة إلا لله ، كما أن الناس جميعهم عباد الله ، فكيف للعبد أن يعتبر نفسه صاحبا ويقبل الآخرين عبيدا له ، فحرر في حينه ٩٩٠هـ (١٥٨٢م) آفا من العبيد وضمهم في سلك خدمة البلاط . (١)

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ .

أما في المجال الاقتصادي فقد كانت الزراعة تحظى باهتمام الدولة الكبير ، وقد رأينا أن الدستور نص على تقديم التقاوى للمزارعين والعمل لتنمية الزراعة وتوسيعها .

وقد كان أكثر أراضي هندوستان الوسيعة غير مزروعة ولكنها كانت صالحة بأن تعد للزراعة ، فتعود فوائدها وعوائدها إلى المزارع وإلى الدولة أيضا ، وبعد التعمق ودقة النظر ، رأى السلطان أكبر أن تحسح رقبة (١) الأرياف ، وجميع نواحي الممالك المحروسة ، وتفصل منها الأراضي التي يمكن أن تصل قيمة إنتاجها بعد الزرع ، إلى واحد كرور (٢) تنگه (٣) ، ويعين على رأسها واحد من الملازمين الموصوفين بالخبرة والديانة والأمانة ، ويطلق عليه اسم "كروبي" ويرخص إلى عهده هذا بمرافقة من العمال والفوطه دار (٤) ، ليبدل قصارى جهده ، ويعد الأراضي صالحة للزراعة في خلال ثلاث سنوات ، ثم يقدر محاصيلها من الواقع ، وكذلك أمر السلطان أن ترسل إليه نسخة منقحة من مسح جميع أراضي الدولة ، وكان ذلك في سنة ٩٨٢ هـ (١٥٧٤ م) وفي السنة التاسعة عشرة من جلوس السلطان على كرسى الحكم ، ولقد عين لإجراء ذلك

(١) رَقَبَة : القرى والأرياف التي تشكل في مجموعها الأملاك الوقفية أو الخالصة،

الأراضي التي تعطى لأحد ، لكن يستفيد منها ، إلى آخر عمره .

(عيد : فرهنگ عيد ، ص ١٠٥٠) .

(٢) كرور : عَشْرَةُ مِلايين .

(٣) قطع صغيرة من الذهب أو الفضة . (فرهنگ عيد ، ص ٦٢٨) .

(٤) فوطه دار : صاحب الفوطه وهو عبارة عن الذهب الذي يدخله الرعايا

إلى الخزانة . (غياث اللغات ، ص ٣٨٠) .

الأمر ، مائة وثمانون عاملا ، وسلم لكل واحد منهم واحد كرور تنگه ، فاشتهروا بالكروريين أو عمال الخالصات (١) ، علما بأن ولايات گجرات وبهار وبنگالسه وأوريسه ، استثنيت من هذه الضابطة لأنها ولايات ثغرية ، ولم تكن تشمل تلك الضابطة أيضا ولايات كابل وقندهار وغزنه وكشمير والسند وخانديس ودكن ، لأنها لم تكن قد ضمت الى سلطة الدولة المباشرة ، وأصدر السلطان أوامره أيضا ، بأن يستلم عماله رواتبهم نقدا من خزانة الدولة ، وفق سنة ٩٩٩ هـ (١٥٩١ م) وهي السنة السادسة والثلاثون من حكم السلطان أكبر ، وزع الخالصات إلى أربعة أقسام ، وعين على كل قسم منها أحد رجالاته مشرفا ، فكانت ولايات پنجاب وملتان وكابل وكشمير لخواجه شمس الدين ، وولايات أجمير وگجرات ومالوه لخواجه نظام الدين أحمد بخشي ، وولاية دهلي لراي پيتريداس وولايات آكره وإله آباد وبهار لراي رامداس . (٢)

وكان من شدة حرص السلطان على المحاصيل أنه كان يأمر بالمحافظة على المزارع أثناء مرور الجند وتعويض المتضررين ، ففي سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م) عندما كان أكبر شاه متوجها الى أجمير ، أمر أحد قواده وهو لاور خان ،

(١) خالصة : الأراضي التي تتعلق للدولة ، الأراضي السلطانية .
(قرهنگ عميد ، ص ٨٢٥) .

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣١١ ، ٣٢٣ .
أبو الفضل علامي : آئين أكبرى ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .
" " : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٦٣٤ .
غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٤٢٤ .

بأن يحافظ على المزارع التى تقع فى طريق الجند أو قرب معسكرهم ، وذلك بمساعدة من وحدة اليساول (١) ؛ وبإضافة الى ذلك وظف جمعا من المتدينين أن يتعاقبوا الجند ، ويشاهدوا بدقة بالغة ، المزارع التى تضررت من جراء مرور الجنود ، ويعوضوا أصحابها من حساب الديوان ، وأصبحت هذه ضابطة يعمل بها فى جميع الحملات ؛ وحتى أنه كان فى بعض الحملات تسلم للأمناء خرائط من الذهب ليحاسبوا حق الرعية ، ويعوضوا أصحاب المزارع نقدا ، ثم يقدموا حسابات ما صرفوه للديوان . (٢)

وكذلك امتدت إصلاحات السلطان أكبر الى نظام الخراج الذى كان يعد أهم موارد الخزينة بعد رفع ضريبة الرؤوس عن الهنادكة وإعفاثهم من ضريبة زيارة أماكنهم المقدسة ، وفى السنة الرابعة والعشرين من حكمه ٩٨٧ هـ (١٥٧٩ م) وضع السلطان نظام " ده ساله " (٣) . وذلك بعد أن امتدت وتوسعت رقعة الدولة وضمت إليها عدد من الممالك التى أزيلت من الوجود . وكانت تقارير تحصيل الضرائب الزراعية تتفاوت بعضها عن بعض مسيئة إلى الجند والرعية ، وبدأت ترتفع الشكاوى ، مما دفع خبراء الدولة إلى البحث عن إيجاد حل لهذه المشكلة ،

(١) يساول : كلمة تركية ، وتعنى هنا الوحدة التى تقوم بتنظيم صفوف الجيش .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٣ .

(٣) ده ساله : السنوات العشرة .

وانتهى الأمر إلى وضع نظام " ده سالة " حيث تم تقدير الضرائب على أساس متوسط الإنتاج في السنوات العشر السابقة ، وكلف المزارعون بتأدية عشر ذلك المحصول إلى الدولة ، بعد التعرف على الأراضي من حيث كونها يزرع في مدار السنة أولا ، وما يعتمد منها في السقي والري على الأمطار وما يسقى منها من الأنهار والينابيع والآبار ، وما هو في حكم البور وما يقع منها في السهول أو يقوم على سفوح الجبال أو تغطية الأعشاب والغابات ، ولقد سمي كل نوع من أنواع تلك الأراضي بأسماء خاصة تدل على نوعيتها وبالتالي تقرر كمية تحصيل الخراج المطلوب منها ؛ فهناك پولج (١) وپروتی (٢) وچچر (٣) وبنجر (٤) ، وغيرها ، كما صدرت الأوامر إلى جباة الخراج بأن يصبروا على الفلاحين فسي تحصيل الأموال السلطانية ، وأن يمدوهم من بيت المال في شتى القحط وكان وزيرا السلطان راجه تودرمل وخواجه شاه منصور قد كلفا بوضع نظام " ده سالة " إلا أن راجه تودرمل أرسل لتدارك الأوضاع في الديار الشرقية ، فقام الثاني بوضع ذلك النظام . (٥)

-
- (١) پُولَج : كلمة هندية تعني الأراضي التي تنتج عاما بعد عام وفصلا بعد فصل ولا تفقد قدرتها الإنتاجية .
- (٢) پَرَوْتِي : كلمة هندية تعني الأراضي التي تزرع أحيانا وتترك أخرى .
- (٣) چَچَر : كلمة هندية تعني الأراضي التي تزرع مرة واحدة في كل أربع سنوات .
- (٤) بَنَجَر : كلمة هندية تعني الأراضي التي تزرع مرة واحدة في كل خمس سنوات .
- (٥) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٤١ .
 " " : آئين أكبری ، ج ١ ، ص ٣٦٦ .
 أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١١٢-١١٨ .
 بيفرديج وديغز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .
 شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

وكذلك كانت التجارة رائجة داخليا وخارجيا ، وكان السلطان أكبر يميل للخيول كثيرا ، فكان التجار يقومون باستيراد الخيول العراقية والعربية والإيرانية والرومية والتركتانية ، وكذلك كانت الخيول تستورد من بدخشان وشروان (١) وتبت وكشمير وسائر البلدان ، وكان يتوالى وصول قوافل الخيول من توران (٢) وإيران ، وكان يوجد فى طويلة السلطان اثني عشر ألفا من الخيل (٣) ، كما كانت هناك علاقات تجارية ، بين دولة المغل وبين الوجود البرتغالى فى ميناء كوهه ، وكانت العاصمة آكره نشطة فى تبادل السلع التجارية ، وكان يجتمع فيها كبار التجار من الداخل والخارج ، كما كانت فيها محلات خاصة للتجار الأجانب ، ومنها محلة لتجار الإفرنج ، كانت تسمى بفرنكى توله ، فكان تجار الإفرنج يقومون فيها بتسويق بضائعهم ، كما كانوا يقومون بشراء السلع التى يرغبون تصديرها إلى بلدانهم. (٤)

وفى عهد السلطان أكبر وخليفته جها نكير ، كانت قطع النقود فى الهند أرقى من مثيلاتها فى أية دولة أوربية حديثة ، من حيث تصميم شكلها من الوجهة الفنية وصفا معدنها. (٥)

-
- (١) شروان : ولاية فى الجنوب الشرقى من القفقاز.
 (٢) توران : ما وراء النهر.
 (٣) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ١٦٣-١٦٤.
 (٤) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٩٦.
 لا له سبيل چند : تفريح العمارات ، ص ٧٠ ، ٩٦.
 (٥) ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٥٧.

وكان السلطان يهتم بإنشاء الطرق ومرافقها وأمنها ، لتسهيل التردد بين المدن الهندية وأقاليمها ، وبالتالي تنشيط الحركة التجارية ، وكان يأمر بحفر الآبار على الطرق وعلى بعد كل كروه واحد ، كما كان يأمر برفع المنارات المزينة بقرون الغزلان ، لتكون دليلا للمسافرين (١) .

وكان لإعفاء السلطان ضرائب الباج والتمغا أثره في تنشيط التجارة ، حيث أصدر السلطان في سنة ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) وهي السنة الخامسة والعشرون من عمره ، أمرا بالإعفاء من هاتين الضريبتين قائلا بأن الفاتحين والولاة يقومون بتحصيل مثل هذه الضرائب حتى يجهزوا لهم أسباب التوسع والفتح وليسخروها في انتظام أمور السلطنة ، ولكن الله سخر لنا ممالك عديدة من الولاة العظام وخزائنهم ، فلا يليق أن نسعى وراء تلك الضرائب ، بل نصدر أوامرا إلى جميع منسوبي الدولة بأن لا يزاحموا التجار ولا يتعرضوا لهم ولا يطالبوهم بدفع الباج والتمغا اللذين يزيد عائدتهما عن خراج الأقاليم (٢) .

كما كانت السفن تقوم بنقل البضائع في السواحل الهندية وأنهارها وكانت للسلطان إدارة بحرية تشرف على بناء السفن وتنظم حركة الملاحة البحرية والنهرية ، كما قامت بتشجيع من السلطان وتوجيه منه ، عدة مصانع لبناء السفن المختلفة الأحجام والأشكال ، وذلك في السواحل الشرقية والغربية والجنوبية ، وكذلك كانت السفن تصنع في إله آباد ولاهور ثم تنقل إلى المياه

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامہ ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

المالحة ، كما كان هناك الملاحون المهرة الذين يعرفون المد والجزر والعمق ، وأوقات هبوب الرياح المختلفة ، وأماكن الصخور والجبال الموجودة تحت الماء ، وقد استجمع أمثال هؤلاء الخبراء بعد بحث طويل وخاصة من مليار ، وكان يتكون طاقم السفن الكبيرة من اثني عشر ألفاً ، منهم الملاح والدليل والسرهنك الذى كان يدخل السفينة فى الماء أو يخرجها منه ، وكترانى الذى كان يقدم للركاب الأكل والشرب ، والبيفجرى الذى كان يراقب ظهور الساحل والسفن وهبوب الرياح . (١)

كانت أنواع من الأقمشة تستورد من خارج الدولة ، ولكن باهتمام من السلطان بنيت مصانع لإنتاج الأقمشة المختلفة فى مدن لاهور وأكره وفتحبور وأحمد — آبار وكجرات ، كما استجمع الخبراء والفنيون لتدريب تلك الصناعة ، وبدأت مراكز الإنتاج ، تنتج أقمشة مصورة ومنقشة ، والتي أثارت إعجاب السياح والرحالة الخبراء فى معرفة الأقمشة ، وألم الفنيون قواعد تلك الصناعة ، النظرية منها والعملية ، وانتشرت صنعتها فى البلاد ، ووصلت صناعة الأقمشة الصوفية والحريرية إلى أوجها ، وأصبح كل ما كان يستورد من سائر البلاد ، كالأقمشة الإيرانية والإفرنجية والخطائية ، تنتج محلياً ، ونتيجة لزيادة الإنتاج وانتشاره انخفضت الأسعار إلى خمسين فى المائة ، ويذكر أبو الفضل فى هذا الصدد ،

(١) أبو الفضل علامى : آئين الكبرى ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،

ج ٢ ، ص ١٢١ .

ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٥٧ .

أنواع من الأقمشة والملابس الموسمية التي كانت تنتجها المصانع ، وكذلك أنواع
البطانيات المطرزة بالذهب ، والنسجية والحريرية والصوفية ، مبينا في تسع صفحات
من الجداول ، أسعار كل جنس ونوع من البطانيات . (١)

كما كانت خزائن السلطان أكبر مليئة بكميات خيالية من الذهب ، ويذكر
السلطان سليم في مذكراته ، بأن خزائن أبيه كانت خارجة عن العد والحصر ،
ويذكر على سبيل المثال أن أباه أمر قليج خان ، بأن يذهب إلى آكره ^{وينفق منها}
ذهب ومعه أربعمئة قبا نى ، وقاموا بوزن الذهب فى خلال خمسة شهور ، وبعد هذه
المدة أرسل إلى أكبر شاه شخصا يسأله عن كمية الذهب الموجود ، فأجابته
بأننا فى خلال هذه الشهور الخمسة ، نقوم بوزن الذهب مع ألف شخص وأربعمئة
قبا نى ، ولم نفرغ إلى الآن من خزينة واحدة ، فأرسل إليه السلطان من يأمره
بأن يتوقف عن وزن الذهب ويعيد ما سحبه إلى مكانه ثم يقفل الباب ويختمه
فيعود إليه به . وهذه كانت حال خزينة مدينة واحدة ، كما كان بحوزة السلطان
اثنا عشر ألف فيل طائش ، وكان عشرون ألفا من أثنى الفيلة تخدم الفيلة
الذكور الآتفة الذكر ، وكانت تصل نفقاتها فى كل ليلة إلى أربعمئة ألف
روبية ، وهذا عدا الفيلة الغير الطائشة التى لم تكن لها أهمية فى الحروب
والمعارك ، وكذلك كانت فى حظيرة السلطان آلاف من الغزلان والأبقار والنعام
وغيرها (٢) .

(١) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ١١٣-١١٦ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،
ص ١٢٤ .
(٢) سليم شاه الهندى : تاريخ أكبر شاه ، ق ٣١ أ .

وكذلك نشاهد ثروة الدولة من إنعامات السلطان ، ومنها أنه كان فى صحن قصر الحكم فى فتحبور حوض مساحته عشرون فى عشرين ذراعاً ، وعمقه ثلاثة أذرع وأمر السلطان ، أن يملأ الحوض من المبالغ ، ولما وضعوا فيه سبع كرورات رويية ، عرض راجه تود رمل بأن الحوض لم يملأ ، فأمر السلطان أن يزيدوه حتى يمتلئ فلما امتلأ ، جلس السلطان إلى جواره وأخذ ينعم منه على الأمراء والفقراء والمشايخ والعلماء ، وتم توزيع ذلك المبلغ الذى بلغ عشرين كرور تنگه ، فى خلال ثلاث سنوات (١) ، وكذلك نرى هذه الثروة الهائلة فى تقديم أحد رجال السلطان تحفاً وهدايا له ولحاشيته ، وهو مرزا عزيز كوكه الذى دعا السلطان إلى ضيافته ، فقدم له فى آخر أيام الضيافة عدداً من الخيول العربية والعراقية مع سروج ذهبية وفضية ، وعدداً من الفيلة العملاقة مع سلاسل ذهبية وفضية وجلال مخطية سندسية ، وجواهر ولاكى وياقوت ، والنمر والكبرى الذهبى ، وأوانى ذهبية وفضية ، وأقمشة إفرنجية ورومية ((وسائر نفائس الأجناس التى لا يحدها القياس)) وقدم أيضاً هدايا لسائر أركان الدولة والمقرنين إلى السلطان ، وجميع أصحاب المناصب وأهل الفضل الذين كانوا ملازمين له ولجميع الجند المصاحب للسلطان . (٢)

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

محمد عبدالله خان : تذكرة فى سير أكره ، ق ٣٨ ب .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٠ .

كان السلطان أكبر محبا للعلم والمعرفة ، وكان يبحث عن العلماء وأصحاب الفنون في كل مكان ، ويعمل على استدعائهم إلى دولته ، كما كان حريصا على تدوين الحوادث التاريخية ؛ ولقد أمر أن يدون كل ما يعرف عن جده بابر شاه وعن أبيه همايون شاه ، كما كان المحررون يضا حين الفتوحات ليكتبوا عن وقائع الفتح عن قرب ومشاهدة (١) .

كان الشيخ أبو الفيض فيض الشقيق الأكبر لأبي الفضل ، من العلماء والأدباء الذين نالوا قرب السلطان وعطفه ، ولقد صاحب البلاط منذ سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧ م) ، وهي السنة الثانية عشرة من حكم أكبر ، واستمر إلى أن توفي سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٤ م) ، ولم يكن له نظيرا في الشعر والكلام الطون والنكت والبدئية ، وتساعد قدره في البلاط إلى أن نال لقب " ملك الشعراء " في سنة ٩٩٣ هـ (١٥٨٥ م) ولقد ضم ديوانه أكثر من عشرين ألف بيت ، كما ألف باسم السلطان عدة مؤلفات في المجالات المختلفة من المعرفة ، وفي مقدمتها تفسيره للقرآن الكريم تفسيراً غير منقوط والذي سماه بسواطع الإلهام ، وكان ذلك فسي سنة ١٠٠٢ هـ (١٥٩٣ م) ، كما كان أبو الفيض فيض مرييا ومعلما للأمرأ أبناء السلطان أكبر (٢) ، ولقد ترك الفيض من بعده مكتبة كبيرة ضمت قرابة خمسة

-
- (١) كلبدن بيگم : همايون نامه ، ص ١
نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣١٠ .
(٢) سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٢ .
محمد علي خان أنصاري : تاريخ مظرفى ، ق ٣٥ أ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية
وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

آلاف مجلد من النوادر في الشعر والطب والفلك والموسيقى والرياضيات والفلسفة والحديث والفقه ، وقد نقلت جميعها على إثر وفاته إلى البلاط بعد تصنيفها .
وكان السلطان إذا سمع عن مؤلف مهم أو عالم كبير ، عمل لاستدعائه ؛ ولقد أرسل في طلب أحد علماء شيراز وهو چلپی بيگ قائلا له : " إنه يبحث دائما عن أهل الاستعداد من كل صنف وتربيتهم ، وسيط مفتر في بحار العلوم والحكم ، وأنه لما سمع عن فضائله وكمالاته الكسبية والوهمية ، اهتم بطلبه فيستحسن أن يشد محمل الأمل إلى هذا الصوب الصواب ، ويهتم في مجيئ أرباب الاستعداد وسوقهم إلى الحضور الفاضل السرور بأسرع وقت ممكن " (١) كما أرسل السلطان إلى البرتغاليين خطابا يقول فيه : إنه سمع أن هناك كتبا سماوية مثل التوراة والإنجيل والزبور قد ترجمت إلى اللغة العربية والفارسية ، فلو وجدت في تلك الولاية مثل هذه الكتب المترجمة أو غيرها ما ينفع نفعا عاما ويفيد فائدة تامة ، فنحن نرى أن تقوموا بإرسالها . (٢)
كذلك أرسل السلطان مبعوثا إلى حاكم كاشغر في ختا (٣) ، للبحث عن مشاهير الفنانين والحرفيين والصناعيين الموجودين هناك ، وكان التجار من

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٧٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٩ .

(٣) ختا : اسم أطلق في الأدب الفارسي على الصين الشالي (ضواحي منغوليا ومنغولستان ، وتركستان الشرقية) وأخذ من اسم طائفة " ختاي " إحدى طوائف المفضل الذين استولوا تلك النواحي في أواخر القرن الثالث الهجري . (فرهنگ عميد ، ص ٨٣٦) .

الذين يخبرون السلطان بوجود كبار العلماء والأدباء ومشاهير الفنانين والحرفيين
والمؤلفات المختلفة الموجودة في سائر البلدان . (١)

وعلى الرغم من أن أكبر شاه كان أميا ، إلا أنه كان يقول الشعر أحيانا
وكان عارفا بالتاريخ وقصص الهند ، ونتيجة صحبته مع علماء كل قوم وفضلائهم
وبذكائه الفطري ، كان يعرف جيدا لغات الكثيرين من رعاياه ، وخاصة لفظة
السنسكريت ، وأكثر من هذا فقد عمل السلطان أكبر على إحياء التراث الهندي
القديم ، فأصدر أوامره بأن تترجم إلى الفارسية أمهات كتبهم التي كتبت
بالسنسكريتية ، وجاء على رأس هذه الكتب كتاب مها بهارت الذي ترجم إلى الفارسية
وسميت ترجمته بـ " رزم نامه " (٢) وهو أعظم كتاب في قصص البراهمة ، ويعتبر
ملحمة الهند الكبرى تشبه الإلياذة عند اليونان ، وهو من الكتب الهندية
القليلة التي يعرف مؤلفها وهو وياس ، وقد وقعت هذه الملحمة الكبرى حوالي
سنة ٩٥٠ ق م ، وهي تصف حربا بين أمراء أسرة ملكية واحدة ، ولكن جميع
ملوك الهند اشتركوا فيها مع هذا الجانب أو ذاك ، وكذلك ترجم
كتابا الفيدا والرامائن من الكتب المقدسة التاريخية عند الهنود وسائر أصول
الفلسفة الهندية . (٢)

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٣٤ .

(٢) رزم نامه : كتاب المعارك .

(٣) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧١ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أگري ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

محمد عبدالله خان : تذكرة في سير أكره ، ق ٣٨ ب .

أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى ، ص ٧٧ .

وقد ترجم إلى الفارسية أيضا الإنجيل وكتاب حياة الحيوان للدمي ،
وكتاب تزك بابري الذي يحتوى على مذكرات بابر شاه ، وكتاب معجم البلدان
وغيره من الكتب المؤلفة بالعربية والسنسكريتية واليونانية والتركية ، وكان لعبد
القادر بدايوني وأبى الفضل وأبى الفيض الدور الأكبر فى حركة الترجمة هذه ،
كما كان لهم دورهم فى التأليف ؛ ولقد كتب أبو الفضل كتابين مهمين هما
" أكبر نامه " و " آئين أكبرى " ويحتوى الأول على تفاصيل التفاصيل لتاريخ
دولة السلطان أكبر ، ويقع فى ثلاثة مجلدات ضخمة ، كما يحتوى الكتاب الثانى
الذى يقع أيضا فى ثلاثة أجزاء ضخمة على تقاليد الدولة المغلية ورسوم
البلاط ونظام الحكومة وقوانينها ، إلى جانب ما يحويه من حديث مفصل عن
الهنداكة ورسومهم وعاداتهم وعلومهم ، كما ألف بدايوني كتابه المعروف " منتخب
التواريخ " الذى يقع فى ثلاثة أجزاء ؛ الأول فى أخبار سلاطين المسلمين
بالهند ، من سبكتكين إلى همايون ، والثانى فى أخبار أكبر إلى أربعين سنة
من جلوسه على العرش ، وهو الكتاب الذى هاجم فيه السلطان أكبر ووزيره
أبا الفضل دون أى خوف ، والجزء الثالث فى ذكر من عاصره من الشيوخ
والعلماء والشعراء والأدباء وغيرهم الذين تجاوز عددهم الثلاثائة ، وكذلك
ألف نظام الدين أحمد الهروى كتاب طبقات أكبرى ؛ وعدا هذه ألف
وترجمت كتب كثيرة أخرى من الهيئة والنجوم والموسيقى وغيرها ، كما أنشأ

السلطان مكتبة ضخمة جمع فيها المخطوطات النادرة . (١)

كانت الفارسية هي لغة البلاط ولغة الثقافة والدبلوماسية ، ولقد عمل الوزير الهندوكى راجه تودرمل ويتوجيه من السلطان ، وإلى تفريس الدواوين خطأ ، وإن كان المحررون الهنود قبل هذا ، يكتبون الدفاتر بالخط الهندى فوضع تودرمل دفترًا فارسيًا على غرار ما كان موجودًا بإيران ، والتزم به فى تحرير سجلات الدولة كلها ، وبذلك أصبحت الفارسية لغة الدولة الرسمية ، فأقبل كثير من عمال الدولة من المسلمين الهنود والهنادكة ، على تعلم هذه اللغة مما أدى إلى رواجها رواجًا كبيرًا . وقد مهد هذا الإجراء إلى ظهور اللغة الأردية التى هى مزيج من لغات المسلمين والهنادكة . (٢)

-
- (١) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .
- شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
- أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .
- ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٩ .
- أبو الفضل علامى : أكبر نامہ ، ج ٣ ، ص ٦٠٢ .
- جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ٤٦٩ .
- (٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٤٩ .
- أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١١٨ - ١١٩ .
- جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ٤٦٢ .
- شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

ولقد أنشأ السلطان عددا من المدارس التي كان يدرس فيها أساتذة وافدون من البلدان المختلفة ، وخاصة من فارس وشيراز ، وعلى الرغم من هذا فان السلطان لم يقيم بانشاء نظام تعليمي عام . (١)

(١) لاله سيليل چند : تفريح العمارات ، ص ٦٩ - ٧٠ .
هـ . ج . ولز : معالم تاريخ الإنسانية ، ج ٣ ، ص ٩٦٠ - ٩٦١ .

امتاز عصر السلطان أكبر بازدهار الفنون المختلفة وخاصة الفن المعماري وكان يخطط دائما لإحداث المباني العالية والقلاع العظيمة ، التي كان يراها مطمئنة للضعفاء ، وراثة للمتمردين ، وعشرة للمطيعين . (١)

ونالت مدينة آكره العاصمة بالغ اهتمام السلطان ، وكانت آكره في سابق أيامها قرية من توابع بلدة بيان ، واختارها سلطان سكندر لودي أيام حكمه عاصمة له ، وتحولت منذ ذلك الوقت إلى مدينة اشتهرت باسم بادل كده ، ويعيد أن انتصر بابر شاه على اللوديين ، اختار مدينة آكره عاصمة لدولته ، لاعتدال جوها الذي يناسب إلى حد ما طبيعة جنوده الذين تعودوا في العيش بأقاليم باردة (٢) ، ولقد سميت آكره بأكر آباد في زمن حفيد أكبر شاه ، شاه جهان . (٣)

تأتى قلعة آكره في مقدمة المنشآت المعمارية التي أقامها السلطان أكبر في عاصمته تلك ، ولقد بناها على أنقاض القلعة القديمة التي كانت مصنوعة من الآجر ، وبنيت القلعة الجديدة من الحجر المنحوت والجص ، ووضع حجر أساسها في سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٥ م) وهي السنة العاشرة من حكم أكبر ، وتم بناؤها في خلال أربع سنوات بإشراف من قاسم خان ، وكان يشغل فيها يوميا أربعة -

(١) أبو الفضل علامي : آئين أكبري ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

(٢) سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٩ .

لاله سيل چند : تفريح العمارات ، ص ١٧ .

عبدالحق حبيبي : ظهير الدين محمد بابر شاه ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٣) محمد هاشم خوافي خان : منتخب اللباب ، ج ٢ ، ق ١٣١ ب .

آلاف من النحاتين والمعماريين والنجارين والعمال ، وكان بناؤها من الحجر الأحمر ، ولقد وصلت الأحجار على هيئة يراها الناظر من بعيد وكأن القطعة كلها من قطعة حجر منحوت واحدة ، ولقد أحيطت القلعة بخندق عرضه عشرة أذرع ، وكذلك عمقه كان يصل الى عشرة أذرع ، وكانت تأتيه المياه من نهر جون ، كما كان عمق مياه الخندق يصل إلى ثلاثة أذرع.

وكان للقلعة عشرون برجاً وأربعة أبواب كبيرة ، كما بنيت بداخل القلعة بيوت رائعة مجصصة ، اهتم بتزيينها كبار أمراء السلطان ، من أمثال راجه تودرمل وراجه بيريل وخان خانان منعم خان ، ولقد زين النقاشون والرسامون قصر الحكم الواقع بداخل القلعة على هيئة ((جعلت آكره خالا في وجه بلاد الأرض)) ، كما استغرق بناؤها العمارات الموجودة بداخل القلعة أربع سنوات أخرى . (١)

ولقد أصبحت مدينة آكره في عصر أكبر شاه ، مدينة واسعة فسيحة عامرة ، وكان يجري بداخلها نهر جون على مسافة أربع كروها ، وبنيت على ضفتيها عمارات عالية وقصور فخمة رائعة ، كما كانت آكره رائعة بأسواقها المتعددة

(١) محمد عبدالله خان : تذكره في سير آكره ، ق ٣٨٠

لاله سيل چند : تفريح العمارات ، ص ٢٣ - ٢٦ .

سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٢٥٦ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٩ .

وحاراتها الوسيعة وشوارعها ومساجدها العالية ومستشفياتها وأبوابها الرفيعة
وحماماتها وحدائقها وفواكهها وزهورها وورودها الفاتنة وسقوفها المزينة
وقصورها الملونة وأبراجها الشامخة وقبابها وأحواضها وينابيعها وساحاتها
الوسيعة وغير ذلك ، كما كان يقيم فيها أناس من كل جنس وديار وكل مذهب
ودين ، وكان مجمع تجار الروم والشام ومرجع أصحاب العشرة والنعيم ، وكانت
عماراتها مبنية من طابقين إلى خمسة طوابق ، وكانت تتخلل جانبي العمارات
رياض وحدائق ، كما بنا فيها الهندكة من أمثال راجه مانسنگ وغيره —
الراجوات معابد خاصة لهم ، كما كان في حاراتها أماكن خاصة لإطعام الغرباء
الفقراء ، وكان توجد في المدينة خانات وسيعة لاستقبال المسافرين .

وكان السلطان يتردد كثيرا في سيركراني إحدى ضواحي عاصمته المتشازة
بعذوبة مياهها ولطافة جوها ، فأصدر أوامره أن تبني في هذه الضاحية عمارات
تتناسب ولطافة جوها ، فبنت فيها في فترة وجيزة منازل جميلة ومبان فخمة ،
وأصبحت هذه الضاحية بلدة كبيرة سميت بـ " شكرختن " (١)

ولقد زار آكره الرحالة الألماني البرت مندلزلو Albert Mandelslo
في سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) فأعجب بها أشد إعجاب ، وأشار إلى نظافة
طرقها واتساعها وإلى أن بعضها كان مغطى بالقباب بالرغم من طوله ، وكتب
أن كل نوع من التجارة كان له شارع أو حي خاص ، وأن المدينة كانت تضم

(١) شكر : السكر . ختن : اسم مدينة في حدود الصين .

ثمانين خاناً للتجار الأغراب ، كان معظمها ذات ثلاث طبقات ، وكان يتبع كلا منها عدد من المخازن والاصطبلات ، وأحصى هذا الرحالة سبعين سجداً كبيراً ونحو ثمانمائة حمام فى المدينة ، كما شاهد فيها وفى ضواحيها عدداً كبيراً من قصور الأعيان والراجوات ، وأعظمها القصور السلطانية المحصنة بخندق . (١)

كان بناء مدينة فتحپور ، عاصمة السلطان الجديدة ، من أهم المنشآت التى تم إحداثها فى عصر أكبر شاه .

وكانت هذه المدينة فى سابق عهدها عبارة عن قرية صغيرة باسم سكرى ، تقع فى منطقة جبلية مليئة بالسبع والوحوش ، وكان يسكنها شيخ صوفى يسمى الشيخ سليم چشتى ، وكان السلطان يتردد عند الشيخ مرة بعد مرة ويمكث عندها أياماً ، وحكى له السلطان بأنه لا يبقى له الأولاد فى قيد الحياة ، فدعا له الشيخ خيراً ، فحملت إحدى زوجاته ، فجاءت بها إلى منزل الشيخ حيث ولدت للسلطان ابناً سماه الشيخ الأمير سليم ، فنظر السلطان إلى قرية سكرى نظيرة تفاؤل ، واختارها أن تكون عاصمة جديدة له ، فبنى قصر الحكم بجوار خانقاه الشيخ ، ثم تابع الأمراء وكبار رجال الدولة بإحداث منازل لهم ، وذلك فى سنة ٩٧٩هـ (١٥٧١م) ولما فتحت كجرات بعدها بسنة سمي السلطان عاصمته الجديدة بـ " فتحپور " .

-
- (١) محمد عبدالله خان : تذكره فى سير آكره ، ق ٣٨ أ .
لاله سيل چند : تفريح العمارات ، ص ١٣ ، ٢٤ ، ٧١ .
سجسان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٩ - ٤٠ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٦٣ .
زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

لقد بقيت فتحپور عاصمة للدولة في خلال أربعة عشر عاما ، إلى أن انتقل السلطان إلى لاهور ليتابع التطورات في كابل وما وراء كابل في التوران ، كما ذكرنا في الفصل الثاني ، ومن لاهور عاد السلطان إلى عاصمته الدائمة مدينة آگره .

وفي خلال تلك المدة أصبحت فتحپور مدينة عامرة فسيحة ، كثرت فيها العمارات والحدائق والآبار والأسواق والحمامات وسائر المرافق ، وكان يحيط بالمدينة من ثلاث جهات سور كبير طوله خمسة كيلو مترات ، وتطل من الجهة الرابعة على بحيرة صناعية ، وشيدت فيها قصور فخمة ودور للحكم ، ومنها الديوان العام وقوامه خمس طبقات مدرجة تضيق كلما ارتفعنا ، وكان يتضمن على مائة وعشرين أيوانا ، ومنها الديوان الخاص للاستقبالات الملكية وهو بناء مربع من طابقين له أربعة أبواب وأعمدة تعلوها مقرنصات تحمل السقف ، وتبدو من الخارج في أركان البناء أربع قباب صغيرة ،

ولقد استخدم في بناء قصور فتحپور ومنازلها ومساجدها ، من الحجر الأحمر والرخام والحجر الأسود .

ويأتى جامع فتحپور من أهم المنشآت التي تم بناؤها في العاصمة الجديدة ، ولقد وضع حجر أساسه في سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م) واستغرق بناؤه أربع سنوات ، وكان بناء رائعاً ، صرف في إحداثه خمسمائة ألف روبية . (١)

(١) محمد عبدالله خان : تذكره في سير آگره ، ق ١٣ ب - ق ١٤ أ .
نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٧ .
زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ١٣٠ - ١٣١ .
محمد هاشم خوافى خان : منتخب اللباب ، ق ١٣٨ أ .
سليم شاه الهندى : تاريخ أكبر شاه ، ق ٤ أ - ق ٤ ب .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ - ٢٦٣ .

بالإضافة الى آكره وفتحپور قضى السلطان أكبر بعض سنوات حكمه فى
مدن أخرى أيضا ، وقد قضى بعض سنوات حكمه فى لاهور ، كما بنى مدينة
إليه آباد الواقعة بين نهري جمنا وكنك فى سنة ٩٩١ هـ (١٥٨٣ م) وكانت
تعرف هذه المنطقة باسم پراگ ، وكان السلطان يتردد إلى مدينته هذه كثيرا
ليستجم بجودة مناخها ، ولقد بنى السلطان فيها أيضا قلعة متينة ، كما خطط
لبناء القصور فيها ، وكذلك كانت كابل وكشمير وأتک من المدن التى كان السلطان
يتردد إليها وبنى فيها بعض المنشآت المعمارية ، وفى مقدمتها القلاع المستحكمة
التي تكثر تكون تلازم كل مدينة أو بلدة أحدثها أكبر شاه . (١)

جمعت مبانى أكبر ومنشآته المعمارية بين الأسلوبين الإيراني والهندي ،
واستطاع أن يمزج فنون العمارة للأمم التي خضعت لحكمه .

كما تعد العمارة الهندية الإسلامية ، من مبتكرات العصر الأكبرى ، ففى
القصور والمساجد والحمامات وغيرها من المنشآت ، بمدينة فتحپور على الخصوص ،

= أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ .

سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٠ .

أرنست كونسل : الفن الإسلامى ، ص ١٥٥ .

أبو صالح الالفى : الفن الإسلامى ، ص ٢٢٣ .

(١) سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٤١ .

بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٢١٢ .

نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٩ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

محمد عبدالله خان : تذكره فى سير آكره ، ق ٣٨ أ .

زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ١٢٩ .

ما يعد من بين خير نماذجها التي تجلت رائعة فيما بعد في مشوى تاج محل
الذي يعد من عجائب الدنيا . (١)

كذلك كانت الفنون الجميلة تحظى بعناية السلطان أكبر ، ويزدان بمخلفات
عصره الفنية كثير من متاحف العالم الكبرى اليوم ، ومنها متاحف ويانا ولندن .
ولقد وفد إلى بلاط أكبر شاه كثير من مشاهير النقاشين الفرس وعلى رأسهم
عبد الصمد الشيرازي ومير سيد علي ، فلقوا عنده كل عناية وتشجيع ، ودفع بأكثر
ولعه بهذه الفنون إلى أن يأمر بإقامة معرض للنقش مرة في كل أسبوع تشجيعاً
منه للفنانين وتشجيعاً لهمهم وإغراء لمشاهيرهم بالقدوم إليه ، ولم يغفل بدوره
كذلك عن تشجيع فناني الهنداكة حتى نشأ من بينهم طبقة فذة ، غدت تنافس
نقاشي المسلمين في أكثر من ناحية ، ولما أنشأ مدينة فتحپور وجعلها عاصمة له ،
زين قصورها برسوم حائطية جميلة عظمها له فنانون من إيران والهند ، وخطا أكبر
خطوة أخرى في تشجيع التصوير ؛ فأنشأ معهداً حكومياً التحق به حوالى مائة
فنان ، كانوا يعطون تحت إرشاد المصورين الإيرانيين ، وجمعت لهم الصور
الفنية الرائعة من إيران ليحاكوها وكان هؤلاء المصورون يرسمون الصور ،
لتوضيح المخطوطات الفارسية المختلفة وتزيينها ، ولا يستغرب ذلك كله من عاهل

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،
ص ١٢٥ .

شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ .

غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٤٢٤ .

أوتى من الأحاسيس الفنية ما جعله يصرح بأن التصوير هو ضرب من العبادة ، وأن للفنان فيما يبدو طريقته الخاصة للإقرار بوحداية الخالق المبدع ، فهو حين يصور الكائنات الحية وينقش أعضائها وأطرافها وملامحها على لوحه ، لا يبد وأن ينصرف بذهنه وخياله إلى التفكير في إبداع خالقها الذى نفخ فيها بما يعجز هو عن تصويره وإبرازه .

وقد تخلف عن فنانيه لوحات كثيرة سجلت حياة البلاط ورسومه وكثيرا من مظاهر المجتمع لعصره فى إبداع منقطع النظير ، ومدرسة النقش المغلية التى وضع أسسها أكبر شاه ، لها هيتها الذائع فى عالم الفنون . (١)

ولم تكن عناية السلطان أكبر بالموسيقى دون عنايته بالتصوير والنقش ، وما تزال الأنعام المغلية وألحانها لها سوق رائجة بالهند حتى اليوم ، وكان المطرب ميان تان سين الهندوكى فى مقدمة مطربين ومغنيين ذلك العصر ((وكان صوته العذب وغناؤه الجميل يضع وحوش الصحراء وطيور الهواء فى شبكة محبه الآدميين ، ولما وجد مثله فى فن الموسيقى والفن الهندى)) ، وكان المطرب ميان تانسين مقربا جدا من السلطان أكبر ومشمول عنايته ، ولقد شق طريقه إلى بلاط السلطان فى السنة السابعة من حكمه ٩٧٠هـ (١٥٦٣م) وتوفى فى السنة الرابعة والثلاثين من جلوس السلطان على العرش ٩٩٧هـ (١٥٨٩م) ،

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،

ص ١٢٣ - ١٢٤ .

عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٢٢٠ .

م.س. ديمانند : الفنون الإسلامية ، ص ٧٠ .

ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٩ .

ولقد حزن أكبر شاه لموته كثيرا ، وتذكر لهذا الفنان الكثير من النقوش الفاتنة وكثير من الأشعار الغنائية^(١) ، وقيل إنه تشرف بشرف الإسلام وأصبح من مريدى شيخ سليم چشتى فتحپورى .^(٢)

وكما ذكرنا كان بلاط السلطان يغص بالعلماء والأدباء والفنانين والشعراء ، لا من الهند فقط ، بل ومن مختلف أنحاء العالم ، ولم يكن يسمع عن فنان أو موسيقار أو شاعر إلا ويدعوه إليه ويشمله برعايته وتشجيعه ، كما كان به ولع شديد إلى كل ما هو جديد من الآلات والاختراعات ، وكان يستقدم صاحب الآلة أو الاختراع لكي يجربه تحت إشرافه ، كما كان يجالس أصحاب الصنعة والفن ، وكان يخاطبهم بنكت وكلمات رقيقة ، بحيث كان يخطر ببال هؤلاء ، أن السلطان ربما تدرب فترة طويلة لتحصيل هذه الحرفة والمهنة ، وعلى الرغم من أن حرفة الحدادة وأمثالها بعيدة عن الأمور البارشاهية ، إلا أن السلطان أكبر اخترع فيها وفي أمثالها ، اختراعات أوجبت إعجاب أصحاب الصنعة القدامى ، وكذلك إذا أنشأ السلطان مدينة أو بلدة استقدم إليها الرعايا وأصناف الحرفيين من سائر القصبات والضواحي ، ليتوطنوا فيها ويسهموا في توسعة عمرانها .^(٣)

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .

جلال يحى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ٤٦٩ .

(٢) محمد على أنصارى : تاريخ مظفرى ، ق ٣٥ .

(٣) بهگوانداس : تاريخ آباء وأجداد شاه جهان ، ق ١٠٩ - (أ) - ق ١٠٩ ب .

أحمد حسين : تاريخ الإنسانية ، ص ٢٠٤ .

وباعتراف من المؤرخين الأوربيين ، لم تكن فنون الهند في عصر أكبر ، دون
فنون أوربا منزلة ، إن لم تكن تتفوق عليها في بعض نواحيها (١) ، وكانت المدنية
الاسلامية في الهند خلاصة مدنيات عديدة ، ان اجتمعت فيها عناصر الحضارات
العربية والفارسية والتركية والمغلية والهندية والصينية وغيرها . (٢)

(٢) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،
ص ١٢٥ .

(٣) شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣١٩ .
عبد الحى حبيبي : ظهير الدين محمد بابر شاه ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

وما يذكر للسلطان أكبر أنه بدأ بتسيير قافلة الحجيج الهندية إلى
الحجاز ، على غرار القوافل المصرية والشامية ، وذلك بعد أن فتحت كجرات
وأصبحت الدولة تطل على سواحل المحيط الهندي ؛ فكان يرسل سنويا جمع
من حجاج الهند وما وراء النهر وخراسان ، عن طريق موانئ كجرات إلى الأراضي
المقدسة في الحجاز ، ولم يسبق لباد شاه آخر أن تشرف سنويا بتسيير قافلة
الحجيج من الهند إلى مكة المكرمة ، ولقد بدأ ذلك في شعبان سنة ٩٨٣هـ
(١٥٧٥ م) وهي السنة العشرون من حكم أكبر ، وكانت كلبدن بيگم بنت بابر شاه
عمة السلطان أكبر تتزعم أولى قافلة الحجيج هذه ، كما كانت القافلة تضم عددًا
من نساء القصر الأخريات ، منهن سليمة سلطان بيگم وحاجي بيگم وكلفدار بيگم
بنات مرزا كامران عم السلطان أكبر ، وسلطان بيگم حرم مرزا عسكري العم الآخر
للسلطان ، ولقد قضين عدة سنوات في الحجاز وفزن بأربع حجّات ، ثم عدن
إلى الهند ولكنهن اضطررن أن يبقين سنة أخرى في عدن وذلك بسبب ضياع
سفنهن ، ووصلن إلى الهند سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) وكان في استقبالهن كبار
رجال الدولة ، كما خرج السلطان نفسه ليرحبهن عند مدخل مدينة فتحپور
ورافقهن إلى داخل المدينة ، كما كلف قبل هذا ولي عهده الأمير سليم
بالذهاب إلى أجير ليكون في استقبال الأميرات هناك ، ويرافقهن إلى فتحپور
العاصمة . (١)

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٨ ، ٣٥٣ .
عبد القدر بدايونسى : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٥ ، ٢٤١ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٢٤ ، ٢١٤ .

فى سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦ م) أراد أكبر شاه أن يقود بنفسه قافلة الحج الهندية ، إلا أن بعد المسافة ومخاطر الطريق والأوضاع فى الهند ، حالت دون إرادته هذه ، ورأى رجال دولته أن القيام بهذه الرحلة الطويلة ، وفى مثل تلك الظروف قد تتسبب فى اختلال أحوال البلاد والعباد ، فتقرر أن يرأس قافلة الحج فى كل سنة أحد كبار رجال الدولة ، وينوب فى هذا الأمر عن السلطان ، وفى هذه السنة عين سلطان خواجه نقشبند على منصب أمير الحاج ، ليقود قافلة الحج الهندية إلى الأماكن المقدسة فى الحجاز ، وأقام السلطان مجلسا كبيرا استدعى إليه كبار العلماء والمشائخ ، ودخل السلطان إلى مكان الحفل حافى القدمين ولا بسا لباس الإحرام ، وأخذ أكبر من يد سلطان خواجه قارئا له صيغة التوكيل فى إمارة الحج ، وودع سلطان خواجه بالاغزاز والإكرام ، فى يوم الخميس الثانى من شعبان سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦ م) كما سلمه مبلغا قدره ستمائة ألف روية واثنى عشر ألف خلعة من أنواع الأقمشة ليقوم بتوزيعها على الأشراف وسائر المستحقين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة كما كان يقوم بتوديع قافلة الحج إلى كجرات واستقبالها منها أثناء العودة جمع غفير من كبار الأمراء ورجال الدولة ، وقوات من الجيش للحفاظ على أمن الحج .

كما أمر السلطان أن تصرف نفقات الطريق لكل من يريد الحج وزيارة الحرمين الشريفين ، ففاز بهذه المكرمة خلق كثير ، كما أمر السلطان نائبه فى إمارة الحج ، أن يقوم باحصاء المحتاجين فى هذه الديار ، ويسلم إليه

بعد العودة نسخة منقحة منه ، حتى يراعى فى السنوات القادمة مقدار ما يلزم من إرسال المعونات إلى الحرمين الشريفين . (١)

وفى سنة ٩٨٥ هـ (١٥٧٧ م) عين شاه أبو تراب على منصب أمير الحاج ، ورخص معه اعتماد خان كجراتى أحد أمراء كجرات الكبار ، وسلم له ذهب كثير لينفقه على المحتاجين فى الحرمين الشريفين ، واستمر هذه السنة إلى سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨١ م) وهى السنة السادسة والعشرون من حكم السلطان ، وكان أمير الحج فى تلك السنة حكيم الطك كيلانى ، وسلم له مبلغ خمسمائة ألف رويية ليوزع على الفقراء فى مكة المكرمة ، وبحضور شيخ الإسلام القاضى حسين المالكى ، كما سلمت له أقمشة هندوستانية وأقمشة نفيسة أخرى لتقدّمها إلى أشرف مكة المكرمة . (٢)

فى سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) عاد شاه أبو تراب الذى كان قد عين أميراً للحج فى سنة ٩٨٥ هـ وبصحبة اعتماد خان كجراتى ، ولقد عاد إلى الهند بحجر ثقيل يحمل نقش قدم ، وادعى شاه أبو تراب أنه نقش قدم الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومع أن السلطان كان يرى أنه لا أصل لهذه الدعوى ، إلا

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٦٥-١٦٦ .
محمد شريف : إقبال نامه جها نكيرى ، ج ٢ ، ص ٣١١ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٤-٣٣٥ .
عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢١٩ .

(٢) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٥ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٢٢-٢٢٣ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٧-٣٤٨ .

أنه أمر أن يتوقفوا على بعد أربع كروحات من فتحپور ، حتى يبادر هو باستقبال هذا الحجر ، ولقد رفع السلطان الحجر على كتفه وخطى به خطوات ، ثم حمله كبار الأمراء على أكتافهم واحدا بعد الآخر إلى داخل المدينة ، وسمح السلطان بوضعه داخل بيت أبي تراب ، ولعل السلطان قد أقبل على هذا العمل حتى يقطع أمام خصومه القيام بنشر شائعات ضده . (١)

وبعد سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) توقف السلطان عن إرسال قافلة الحج (٢) ، وقد يرجع ذلك إلى مزاحمة البرتغاليين للحجاج في عرض البحر من جهة ، وإن كان البعض يوعز ذلك إلى التغير (٣) الذي طرأ في معتقدات السلطان من جهة أخرى .

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

عبد القادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٤١ .

(٢) عبد القادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٥ .

(٣) وهذا ما سوف نراه عند دراستنا لدين الهى الذى وضعه السلطان .

كان السلطان أكبر يرى في الملك نعمة من نعم الله العظيم ، يتجلى في
العرفان بها في حسن إدارة الحاكم لمحكومييه ، على وجه يجعل رعاياه جميعاً
يتفانون في طاعته ، وتلهج ألسنتهم بالشناء عليه ، وكان يرى أنه يجب أن يرتكز
حكمه على أساس قوى من حب رعاياه ورضائهم ، بصرف النظر عن عقائدهم
ومذاهبهم ، ولهذا بدأ يعمل على كسب حب الهنـدوك بوجه عام والراجـپوت
بوجه خاص ، لأن الراجـپوت كانوا يكونون الطبقة الحربية في المجتمع الهندوكي
وكانوا سلالة القواد العسكريين ، ولم يكن بوسع الأسرة الحاكمة التي تسعى
للاستقرار والأمن والبقاء ، أن تتجاهل هؤلاء المحاربين وتستغنى عن
تأييدهم ، ومن هنا بدأ السلطان أكبر يعمل على كسب رضا الراجـپوت
وتأييدهم بالطرق السلمية ، وإن لم تنجح هذه السبل ، لم يتردد السلطان
في اتخاذ الإجراءات الحاسمة ضدهم كما رأيناه في فتح قلعة چتور وغيرها
من القلاع الراجـپوتية ، ولكن السلطان كان يرجح دائماً الطرق السلمية إلا إذا
يئس من فاعليتها ، ولقد نجح في كسب ولا معظم الراجـپوت بعقد المصاهرات
معهم ، وإباحة المناصب الكبيرة لهم ولغيرهم من الهندوكيين ، وعدم التعرض
لمعابدهم وطقوسهم الدينية وغير ذلك من الوسائل (١) .

وقد كان السلطان يتذكر دائماً نصيحة شاه طهماسب الصفوي لأبيه
همايون بعد أن طرد من الهند ولجأ إلى إيران ، إذ قال له : إنه بعد أن

(١) أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،

ص ١٠١-١٠٢ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ٨٩-٩١ .

أخرج بابر شاه حكم الهند من تصرف الأفاغنة ، كان يستحسن في مثل ذلك البلد قيام مصاهرة وانتساب مع كبار ملاك أراضيها ، وعندئذ لأصبحوا مدد للحكم ومعاونين له أثناء التفرقة ، وبهذا النمط لم يكن ليحدث ما حدث من اختلال وضياح في السلطنة ، ولما تولى همايون عرش الهند للمرة الثانية ، كان يتذكر في خاطره هذا المطلب ، ولكن لم يتيسر له تنفيذه ، إذ توفي بعد فترة وجيزة ، وعند ما تولى السلطان أكبر الحكم خلفا لأبيه همايون ، اهتم بتطبيق تلك الفكرة اهتماما بالغا (١) ، فجاء زواجه مع الهندوكيات زواج المصلحة والسياسة ، وكان أول زواجه مع الهندوكيات في سنة ٩٦٩ هـ (١٥٦٢ م) إذ تزوج بابنة راجه بهارمل الذي كان من كبار راجوات الهند ، وفي سنة ٩٧٨ هـ (١٥٧٠ م) تزوج بابنة راجه كليان مل الذي أصبح هو وابنه راي سنك من الموالين لدولته ، وكذلك زوج ابنة وولي عهده الأمير سليم في سنة ٩٩٣ هـ (١٥٨٥ م) بابنة راجه بهكوانداس ، وقدم مبلغ كرورين من تنك مهرا لصبية الراجة (٢) .

كذلك فتح السلطان أبواب بلاطه للهنداكة ، وبلغ كثيرون منهم إلى أعلى المناصب في الوزارة والقيادة والشؤون المالية ، ورأينا أن راجه تودرمل الهندوكي

(١) سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٣ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٦ ، ٢٨٩ ، ٣٦٦ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨٥ .

شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠١ .

غوستاف لوبسون : حضارات الهند ، ص ٢٢٣ .

ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٧ .

أصبح مشرفاً على الديوان ، وهو منصب أعلى من الوزارة ، إضافة إلى أنه تولى مناصب مهمة في كجرات والأقاليم الشرقية وغيرها ، كما كان راجه بيريل أحد القواد الكبار الذين حاربوا القبائل الأفغانية في الحدود الشمالية الغربية للدولة ، وقد لقي راجه حتفه وهو يحاول إخضاع هذه القبائل لدولة السلطان أكبر ، كما عين السلطان أحد الهندوكيين حاكماً على ولاية كابل المهمة جداً ، وذلك بعد أن توفي أخوه محمّد حكيم مرزا ، ورأينا أيضاً أن معظم مناصب الديوانية في الأقاليم ، كان من نصيب الهندوكيين . (١)

وكذلك أمر السلطان بإعفاء الهندوكيين عن أداء الجزية التي كان يصل عائدها إلى عدة ملايين ، وذلك في سنة ٩٨٧ هـ (١٥٧٩ م) ولقد قال في هذا الصدد : " إن أخذ الجزية كان من أجل جمع مبلغ ملحوظ في الخزانة حتى يتسبب في دعم جند الإسلام وهزيمة المخالفين في المذهب ، والآن وبعد أن اجتمعت آلاف الكنوز في الخزائن ، ووضع جميع راجوات الهند رؤوسهم على خط الطاعة والولاء ، فلا داعي أن يكلف المحكومون وأن يؤذى الساكنين " (٢) وكذلك رفع السلطان الرسوم التي كانت تفرض على الهنّادكة أثناء قيامهم بزيارة أماكنهم

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،

شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٠-٣٠١ .

غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٢٣ .

ولديوراننت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٦ .

(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٠ .

المقدسة ، وصرح للذين أجبروا في صباهم على الإسلام ، أن ينظروا متى بلغوا سن الرشد ، في البقاء على إسلامهم أو الرجوع إلى دين آبائهم ، وسمح للهندوكيين بإنشاء معابد لهم بل كان يعاقب الذين يتعرضون لمعابدهم فعندما كان متوجها من لاهور إلى دكن ، اشتكى إليه عدد من الهندوسيين بأن جماعة من المسلمين ، تنازعت مع الطائفة السناسية الهندوكية ^(١) ، فغلبوهم ثم هدموا معبدهم ، فأمر السلطان بوضع الكثيرين من هؤلاء المسلمين في السجن كما أمر بتجديد تعمير بيت الصنم الذي هدم عنوة . (٢)

وإضافة إلى هذا ، حاول السلطان أن يتفهم حقيقة الديانة الهندوكية فأمر بترجمة أمهات كتب الهندوكيين المقدسة ، فترجم إلى الفارسية حسب حكمه كتاب مها بهارت باهتمام غياث الدين على نقيب خان وملا سلطان وعبد القادر بدايوني ، بعبارة متينة ، ويحوى الكتاب على كثير من أصول معتقدات البراهمة وفروعها ، كما ترجم حسب أوامره كتب هندية أخرى ، وسمع أكبر مرات عديدة يقول ((إن طوفان التقليد قد أخذ مصباح الامتياز ، فترى الناس يختارون مذهبا سمعوه من آبائهم أو أساتذتهم أو معارفهم ، أو جيرانهم أو أقاربهم ،

(١) السناسية : كلمة هندية أطلقت على طائفة من فقراء الهندوكيين

(غياث اللغات ، ص ٢٢٦) .

(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٥ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص

٨٥ ، (١١٠) .

عبد القادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٩ .

بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢١٣ .

وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤٠٤ .

غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٢٣ .

دون أن يعملوا أى تأمل أو تحقيق ، فاعتبروا طريقتهم هذه عبادة لله ورأوا ما يخالفهم كفرا ، ويا ليتهم علموا قليلا من التحقيق وفتحوا عقولهم ، فنجوا من عقدة التقليد والتعصب)) (١) .

ولقد أدخل السلطان فى المجتمع الهندوكى إصلاحات اجتماعية عديدة فأباح للأرامل الهندوسيات الزواج وكن لا يتزوجن ، كما منع المرأة من إحراق نفسها إذا مات زوجها ، ومنع التبكير فى الزواج ؛ فكان لا يسمح بزواج الشاب قبل سن السادسة عشر ولا بهزواج الفتاة قبل سن الثالثة عشر (٢) .

وبمثل هذه الوسائل استطاع السلطان أن يضمن ولاء الهنادكة وتأبيدهم ، فانتهى خطر الراجپوت الذى كان يهدد الدولة ، كما عمل الراجپوت على مساعدة الدولة ضد المتمردين والقواد الخارجين وضد أعداء الدولة من الأفاغنة وغيرهم . (٣)

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧١ .

(٢) عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢١٣ .

شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٥ .

(٣) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ،

ص ٩١ ،

ان الموضوع الذى كان أكثر جدلا وإثارة للبحث ، هو التغير الذى طرأ
فى تفكير السلطان بعد الثلث الأول من سنوات حكمه ، والذى أدى الى ابتداء
ما سعى بدین إلهی .

كان السلطان يحترم علماء الدين والمتصوفة الزاهدين ويجلهم ويؤثر صحبتهم
ولا يتردد فى تلبية مطالبهم ، ورأينا أن الأمير سليم ولد فى منزل الشيخ سليم —
چشتى فى سنة ٩٧٧هـ (١٥٦٩م) وسمى باسم الشيخ ، كما ولد ابنه الثالث
فى جمادى الأولى سنة ٩٨٠هـ (١٥٧٢م) فى منزل الشيخ دانيال ، فسمى
أجمير وهو من المشائخ المعروفين بالصلاح والتقوى فى ذلك الوقت ، فسمى
المولود بدانيال تيمنا باسم الشيخ المذكور ، ومن هنا يلاحظ مدى تعلق
السلطان بالمتصوفة الزاهدين ، إلى درجة أنه كان يترك زوجاته الحبالى فى
بيوتهم ، كما كان يسمى مواليده بأسمائهم. (١)

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٩٨١ هـ
(١٥٧٤م) وبعد العودة من فتوحاته فى كجرات ، أقام السلطان حفلا كبيرا
فى عاصمته الجديدة فتحپور ، دعا إليه العلماء والسادات والمشائخ والأمراء
وأركان الدولة ، وذلك لختان أبنائه ، الأمير سليم والأمير مراد والأمير دانيال ،
وفى الثانى والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة أجلس السلطان ، ابنه

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٨ ، ٢٩٢ — ٢٩٣ .

سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٤ — ٤٧٤ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٩ .

الأمير سليم للتلمذ على مولانا مير كلام الهروى الذى كان من العلماء الجلائل فى ذلك الوقت ، قائلا " بسم الله الرحمن الرحيم " وكان الأمير سليم فى ذلك الوقت قد بلغ عمره ، أربع سنوات وأربعة شهور وأربعة أيام . (١)

وكذلك كان أكبر شاه يستفسر القضاة وعلماء الدين عن أحكام الشريعة فى الجرائم ، وفى سنة ٩٨٢ هـ (١٥٧٤) وأثناء توجهه الى پتنه وحاجى پور فى إقليم الشرقى ، عرض له أن واحدا من الزناريين (٢) ، تزوج بنته ، وأتى منها ولدا ، فأمر السلطان بإحضار الأب الزوج والبنت الزوجة ، وبعد التحقيق اعترف الزنارى اعترافا صريحا بفعله الشنيعة تلك ، وقال إن زوج بنتها قد قتل فى إحدى المعارك قبل سنوات مضت ، واستنتج من اعترافاته أنه هو القاتل لزوج بنته ، فطلب السلطان القاضى يعقوب قاضى العساكر واستفسر منه حكم الشريعة فى هذه الواقعة ، فذكر له القاضى أنه لو كان ذلك الرجل مسلما لكان واجب القتل باتفاق جميع أئمة الدين ، وأما بالنسبة للكافر فهناك قولان ، إن يرى البعض القتل ، فى حين يرى البعض الآخر أن لا يقتل حتى يعلم الناس أن فى دينهم الباطل شائعة أمثال هذه الأمور ، فيستنفروا من طريقتهم

ورجح السلطان القول الأول فأمر بإعدامه . (٣)

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١١ - ٣١٢ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٥٣ .
محمد شريف : إقبال نامه بهانگيرى ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
(٢) زَنَار : كلمة مأخوذة من اليونانية بمعنى الحزام ، وهو الحزام الذى كان النصارى يؤمرون بربطه ليميزوا من المسلمين ، وذكر بمعنى حزام الزرد شتتين أيضا ، كما ذكر أيضا بمعنى القلادة التى يعلقها النصارى فى عنقهم مع صليب صغير .

() عميد : فرهنك عميد ، ص ١١٤ (١) .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٥ - ٣١٦ .

وكان السلطان يوقر علماء الدين توقيرا كبيرا ، ومن هؤلاء العلماء كان المحدث شيخ عبد النبي الذي كان السلطان يتردد في بيته ، ليستمع إلى الدروس التي كان يلقيها في علم الحديث الشريف ، وكان من شدة توقير السلطان له ، أنه وضع كثيرا نعليه أمام قدميه ، كما أجلس عنده الأمير سليم ، أكبر أبنائه ليتعلم منه الأحاديث الأربعين التي جمعها مولانا عبد الرحمن الجامي (١) . وكان ذلك في سنة ٩٨٣ هـ (١٥٧٥ م) (٢) .

وكان السلطان أكبر مولعا بزيارة أضرحة الأولياء والطواف حولها ، وصرف المبالغ والإنعماء لمجاوريها ، ولقد نذر على نفسه أنه لو رزقه الله ولدا ، فسوف يقوم بزيارة ضريح خواجه معين الدين چشتي (٣) في أجمير ، مشيا على الأقدام ، وبعد ولادة الأمير سليم في سنة ٩٧٧ هـ (١٥٦٩ م) تحرك ماشيا من آگره إلى أجمير ، أيافا للنذر الذي قطعه على نفسه ، وكان يقطع كل يوم حوالي سبع كروها ، وبعد تلك السنة كان يقوم بزيارة ضريح خواجه معين الدين في كل سنة مرة واحدة على الأقل ، وكان حرصه على هذه الزيارة إلى درجة أنه

-
- (١) ولد عبد الرحمن الجامي في سنة ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) وتوفي سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٣ م) ، وكان العلماء الكبار ، وله مؤلفات كثيرة ومختلفة تصل إلى أربع وخمسين رسالة وكتاب ، كما قام بالتدريس في المدرسة النظامية بالهرات ، وكان السلطان حسين بایقرا ووزيره على شيرنوائی يوقرانه كثيرا ، كما كان السلاطين العثمانيون يکاتبونه ويتوددون إليه .
(م . آدینفر : دائرة المعارف زرین ، ص ١٤٠) .
- (٢) عبد القادر بدایونی : منتخب التواریخ ، ص ٢٠٢ .
جمال الدین الشیال : تاریخ دولة أبا طرة المغول ، ص ١١٠ .
- (٣) خواجه معين الدین چشتی : واحد من المتصوفة الزاهدين ، ولقد توفي في أجمير سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م ودفن هناك . (خلاصة التواریخ ص ٣٤٧) .

لو كان أمامه سفر طويل أو سفر غير محدود المدة ، قدم الزيارة التي كانت تتم في السنة المقبلة ؛ فعندما رجع السلطان من حملته الثانية في كجسرات قام بزيارة الضريح ، ولكنه أراد التوجه إلى الأقاليم الشرقية ليتفقد سير الفتوحات هناك ، فخاف أن تطول مدة سفره ذلك ، فيحدث التأخير في زيارة الضريح والطواف حولها ، فتوجه إلى أجمير وترجل على بعد سبع كروهاث منها ، فتوجه ماشيا متضرعا إلى الضريح ، وأدى مراسم الطواف ، ومكث هناك اثني عشر يوما ، كان يقوم في كل يوم بزيارة الضريح ، ويمتتع من مائدة إحسانه المجاورين للبقعة ، وجميع المتوطنين في خطة أجمير ، طالبا الاستمداد والعون في تيسير أمر الفتح !

ولقد استمر في القيام بمثل هذه الزيارة سنويا إلى عام ٩٨٧هـ (١٥٧٩م) وبعد ذلك التاريخ انقطع عن الزيارة هذه . (١)

وفي خلال هذه المدة كان السلطان يؤدي الصلوات الخمس جماعة في مسجد القصر ، بل لقد كان يقوم أحيانا مقام المؤذنين فيدعو الناس للصلاة . (٢)

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٨ ، ٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٣٢ ، ٣٤٨ .

عبدالقادر بيدا يوني : منتخب التواريخ ، ص ٤٣ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول ، ص ١٠٩ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٤ ، ٣٦٧ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول ، ص ١٠٩ .

كان السلطان يستجيب لمشورة العلماء في القضاء على الزنادقة وأهل البدع ، وعرض له صدر صدوره شيخ عبد النبي ، ومخدوم الطك عبدالله سلطانپوری كبير العلماء ، بأن شيخ مبارك الناكوری ضال ومضل ومن أهل البدعة ، فرخص لهما أن يقضوا على الشيخ المذكور ، فأرسلا المحتسبين في طلبه ، ولكن الشيخ اختفى مع ابنه ، فكسروا منبر مسجده الذي كان في ضاحية من آكره ، ولجأ الشيخ مبارك ، إلى الشيخ سليم چشتی فتحپوری ملتسا شفاعته ، ولكن الشيخ سليم أرسل له مبلغا من المال وطلب منه أن يهرب إلى كجرات فاضطر أن يتوصل بمرزا عزيز كوكه أخ السلطان من الرضاة ، فعرض مرزا عزيز فضائل الشيخ وابنيه إلى أكبر ، فلم يصفح له السلطان فحسب ، بل طلبه إلى مجلسه ليرى فضائله ويستمع ما يعرفه من العلوم العقلية والنقلية ، وكان التقاء السلطان بالشيخ مبارك وولديه فيضى وأبى الفضل ، منعظا مهما ، في تصور السلطان ، إذ كان الشيخ وابناه من المشتغلين بعلوم الحكمة ففتحت عينا السلطان على كثير من المسائل الفلسفية والأسرار الصوفية ودفعوه معهم في طريقهم ، طريق البحث عن الحقيقة ومحاولة الوصول إلى ما أسموه بالحق المجرد ومنذ ذلك التاريخ ٩٨٢ هـ (٥٧٤ م) بدأ الشيخ مبارك وولده وخاصة أبو الفضل يقتربون من السلطان شيئا فشيئا ، حتى صار أبو الفضل أقرب المقربين للسلطان وأصبح وزيره وكاتب سره وكبير مستشاريه ، وبالمقابل بدأ نفوذ العلماء السابقين وخصوم الشيخ مبارك ، في الهبوط إلى أن فقدوه نهائيا . (١)

(١) عبدالقادر بدايونی : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٠ .
محمد شریف : اقبال نامہ جہانگیری ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .
أحمد محمود الساداتی : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١٠٠-١٠١ .

فى شهر ذى القعدة من سنة ٩٨٢ هـ (١٥٧٤ م) وهى السنة العشرون من سننى حكم السلطان ، أمر بإحداث عبادتخانه (١) التى كانت تشتمل على أربع أيوانات ، وتم إعمارها فى سنة ٩٨٣ هـ (١٥٧٥ م) ، وذكر فى سبب إحداثها ، أنه فى خلال السنوات العديدة الماضية تمت للسلطان فتوحات عظيمة متتالية وتوسعت رقعة الدولة واستحكمت قواعدها وكثرت معرفة السلطان بالعلماء والمتصوفة ، فكان يقضى معظم أوقاته فى مباحثات التصوف والمناقشات العلمية وتحقيق المسائل الفقهية وغير ذلك ، كما كان يحبى معظم لياليه فى ذكر الله وعبادته بعيدا عن الدور البادشاهية وعلى لوحة من الحجر الواقعة فى حجرة مهجورة قديمة ، ولقد سمع السلطان أن سليمان كرانى حاكم بنگاله كان يقوم فى الأسفار ومعه مائة وخمسون رجلا من المشائخ والعلماء الكبار ، فكانوا يصلون التهجيد جماعة ، ثم يستمر الذكر ودروس التفسير إلى الفجر ، وبعد أداء صلاة الفجر كان سليمان يقوم بتصرف المهام البادشاهية ، وكذلك كان مرزا سليمان حاكم بدخشان فى طريقه إلى بلاط السلطان ، وكان بدوره محبا للتصوف ومنشغلا فيه ، فكان كل هذا من الأسباب التى دعت السلطان إلى بناء عبادتخانه .

وبعد أن تم بناء عبادتخانه ، كان السلطان يحضر إليها بعد صلاة الجمعة ولم يكن يسمح بالدخول فيه إلا للسادات والمشائخ والعلماء والأمرء ، فكان يحبى معهم ليالى الجمعة ، باحثا ومناقشا فى مختلف المسائل الدينية ،

(١) عبادتخانه : دار العبادة .

ولما تنازع الحاضرون فى اختيار مكان الجلوس وتقديم البعض وتأخير الآخر ، أمر السلطان بتوزيع الحضور إلى الأيوانات الأربعة ، فخص الأيوان الغربى للسادات والأيوان الشرقى للأشراف والمقربين ، والأيوان الجنوبى للعلماء ، والأيوان الشمالى للمشائخ وأرباب الحال ، فكان السلطان يحضر المجالس الأربعة واحدة بعد الأخرى ، ويناقش مع الحضور فى مختلف الموضوعات الدينية ، كما كان يقوم بتوزيع المبالغ والإنعامات على من جمعوا حول عبادتخانه ، والجماعة التى لم يكن الحظ يساعدها فى تلك الليلة ، كانوا فى صباح يوم الجمعة يصطفون أمام عبادتخانه ، فيوزع لهم السلطان بيده كفا كفا من الروبية والأشرفى (١) ، وفى الأغلب كان يتجاوز التوزيع هذا منتصف نهار الجمعة ، وإذا حدث أن أحسن السلطان بالطل والتعب ، أمر واحدا من ملازميه ليقوم بالتوزيع ، كما كان السلطان أكبر يستجمع الكتب النفيسة ثم يوزعها على الحضور فى مجالس لىالى الجمعة ، ومنها الكتب التى حصل عليها فى فتح كجرات (٢)

هكذا ولع السلطان بالمناقشات للوصول إلى ما أسماه الحق والصواب وأعلن إلى علماء الدين الإسلامى ، بأن قصده هو الوصول إلى الحق وكشف حقيقة الحال ، فلا تسمحوا للنفس والهوى ، أن تحجب الحق عن أنظاركم

(١) أشرفى : نوع من العملة الذهبية التى كانت تعادل ثلاثة أرباع المئقال .

(٢) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٠-٢٠١ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٧-٣٢٨ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ص ١٠١ .

احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٧ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, PP. 93 - 94

فتقولوا خلاف الحق ، وان عدلتم عن قول الحق ، فحسابكم على الله (١) ، ولكنه على الرغم من هذا كان يتعصب كل مشترك في هذه الندوات إلى رأيه ومذهبه وتناسوا أدب النقاش ، فبدأوا بتوجيه الشتائم ضد بعضهم البعض ، وبشكفير بعضهم البعض ، وكتب عبدالله سلطانپورى الملقب بمخدوم الملك ، رسالة ضد الشيخ عبدالنبي صدر الصدور ، ادعى فيها أنه لا يجوز الصلاة خلفه ، كما أصدر الشيخ عبدالنبي بيانات يجهل فيها مخدوم الملك ويضلله ، فانقسم العلماء بين المؤيد والمخالف لهذا وذاك ، قاغتم أهل البدع هذا الوضع وبدأوا يخرجون من مخابثهم ليصطادوا في الماء العكر ، وكان السلطان ينظر إلى هذه التطورات نظرة الاندهاش والحيرة ، ثم سمح في سنة ١٢٨٦هـ (١٥٧٨م) لجميع أرباب الملل والنحل بالحضور إلى تلك الندوات ، فجمع في تلك المنتدى فقهاء وحكماء الشيعة والسنة المسلمين ، وعلماء النصارى والزردشتيين والبراهمة (٢) واليهود والزنادقة ، وسائر المشارب الرائجة في ممالك الهند وإيران وتوران والروم والإفرنج والأرمن ، وكان السلطان يدفع علماء هذه المذاهب إلى المباحثة

(١) عبدالكريم : زبدة التواريخ ، ق ٤٣ ب .

(٢) البراهمة : إن الهندوسية أو الهندوكية هي ديانة الجمهرة العظمى في الهند ، ولقد أطلق عليها البرهمية ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد ، نسبة إلى براهما وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيرا من العبادات ، ومن براهما ، اشتقت كلمة البراهمة ، لتكون علماء على رجال الدين الهندوكيين .

(أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى ، ص ٣٩) .

فينصت لهم ، وكان كل واحد منهم يريد إثبات مدعاه وترويج مشاريه ، فأصبحت المناقشات أكثر حدة من ذي قبل (١) ، كما أمر السلطان بتحقيق مذاهـب الهندوكيين ، وترجمة كتبهم إلى الفارسية حتى تكون في متناول أيدي الذين يريدون الاطلاع عليها ، ثم خطا السلطان خطوة أخرى فبنى بيتا لمبـيته فسـى الطابق العلوى لعبادته ، وأخذ يطلب إلى هناك كل من كان يريد لقائه بفرد ، وفى هذا الإطار كان يطلب فى بعض الليالى إلى الطابق العلوى المذكور ، أحد المتصوفة المعروف فى عصره وهو الشيخ تاج الدين بن الشيخ زكريا أجودهنى دهلى ، فكان يتذاكر مع السلطان فى مختلف مسائل الصوفية ، وتسببت هذه الأمور فى حدوث الفتور والوهن فى معتقدات السلطان ، واغتنم الشيعة أيضا هذه الأوضاع فبدأوا يصرحون بطعن الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم ، كما كانوا يقولون — وفى مقدمتهم ملا محمد يزدى — بتكفير وتفسيق بعض السلف والخلف الصالحين من المتقدمين والمتأخرين ، واعتبروا غير مذهب الشيعة ضالا ومضلا ، كما أزداد فى الطين بلة اختلاف العلماء ، حيث كان الواحد يصرح بتحريم فعل ما ، بينما كان الآخر يبحث عن الحيل لتحليله ،

-
- (١) عبدالقادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٢١ .
عبدالكريم : زبدة التواريخ ، ق ٤٣ أ — ق ٤٣ ب .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧١ .
وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤٠٨ — ١٤٠٩ .
عبدالعزیز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٢٣ — ٥٢٤ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٦ — ١٦٧ .
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٩٠ .

ثم خطا السلطان خطوة أشد خطورة ، إذ استدعى إلى ندواته قساوسة
النصارى وسمح لهم بالتبشير ، كما أمر بترجمة الإنجيل ، وأجلس ابنه الأمير
مراد ليتلقى منهم دروسا فى النصرانية ، وكان أبو الفضل يقوم بترجمتها . (١)
فى سنة ٩٨٧هـ (١٥٧٩م) وهى السنة الرابعة والعشرون من حكم السلطان
دارت مناقشات مطولة حول الاجتهاد وطى من يطلق اسم المجتهد ، وكان كبار
المشركين فى هذه المناقشات هم : مخدوم الملك ، والشيخ عبد النبى صدر
الصدور والقاضى جلال الدين ملتانى قاضى القضاة ، وصدر جهان المفتى
العام ، والشيخ مبارك وغازى خان بدخشى ، وهما من أشهر علماء الوقت فى
العلوم العقلية والنظمية ، ووقع هؤلاء على المذكرة التى قدموها للسلطان
وقد جاء فيها :

((الهدف من تشييد هذه المباني وتمهيد هذه المعانى ، هو أن هندوستان
— صُنيت عن الحدّثان بيمان المعدلة السلطانية — مركز أمن وأمان ، ودائرة
عدل وإحسان لمختلف الطوائف والأنام من الخواص والعوام ، وخاصة علماء
المعرفة وفضلاء دقاق الآثار ، الذين هم هداة بادية النجاة ، وسالكو
سالك أوتوا العلم درجات ، والذين لجأوا من العرب والعجم إلى هذه الديار
متوطنين فيها . إن جمهور علماء الفحول ، جامعوا الفروع والأصول ، جاويو
المعقول والمنقول ، والمتصفين بالدين والديانة والصدق والصيانة ، بعد
التدبير والتأويل الكافيين فى غوامض معانى الآية الكريمة ((أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)) (٢) والأحاديث الصحيحة ، إن أحب الناس
(٣)

(١) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٢-٢٢٣ .

شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٦-٣٠٧ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(٣) رواه الترمذى فى الأحكام ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد فى كتاب الخلافة .

إلى الله يوم القيامة إمام عادل رفيق " و " من أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني^(١) " و " عدل ساعة خير من ستين سنة ، قيام ليلها وصيام نهارها " وغير ذلك من الشواهد العقلية والدلائل النقلية ، قرروا أن مرتبة السلطان العادل عند الله ، أعلى من مرتبة المجتهد ، وحضرة سلطان الإسلام وكنف الأنام ، أمير المؤمنين ، ظل الله على العالمين " أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بادشاه غازي خلد الله ملكه أبدا " أعدل وأعقل وأعلم بالله ، فمن هنا لو نظر في المسائل المختلف فيها ، بذهنه الثاقب وفكره الصائب فرجح جانباً على الآخر ، وحكم به لصالح معيشة بني آدم ومصلحة انتظام العالم ، تصبح تلك المسألة متفق عليها ، ويلزم اتباعها على جميع البرايا وكافة الأنعام ، وكذلك إذا حكم بموجب رأيه الصائب حكماً لا يخالف النص ويتسبب في ترفيئه العالمين ، يتحتم العمل به على الجميع ، ومخالفته توجب السخط الأخرى وخسران الدين والدنيا .

وصدر هذا الحكم وحرر بحضور علماء الدين والفقهاء المهتدين ، وكان

ذلك في شهر رجب سنة ٩٨٧ هـ .^(٢)

ولقد كتب هذا المحضر بخط الشيخ مبارك ، ووقع عليه السائرون بالاستكراه ولقد كتب مبارك في ذيل المحضر ، أن هذا ما كنت انتظره بفارغ الصبر

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة تحت باب "وجوب طاعة الأمراء" في غير معصية .

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٣-٣٤٤ .

عبد القادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .

أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .

منذ سنوات طوال ، وأنا راض به تمام الرضا .
وقد وضعت هذه الوثيقة السلطة كلها فى يدى أكبر ورفعته إلى مرتبة أعلى
من مرتبة المجتهد ، وهى مرتبة الإمام العادل (١) ، واغتر السلطان بهـذا
التفويض ، وانتهى به الحال إلى ابتداء مذهب جديد سمي بدين الهسى ،
وذلك بمساعدة من أبى الفضل وأخيه أبى الفيض فيض ، ولقد كان هذا
المذهب موضوع جدل ونقاش طويل ، وكان أسوأ ما ختم به العصر ، عصر أكبر
فى الهند .

ويذكر بدايوني أن السلطان ، نتيجة اختلاطه ومجالسته لعلماء المذاهب
المختلفة ، ومناقشتهم فى المسائل المتعددة ، أصبح يقول بأن العقلاء
وأرباب الرياضات والكشف والكرامات موجودون عند جميع الطوائف ، وأن الحق
يوجد فى كل مكان ، ويضيف بدايوني أنه بعد نفي مخدوم الملك عبد الله
سلطانپورى ، وصدر الصدور شيخ عبد النبى إلى الحجاز ، تقول البعض بما ليس
فى الدين ، وأنه أضيف إلى كلمة الشهادة " أكبر خليفة الله " وللحذر من ظهور
الخلل ، شاعت هذه الأقوال على أفواه عدد محدود داخل القصر كما
غير السلطان التاريخ الهجرى وأخذ بأشهر ملوك العجم ، ووضع تاريخاً جديداً
ابتداءً من تاريخ جلوسه على الحكم ، وسميت شهور هذا التاريخ وسنواته بالشهر
الإلهى والعام الإلهى ، كما استخف بالعربية والفقه وغيره من العلوم الدينية ، وروجوا محلها

(١) عبد القادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٧ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول ، ص ١١٠-١١١ .

علوم النجوم والحكمة والطب والحساب والشعر والتاريخ والأساطير ، وأبيح لبس الذهب والحريير (١) ، ويبدو من كتابات بدايوني أن الآخرين كانوا يصرحون بهذه الأقاويل وأن السلطان كان لا يمانعهم .

كذلك غير السلطان تحية السلام والرد عليه ، فتقرر أن يقال أثناء لقاء البعض بالبعض ، " الله أكبر " فيرد الآخر " جل جلاله " (٢) ، كذلك حرم أكل لحم البقر وغلظ في هذا الباب ، لأنه كان يجالس منذ الصغر الهنود وكيين ، وتزوج من بنات الراجوات العظام ، فتأثر بهم واحترز من أكل لحم البقر (٣) ، ومنع ذبح البقر في جميع الممالك المحروسة ، لأنه مذموم عند أهل الهند ، ويعتبر عندهم من الجرائم العظيمة ، وكان السلطان يقول بأن ترك اللحم قد خطر بباله عدة مرات ولكنه نظرا لشماتة الناس ، لم يكن الاحتراز عنه بالمستطاع وكان يعلل احترازه هذا بأن اللحم لا ينبت من غصن الشجرة أو من الأرض ، كالنباتات ، فهو من جسم الحيوان فقط ، ومع وجود أنواع الأغذية وأقسام النعم التي وهبها الله للناس ، يكون تناول اللحم ناتجا من قسوة القلوب ، إذ ليس من الرفق أن يجعل الإنسان صدره — وهو مخزن الأسرار الإلهية — مقبرة للحيوانات ففي هذه الحالة يكون ترك اللحم أولى بوجوه ، كما كان السلطان يصرح أيضا

(١) عبدالقادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ .

(٢) أبو الفضل علامي : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٣) عبدالقادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٣٩ .

بأن مشغلة الصيد هي محض شرب الدم والجور والجلادية ، وقساة القلوب الذين لا يتقون الله ، يستسلمون للهوى ، فيجدون تطيب خاطرهم في اصطياد الحيوانات ، ويرسلون العديد من الحيوانات البريئة إلى العدم ، ولا يعرفون أن هذه الصور الغريبة والأجسام العجيبة من صنع الصانع الحقيقي وبدائعه (١).

وتطور الأمر إلى أنه لو سمع عن جزر بقر لقتل الجزار فوراً قصاصاً للبقر ، ولو كان الجزار من الأمراء الكبار أو من أبناء الملوك (٢) ، ويذكر جهانگیر أن من الرياضات التي كان يقوم بها والده ، هي ترك أكمل الغذاء الحيواني ، وفي طوال السنة كان يميل إلى اللحم في ثلاثة شهور ، وكان يقتنع في تسعة شهور أخرى ، بطعام صوفى ، ولم يكن يرضى مطلقاً عن قتل الحيوان وذبحه ، وكان في كثير من الأيام والشهور ، يمنع قتل الحيوان منعاً عاماً (٣) ، ولكنه من الواضح أن هذه التطورات حصلت في الفترة الأخيرة من سني حكم السلطان ، لأنه في البداية لم يكن يرضى بالصيد فحسب ، بل كان مولعاً به ، وخاصة في السنوات الخمس الأولى من حكمه .

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٢-٣٧٣ .

غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

(٢) بهگوانداس : تاريخ آباء وأجداد شاه جهان ، ق ١٠٧ ب .

إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٨ .

(٣) محمد هادى : توزك جهان نگیری ، ص ٢٢ .

بهگوانداس : تاريخ آباء وأجداد شاه جهان ، ق ١٠٦ ب .

يرى أبو الفضل مؤرخ البلاط والذي كان يقف وراء تصرفات السلطان ، بأن هذه التصرفات التي ذكرنا بعضها آنفا ، لا تعتبر خروجاً على الإسلام أو الدين الأحمدي حسب تعبيره ، ويتهم علماء الدين الإسلامي المعاصرين له بأنهم أصحاب عقلية متخلفة ومتزمتة ، لا يستطيعون فهم تصرفات السلطان ، فيسيئون التعبير عنها ، ويضيف بأن السلطان كان يمد يد الصداقة إلى مختلف الفرق والطوائف وأنه يحبذ مجالسة علماء المذاهب والمشارب المختلفة وأصحاب الرياضات ، ويحقق معهم في كل مسألة يطرحونها ، ويطلب منهم إقامة الدلائل المقنعة ، فيخرج الذين ينقصهم العلم والوعي ولكنهم بدل أن يعترفوا بالنقص ويبحثوا عن الكمال ، يكيلون الاتهامات ضد السلطان ، فمرة يتهمونه بالميل إلى التشيع ، لأنه فتح أبواب مجالسه للشيعية أيضاً ، ومرة أخرى يتهمونه بأنه يميل إلى البرهمن (١) ، بدليل أنه قبل مجالسة علمائهم ، وأباح للطوائف الهندوكية الانسلاخ في دولته ، ورقى بعضهم إلى مناصب عالية ، ونسوا أن السلطان ينتهج سياسة السلام مع الجميع ، فيفتح أبواب مجالسته ومناقشته ، أمام علماء كل دين ومذهب ومشرب ، ويرجح رأى الذين يقدمون دلائل مقنعة. (٢)

(١) البرهمن : بمعنى البرهمية ، ولقد أطلقت هذه الكلمة على الهندوسية

منذ القرن الثامن قبل الميلاد .

(٢) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .

لقد أصدر السلطان أكبر مرسوما يقضى بوضع تاريخ حديد ، سمي بالتاريخ الإلهي ، وينقول في مرسومه مبررا هذا الإجراء :

((في هذا الوقت الذى مضى من جلوسنا المظفر قرن ^(١) من الزمان أصدر مرسومى هذا إلى حكام الممالك المحروسة وسائر الموظفين فى مختلف قطاعات الدولة ، وبدرجاتهم المختلفة ، بأن جل همى هو أن يكون الناس كلهم فى رخاء ورفاه ، وأن يكونوا منشرحى البال ، وأن يصرفوا أوقاتهم التى لا تعوض ، فى مرضيات الله ، وأن يطلقوا رقبة عقيدتهم من قلادة التقليد . إن فى الهند تواريخ متعددة ، وأن المقصود من وضع التاريخ هو معرفة أوقات الحوادث والمعاملات بيسر وسهولة ، وبطريقة لا يكون فيها محل للنزاع ، ورأينا أن وضع التاريخ الجديد ، أسهل للجميع من أن نختار واحدا من التواريخ الماضية البعيدة .

إن بداية التاريخ تكون من حدوث أمر عظيم ، كظهور أمة قوية ، وحصول سلطنة عظيمة ، والمنة لله تعالى ، أن فى هذه السلطنة العظيمة من عظام الأمور ، وجلائل الأعمال ، ما يجعل واحدة منها ، تستحق أن تكون بداية للتاريخ . فهناك على طريق الشمال ، تسخير بلاد عظيمة ، وفتح قلاع حصينة وغيرها ، وتجدر الإشارة إلى أنه كما يتوهم على الفطرة ، وقليلو الكياسة ، لا يس هذا العمل رفعة شأن التاريخ الهجرى ، وكما نرى فى زمن ملكشاه

(٢) القرن : فى اصطلاحهم يساوى ثلاثين عاما .

ومع أن التاريخ الهجرى لم يكن ممتدا بهذا القدر ، ولم تكن أمامهم المشاكل التى تقابلنا ، وضعوا لتسهيل أمورهم تاريخا جديدا سموه " تاريخ جلالى " (١) وهذا التاريخ رائج فى تقاويم الممالك الإسلامية من عرب وروم وما وراء النهر وخراسان وعراق وغيره ، ويتمسك بهذه التقاويم المتشرعون والمتدينون فى كل عهد من العهود ، وبالنظر إلى تكرار الالتباس من قبل أهل النظر والمشورة أمرت أن يؤخذ النوروز الذى كان قريبا لسنة الجلوس ، بداية للتاريخ الجديد (تاريخ الهى) ، وأمرت أن يراعى هذا مستخرجو التقاويم فى ديار الإسلام وأن يطبق هذا التاريخ الجديد فى الهند وأن تحى التواريخ المختلفة الأخرى ، من التقاويم الهندية ، كما أمرت أن تكون أشهر هذا التاريخ الأشهر الشمسية * (٢)

وهكذا يتضح من نص مرسوم السلطان أن غرضه من ذلك هو تخطى عقبة شعبد التواريخ فى الهند ، وكان من أهم مؤسسى هذا التاريخ هو مير فتح الله شيرازى المطبق بعهد الدولة ، وكان هذا التأسيس فى سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٤ م) ولكن الوقائع أرخت به منذ بداية جلوس السلطان على عرش الحكم (٣) كما أن السنة الإلهية عبارة عن السنة الشمسية وبدايتها من يوم نوروز. (٤)

(١) نسبة إلى جلال الدين ملكشاه السلجوقى (٤٦٥-٤٨٥ هـ / ١٠٧٢-١٠٩٢ م)

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٢-١٥

(٣) محمد شريف : إقبال نامه جها نكيرى ، ج ٢ ، ص ١٢٦

(٤) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٢

وتدل بعض الدلائل على أن السلطان كان لا يصوم رمضان ، وكان يذهب في عيد الفطر إلى مصلى العيد فيؤدى هناك ركعتي العيد ويعطى الصدقات وكان يكفر عدم صومه بتحرير ثلاثمائة عبد وصرف خمسين ألف روية للفقراء (١) ، كما كان السلطان يقيم احتفالا بمناسبة ذكرى ميلاد الرسول عليه الصلاة والسلام في كل سنة، وفي الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) أقام احتفالا بهذه المناسبة ، وحضره السادات والعلماء والمشائخ والأمرأ وبسطت الموائد ودعى إليها عامة الناس ، وقيل ، للسلطان ، إن خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم كانوا يقومون دائما بإلقاء خطب أيام الجمعة والعسدين ، ولقد أحيى خلفاء بنى العباس هذه السنة السنبة وبعدهم قام بنفس العمل السلاطين العظام ، فتقرر رأى أكبر شاه أن يقوم فى إحدى الجمع بسنة الخلفاء وأئمة الهدى ، ففي يوم الجمعة غرة جمادى الأولى صعد على منبر جامع فتحپور وبدأ بإلقاء الخطبة الفارسية المنظومة التى تقول : (٢)

هو الله الذى أعطانا الزعامة وأعطانا قلبا بصيرا وساعدا قويا
وأرشدنا بالعدل والانصاف وأبعد عن خيالنا غير العدل
وضعه خارج عن حدود الفهم تعالى شأنه الله أكبر

(١) سليم شاه الهندى : تاريخ أكبر شاه ، ق (١٤) أ .

(٢) الأبيات بالفارسية :

خدا وندى كه مارا سرورى داد	دلى دانا ويا زوى قوى داد
به عدل و داد مارا رهنمون كرد	بجز عدل يا زخيال ما برون كرد
بود وضعش ز حد فهم برتر	تعالى شأنه الله أكبر

ثم قرأ الفاتحة ونزل من المنبر وأمر لخطيب الجامع وإمامه ، الحافظ محمد أمين ،
أن يؤم المصلين ، فأدى السلطان خلفه ركعتي الجمعة . (١)

هذا ولقد كان لا يتداع السلطان مذهب " دين إلهي " انعكاساته ففى
الداخل ، حيث استغل شائعات انحرافات السلطان من قبل المتمردين على
حكمه ، كما كان لذلك الإجراء آثاره السلبية فى علاقات السلطان مع دولة الأزابكة
كما سنراه فيما هوآت .

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكرى ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .
عبدالقادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٦ .
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٩١ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P. 126

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية

وموقف كبر من البرتغاليين على الساحل الهندي

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية وموقف أكبر من البرتغاليين على الساحل الهندي

— العلاقات مع الأزابكة

— العلاقات مع الصفويين

— العلاقات مع العثمانيين

— موقف أكبر من البرتغاليين

كانت دولة السلطان أكبر تجاور الدولة الإسلامية الأوزبكية^(١) من ناحية الشمال الغربي ، وبالإضافة إلى العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين البلدين المسلمين ، كانت هناك علاقات سياسية بين الدولتين ، فكانت الرسائل وكانت الرسائل يتبادلها الجانبان ، وذلك لبحث كل ما يتعلق بالروابط بينهما ، كما كان المبعوثون يحملون معهم هدايا وتحفا لتقديمها إلى زعمى الدولتين .

في سنة ٩٨٥ هـ (١٥٧٧ م) ودع مبعوث حاكم توران عبد الله خان أوزبك ، وكان المبعوث قد وصل إلى البلاط قبل الحملة الأولى إلى كجرات حاملا معه رسالة ودية وتحفا وهدايا نفيسة ، من حاكم توران عبد الله خان إلى

(١) أوزبك : بمعنى الحر المستقل ، وكان أوزبك خان من أولاد چنگيز خان ولقد حسن إسلامه وأسلم على يديه أكثر القبائل الأوزبكية التي تنتمي إلى اسمه . وكان أولاد الأمير تيمور يلتمسون العون والمساعدة من قبائل الأوزبك أثناء حروبهم الداخلية فيما بينهم ، والتي أدت إلى ضعفهم وبالمقابل أصبح نفوذ الأوزبك يتزايد يوما بعد يوم ، إلى أن استطاعوا مطاردة التيموريين من أقاليم ما وراء النهر ، وحلوا محلهم في حكم هذه المناطق ، وفي عهد حاكمهم المعروف ، عبد الله خان بن اسكندر خان ٩٧١ - ١٠٠٦ هـ (١٥٦٣ - ١٥٩٧ م) استطاعوا توسعة أملاكهم على حساب مناطق في خراسان ، وبذلك أصبحوا متاخمين لدولة السلطان أكبر ، وأصبحوا كذلك مصدر قلق له ، خوفا من تقدمهم نحو كابول وقتند هسار .

السلطان أكبر، ولكن السلطان أكبر لم يهتم به كثيرا ، حيث كان ينظر إلى حكام ما وراء النهر الأزاكية نظرة الكراهية ، لأنهم قاموا بتسخير الممالك الموروثة للتيموريين ، فبقى المبعوث فترة طويلة إلى أن بدأ الهجوم على كجرات ، وكان المبعوث مصاحبا لهذه الحملة حتى يشاهد عن قرب ، مدى قوة السلطان في الفتح والتصدي للخصوم ، وبعد أن عاد السلطان من كجرات ، فاتحا ومنتصرا ، قبل التماس أعيان دولته ، فودع مبعوث عبد الله خان محملا بإياه رد رسالته التي كان قد بعثها إليه بصحبة ذلك المبعوث ، ولقد رأى السلطان أكبر أن يقطع المراسلة ومبادلة المبعوثين بينه وبين حاكم توران ، فلم يرافق ذلك المبعوث مبعوث آخر من قبل السلطان أكبر ، كما كان متبعاً (١) ، ولقد أصبح عبد الله خان قلقا من عودة مبعوثة بهذه الطريقة ، ومن أسلوب معاملة السلطان أكبر معه ، فأسرع بإرسال مبعوث آخر إلى السلطان أكبر ، حاملا إياه رسالة ودية من قبله ، ولقد وصل هذا السفير إلى بلاط الهند في سنة ٩٨٧ هـ (١٥٧٩ م) وكانت الرسالة التي يحملها إلى أكبر ، تتضمن طلبا من عبد الله خان ، بأن يشترك السلطان أكبر معه ، في الهجوم على إيران والقضاء على الحكم الصفوي الشيعي هناك ، ولقد أحسن السلطان معاملة مبعوث عبد الله خان في هذه المرة. وودعه وداعا حاراً ، كما أرسل من قبله مرزا فولاد أزيك ومعه خواجه خطيب البخاري ، مبعوثاً إلى حاكم توران ،

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .

كما حملته إليه رسالة وتحفا وهدايا هند وستانية نفيسة ، وخصوص اقتراح عبد الله -
 خان المبنى على الهجوم المشترك ضد الحكم الصفوى الشيعى فى إيران ، رد
 السلطان أكبر فى رسالته مدعيا بأن للأسرة الصفوية انتسابا خاصا مع بيت
 النبوة ، ولا يتمكن من أن يجعل اختلاف المذهب مبررا للهجوم على إيران ،
 ويتناسى الصداقات القديمة التى كانت بين أسرته والأسرة الصفوية فى إيران ،
 كما نبه السلطان أكبر فى رسالته عبد الله خان أريك ، بأن لا يعود فى ذكر
 حاكم إيران له بسوء ، وفى نفس الوقت أكد فى رسالته على الروابط الخاصة
 والمصير الواحد بين دولته والدولة الأريكية فى توران ، خاتما رسالته بالبيت
 الفارسى الآتى (١) :

چو ماد وست باشيم باهمد گر بود بحر ویرایمن از شور و شر (٢)

فى سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) تمرد أخو السلطان الأصغر ، مرزا محمد
 حكيم حاكم كابل ، ولكن السلطان تمكن من هزيمته ، فسار هاربا الى غورينند
 القوية من حدود الأريكة ، ولكن السلطان أكبر أسرع بالعفو عنه ، وأرسل
 فى طلبه ليعود الى كابل ويأمر مهامه كالسابق ، وذلك حتى يقطع
 الطريق أمام لجوئه الى توران ، وليفوت الفرصة على الأريكة من أن يستغلوا
 مثل هذه التطورات ويقوموا بالتدخل فى شؤون كابل . (٣)

(١) إذا كنا أصدقاء مع البعض فسيصبح البحر والبر آمنة من الفتنة والشر

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

نظام الدين أحمد النهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٣ .

عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٦ .

(٣) نظام الدين أحمد النهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٩ - ٣٥١ .

فى سنة ٩٩٣ (١٥٨٥م) استولى عبدالله خان أريك على بدخشان التى كانت تتبع سلطان الهند اسما ، فلجأ حاكمها مرزا شاه رخ إلى الهند ، حيث استقبل من قبل كبار أمراء السلطان أكبر ، استقبالا حارا ، كما قدم لـه السلطان الخلع الفاخرة وبلغ مائة ألف رمية نقدا ، وأمر بتخصيص منزل مناسب لسكناء . (١)

بهذه التطورات أصبح السلطان أكبر ، أكثر قلقا من نيات الأريك التوسعية إلى الجنوب ، ففور سماعه بنبأ وفاة أخيه مرزا محمد حكيم حاكم كابل فى سنة ٩٩٤ هـ (١٥٨٦م) فإنه فكر فى كيفية المحافظة الجيدة على كابل وغزنة وأراد فى الأول أن يبقى كابل كما فى السابق فى أيدي أبناء أخيه المتوفى ، ولكن كبار أمراءه عرضوا له أن أبناء أخيه مازالوا فى الصغر وحدائة السن ، ولم يتأهلوا بعد فى تحمل مسؤوليات الحكم ، خاصة وأن جند الأريك قد استولس على بدخشان وهم بالمرصاد للتقدم نحو كابل ، وفى نفس الوقت جاءت الأنباء بأن اضطرابات وقعت بعد وفاة مرزا محمد حكيم ، وأن الجند أرادوا اللجوء إلى توران بصحبة أبناء مرزا محمد حكيم ، فبادر السلطان أكبر بالتوجه إلى پنجاب فى العاشر من رمضان سنة ٩٩٤ هـ (١٥٨٦م) ليكون على مقربة من حدود ولاية كابل ويراقب التطورات بنفسه من هناك ، كما أسرع بتعيين كنورمانسنگ الهندوكى حاكما على كابل ، وأرسل عددا من رجاله بأن يأتوا بأبناء أخيه إلى الهند ، وكما رأينا فى الفصل الثانى تمكن السلطان أكبر من إعادة الهدوء والاستقرار

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٦ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

أرمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٣٤١ .

إلى كابل ، ولكن قلقة من هذه التطورات ومن نيات الأرمك التوسعية لم تنته إلى هذا الحد بل اضطّر أن يمكث في پنجاب حتى سنة ١٠٠٧ هـ (١٥٩٨) ليياشر بنفسه أعمال الفتح في حدود دولة الشمالية الغربية ، ويراقب أيضا تحركات حكام توران ، كما قام في خلال هذه المدة بجولات تفقدية إلى كابل للاطمئنان على الأوضاع في بوابة التورانيين إلى الهند (١) .

عند ما وصل أكبر شاه إلى پنجاب بدأ في إعداد قواته واتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة ما يمكن أن يحدث ، ولقد أمر بتوسعة مرخيبر ، كما أقام جسرا على نهر السند ، مما سبب قلق التورانيين ، حتى أنهم كانوا يقفلون أبواب بلخ في معظم الأحيان ، فبادر عبد الله خان أرمك حاكم توران بإرسال مبعوث إلى السلطان أكبر ، وهو مير قوشن من أكابر السادات وصحبه هدايا كثيرة من خيل وجمال وتحف أخرى من نفائس تلك الديار ، كما كان يحمل رسالة ودية من عبد الله خان ، إلى السلطان أكبر ، ولقد أقر السلطان استقبال المبعوث المذكور لعدة أيام ، بسبب أنه حزين من قتل قائد الهند وكي راجه بيرويل فسي حروبه ضد القبائل الأفغانية ، ثم استقبله في الديوان الملكي الذي كان قد أقامه على مقربة من نهر السند (٢) ، ولقد بادر السلطان أكبر بإرسال رسالة جوابية إلى ملك التوران ، قال فيها : " كانت رسالتكم رابطة الود والصفاء

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٧ .
أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٤٧٤ - ٤٧٦ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٧ - ٢٧٠ .
محمد شريف : إقبال نامه جهانگیری ، ج ٢ ، ص ٤٥٨ .
V.A.Smith: Akbar the Great Mogul , P. 195

(٢) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٥٠٠ - ٥٠١ ، ٧٤٧ .

وواسطة المحبة والولا ، تؤكد نسبة القرابة والمحبة السابقة ، وتمهد لتشديد قواعد الصداقة الصحيحة ، كما أورثت لنا صفاء خاطر وانجلاء الباطن والظاهر كما يذكر له في رسالته أن المقصود من السلطنة والحكم والأبهة والفتح ، هو القيام بأعمال الراعى والإقدام على الحراسة ، وليس لجمع المال والمنال والانغماس في الحظوظ النفسانية واللذات الجسمانية ، وأن طريقه هو الإدارة والمواساة مع الصديق والعدو والقريب والبعيد ، وأن عنان توجهه معطوف لتفريه أحوال عموم الخلائق وطمأنة أوضاع جمهور الأنام ، ويذكر في رسالته مشهدا الله على قوله ، بأن تسخير ممالك الهند الفسيحة والمتصلة بالمحيط من الجهات الثلاث ، لم يكن بمقتضى الهوى والهوس ، بل هو من أجل رعاية الملهوفين وحماية المظلومين ثم يؤكد في رسالته مخاطبا عبد الله خان حاكم ما وراء النهر ، بأنه إذا كانت هذه شيمته وسجيته مع سائر العباد ، فكيف تكون معه " وهو المؤيد من رب العزة والكبرياء " ثم يضيف بأن روابط الصداقة وروابط المحبة ، بين الجانبين متحققة وممكنة ، إضافة إلى القرابة الموجودة بينهما ، وأن واحدة من هذه الروابط تكفى للمحبة والولا ، فكيف إذا اجتمعت كل تلك الدواعي ، ولا شك أن من ميامن بركات هذه الموافقة والمولاة ، انتظام أحوال العالم وانتساق أوضاع بني آدم . (١)

لقد أشيع في توران أن أكبر شاه ادعى الأكوهية والنبوة ، فتوقف عبد الله خان عن إرسال الرسائل إليه ، ومع أن أكبر شاه بعث إليه رسائل كثيرة إلا أنه لم يطلق منه أى جواب ، إلى أن أرسل عبد الله خان رسالته الآتفة الذكر ، وذكر فيها أن انشغاله بالحروب إضافة إلى سماعه الأنبياء التى تشير إلى ادعاء

السلطان الألوهية والنبوة ، كان وراء تأخر المراسلة ، فكتب السلطان أكبر ، إليه في رسالته المذكورة ، بأن ما أشير إليه في أسباب تأخر إرسال الرسائل وعدم إظهار لوازم الصداقة ، من موانع غريبة بقيت في حجاب الكتمان ، وأن الأسباب التي ذكرت في باب ترك مراعاة الرسميات ، تبدو عجيبة وغريبة ، ولا يعرف كيف يمكن أن يكون مثل هذه الأمور موانع لذلك ، لأن القلق من الأعداء ، والمحاربة معهم لا يفسر ذلك ، ولأن من أعمال السلطنة الحروب والمعارك مع الأعداء ، فلا يعقل أن تكون مانعة في إرسال الرسل والرسائل وإلا لا ختفى هذا الرسم من السلاطين ، ويضيف أكبر شاه في رسالته مخاطباً عبد الله خان أريك : " إن الإشارة إلى موانع إرسال الرسل والرسائل والتي جاءت في رسالتكم ، يرجح في نظر العقل البعيد النظر عدم الخوض فيها ، ولكن الإغماض في هذه المسألة غير لائق كالتطويل فيها ، فأكتفى بذكر هذه القطعة المنقولة عن أجلة أكابر الدين :

" قيل إن الإله ذو ولد قيل إن الرسول قد كهنا

مانجا الله والرسول معا من لسان الوري فكيف أنا " (١)

ويرد السلطان على مثل هذه الاتهامات بشدة ويقول : " إن الذين اسودت قلوبهم وقصرت بصائرهم ، تقولوا أقاويل ونسبوها إلى ، وأضلوا بها جمعا من البسطاء والجهلاء ، وهم فئة حقاً لا يعرفون أنفسهم ، وكل همهم أن يبحثوا عن العيوب لا الفنون ، فهم دخان لكل دماغ ورياح لكل مصباح "

ويعاتب السلطان في رسالته حاكم توران بأنه لم يستخدم بعد نظره ودقته ففى هذه المسألة ، ويتعجب من إصفاة لمثل هذه الاتهامات ، ثم امتناعه عن إرسال رسائل الصداقة بسبب هذه الشائعات ، مذكرا إياه أن عددا من خصومه قد هربوا إليه بقصد الخداع والرياء ، وليكد روا صفاة العلاقات الودية والأخوية بين الجانبين ، ويلقى أكبر شاه اللوم على عبد الله خان لعدم تحقيقه فى هذه الأخبار والشائعات قائلا له : " كانت الصداقة تقتضى مبادرتكم بإرسال المبعوثين الواعين للتعرف على لب الموضوع ودقائه " (١) .

ولقد شرح أكبر فى رسالته تلك ، منزلة العقل فى حياة الإنسان ، مؤكدا أن عقل السلاطين وفهمهم يفوق عقول السائرين من الناس ، فقال فى رسالته : " بالاستناد إلى النيرين وهما الكتاب والسنة ، وشهادة من أهل النظر ، وإشارات من أرباب الكشف والتحقيق ، وفى المجموع باتفاق أهل الطل والنحل ، تقرر أن عدة موجبات شرف الرتبة ورفعة المنزلة للنوع الإنسانى الذى كرمه الله بقوله ، " وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " (٢) هو العقل الذى تعتمد عليه معرفة الله ، والتعرف على مخلوقاته ، وباتفاق من أصحاب النقل وأرباب العقل فإن عقول السلاطين العظام أكثر نورانية ، لأنهم أصحاب العروش المحبين للعلم والمعرفة ، وإذا كان فى مصنع الخلق قد أعطى من العلم والدعى كل حسب حاجته واستعداده ، فإن هذه الطائفة العلمية ، يتصفون بمزيد من الفهم والذكاء " (٣) ويذكر السلطان فى رسالته أيضا ، أن جميع المستكبرين من

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) سورة الاسراء : الآية ٧٠ .

(٣) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٢٠ .

الهنود وجنودهم وغير هؤلاء قد وضعوا حلقة الطاعة في آذانهم ، وانضموا إلى العساكر المنصورة ، فحصل لمختلف طوائف الأنام الارتباط والانضباط التام .
ومقتضى " وأحسن كما أحسن الله إليك " (١) نبذلى جل همنا لتمهيد قواعد الرأفة وتأسيس مبادئ النصفة وإشاعة أنوار العاطفة ، كما نعمل لطرادة حدايق أمانيتهم وآمالهم ، برشحات سحب المكرمة والإحسان ، وقطرات أمطار الفضل ، والامتنان ، كما يؤكد السلطان أنه بعد الفراغ من التأليف بين طوائف الهند ، سيبذل جهداً لتطهير طريق الزائر والتاجر من مزاحمة كفار الإفرنج الذين وصلوا إلى جزائر البحر المالح ، ويقومون بأعمال الفتنة والفساد ويتعدون على زائري الحرمين الشريفين " زادهما الله شرفاً " كما يتنى السلطان أن يوفقه الله ليياشر بنفسه أدا تلك المهمة . (٢)

ويحذر السلطان ، عبد الله خان أريك من الإصغاء إلى العلماء أصحاب الغرض ، ويؤكد مجدداً على أهمية العقل فيقول : إن على أصحاب هذا العقد الفريد ، أن لا يعطلوه وأن يستمدوا به في مسالك المعاش والمعاد " خاصة أثناء التحدث مع بعض رجال الدين أصحاب القلوب المسودة والأعمال المكدرة ، الذين لا هم لهم إلا الأناثية والأغراض الشخصية ، والذين يلقون نظرات إلى الأوراق فيحرقون الكتاب الخالد المنزل من عند الله والبالغ من قبل الرسول ، والذين يؤلون مجملات النصوص ، ويطلبون مشاركة الطموك ،

(١) سورة القصص : الآية ٧٧ .

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ١٤٠ .

في تصريف الأمور ، وإننا نسمع عن كثرة الاختلاف في كل باب فنطلب الدلائل والبراهين في المسائل العلمية والعلمية ، ونحاول دائما استكشاف غوامض المسائل الدينية وتنقيح مقاصد المجتهدين ومستنبطات عقائد السلف ومراجع أقاويل الخلف ، ونتفحص في موارد الخلاف ونتصفح مواقع الاختلاف ومنشأ الخلاف الدائرين طمأ الأمة في خلال ألف عام والمفصل في الكتب المتداولة ، وإن القيام بهذا العمل ، أدى إلى كساد سوق الجهلاء المزورين والمتبسين بثوب العلم والذين حصلوا بهذه الطريقة على امتيازات كبيرة ، كما أدى انتهاجنا لهذا الأسلوب ، إلى ظهور جمع من أرباب العلم الذين كانوا في زوايا الخمول بسبب سوء نفسية الطائفة الأولى (١) " وهؤلاء الأشقياء نسبوا إلى ادعاء الألوهية تارة وادعاء النبوة تارة أخرى ، فافتضحوا عند الخاص والعام ، وبإدراوا إلى دار البوار (٢) "

كما يقترح السلطان أكبر في رسالته على عبد الله خان حاكم ما وراء النهر اللقاء المباشر والتعرف على البعض وذلك في حدود خراسان ، لتدعيم أسس المحبة بالمشافهة ودون وساطة رسول أو رسالة ، خاصة أن رابطة المحبة ونسبة القرابة قديمة بين الجانبين ، وأن ضوابط الود وقواعد الاتحاد ، استحکمت مجددا ، إثر إرسال الخطاب الودي مع مير قريشي ، ويضيف أكبر شاه في هذا الصدر بأنه إذا تحقق هذا الأمل ، ووجدنا أن واحدا منا أكثر معرفة للحق وأكثر طلبا له ، فعلى الآخر استرضا خاطره والوقوف معه موقفا

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٢ .

أخويا كاملا وأن لا يعدل عما يراه صلاحا ، لأن هدف الجانبين هو الحصول على رضا الحق سبحانه وتعالى ، بعيدا عن استحصال الشهرة والتسلط على البرية (١) .

هذا ولقد حمل هذه الرسالة الى عبد الله خان مبعوث السلطان الخاص حكيم همام ، ولقد وصفه السلطان في رسالته وذكره بأنه زبدة المقربين والموالين والخبير الصادق ، وأنه يستطيع عرض الأمور إليه بدون واسطة ، كما ذكر السلطان في رسالته أنه أرسل مير صدر جهان وهو من السادات الكبار ، لينوب عنه في تقديم التعازي بمناسبة وفاة سكندر خان والد عبد الله خان ، وذكر السلطان بأنه أرسل إليه أيضا تحفا وهدايا برفقة محمد علي خزانچی عملا بمقتضى " تهادوا تحابوا " وختم أكبر شاه رسالته تلك قائلا : " أرجو أن تستمروا دائما في إرسال صحائف المحبة ورسائل المودة التي تحرك سلاسل الإخلاص وتؤسس مبادئ الاختصاص (٢) " .

وعلى الرغم من تبادل هذه الرسائل الودية إلا أن السلطان أكبر استمر في حيطته وحذره ، وكل ما فعله أنه غادر ضفة نهر السند إلى لاهور حيث استقر هناك لعدة سنوات وأشرف بنفسه على التطورات في توران ، كما عمل على تدعيم نفوذه في كابل وفي المناطق التي تقع بين هذه الولايات الهامة وبين ولاية پنجاب ، وكل هذا ليكون جاهزا لمقابلة كل الاحتمالات

-
- (١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ١٥ - ١٦ .
(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ ، ضمن الأحاديث المتعلقة بحسن الخلق .
(٣) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ١٦ - ١٧ .
أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٥١٢ .
نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبری ، ص ٣٧١ .

وليطمئن على أمن دولته من تلك النواحي (١) ، فلقد اتجه إلى كابل في سنة ٩٩٧ هـ (١٥٨٩ م) ونزل فيها في الثاني والعشرين من ذي القعدة ، وهناك عاد إليه حكيم همام ومير صدر جهان ، مبعوثاه إلى توران ، ومصحبتهما مبعوث عبد الله خان وهو أحمد علي أتاليق ، الذي كان يحمل رسالة ودية من حاكم توران إلى سلطان الهند ، يدعو فيها إلى الاتحاد والتعاون بين الجانبين كما كان يحمل المبعوث تحفا وهدايا من البضائع النفيسة الموجودة في تلك الديار ، فاستقبله السلطان واستلم منه رسالة عبد الله خان والهدايا المرسلة من قبله ، ولكن الذي حدث بعد ذلك ، أن أحمد أتاليق لم يعد إلى بلاده دون أن يعرف عن مصيره شيء ، فأصبح عبد الله خان قلقا من هذه الناحية ، خاصة وأن المذكور كان من كبار رجالاته ومستشاريه ، فبادر حاكم توران بإرسال مبعوث آخر ، وهو مولانا حسين خراساني ، حاملا رسالة ودية وتحفا وهدايا منه إلى أكبر شاه ، كما استفسر في رسالته عن مصير مبعوثه السابق ، ولكن مولانا لم يعد هو الآخر إلى عبد الله خان ، ولم يعرف شيء عن مصيره ، كما لم يقم أكبر شاه بإرسال أية رسالة أو مبعوث إلى عبد الله خان ، حتى سنة ١٠٠٤ هـ (١٥٩٥ م) وفي هذه السنة قام السلطان بإرسال أحد رجالاته وهو خواجه - أشرف نقشبندی مبعوثا منه إلى حاكم ما وراء النهر ، وحمله رسالة مطولة يشرح فيها السلطان بعض الأحداث الداخلية في دولته ، كما يجيب فيها

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٥٠٦ ، ٥٠٨ .

عن استفسارات عبد الله خان التي جاءت في رسائله (١) ، ولقد بدأ السلطان رسالته المذكورة بالحمد لله المبدع الذي وحد طوائف الأنام إما بانخراطهم وانتظامهم في وحدة إرادية بواسطة الأنبياء والرسول على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، وإما بواسطة حكام الصورة لا انتظام عالم الظاهر . . بعد هذا يدعو السلطان لعظماؤه عهد ، الذين ليس لهم هم إلا ، أن يعيش جمهور الأنام من المتفق والمختلف في بساط الأمن والعافية ، ثم يدخل السلطان في الموضوع بذكر المجاملات التمهيدية وإظهار حسن النية ، فيذكر أنه تسلم رسالته في منتزهات كابل ، بكامل السرور والرضا ، وأنها كانت لوحة الصفوة والصفاء ، وديباجة القربة والاصطفاء وصحيفة الود والإخاء (٢) ، ثم يبيد السلطان رغبته في التعايش السلمي وحسن الجوار ، مستحسنا جعلا هند وكوه (٣) حدا فاصلا بين دولته ودولة الأزابكة ، ثم يضيف بأنه " لا يوجد أمر أشرف من التودد والوفاق والذي يركز عليه انتظام الكائنات ، ولو ظهر هذا الأمر في طبقة السلاطين ، فلا شك أنه يشمر البركات والحسنات للحال والمآل ، وسيعيش ألوف النفوس وأصناف ذوى الحياة ، عيشة هادئة مطمئنة ، وكان الأجدر ربنا البدء في إظهار مراسم المصالحة وإبراز لوازم المصادقة ، لأنه خلافا لمعظم الحكام السابقين ، كانت همتنا موجهة إلى أن تكون معاملتنا

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٥٩١ - ٥٩٢ ، ٦٠٩ ، ٧٤٧ .

نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٣ .

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٤ - ٥ .

(٣) هند وكوه : وتسمى الآن بهند وكش ، وهي عبارة عن سلسلة جبال عالية ممتدة شرقا وغربا ، وهي تقع شمال كابل ، ويمر منها حاليا طريق سالنك الاستراتيجي .

مبنية على نهج الائتلاف والارتباط ، ولما أصبح حضرة العالى بادئا لهذا فإنه يلزم طينا أكثر من السابق ، أن نهتم بمراعاة هذه النسبة والرابطة ^(١) وفى الإشارة الى إثبات حسن نيته تجاه دولة الأزابكة ، يذكر السلطان فى رسالته لعبد الله خان ، بأنه قد راعى تلك النسبة والرابطة ، فلم يلب طلب حاكم إيران الذى أرسل إليه مبعوثا خاصا يستعين به ، ويطلب وقوفه إلى جانب إيران فى نزاعها مع الأزابكة ، وذلك على الرغم من سوابق المعرفة وسوالف حقوق الصداقة الموجودة بين الدولتين ، كما كان شاه رخ مرزا حاكم بدخشان الهارب ، يرغب أن يقطع له فى كابل أو كشمير أو فى غيرهما من الولايات الباردة والقريبة من بدخشان ، ولكنه نظرا إلى حسن الجوار فإنه لم يستجب لالتماسه ، وأقطعه فى ولاية مالوه ، وكذلك يذكر أكبر شاه فى رسالته لعبد الله خان حاكم توران ، بأنه قد استدعى مرزاوات قندهار ^(٢) ، وفوض حراستها إلى الملازمين البابريين ، لأن قندهار كانت قبل ذلك جزءا من أراضيه ، وأنه أقدم على هذا الإجراء ، حتى لا يعتبرها جنود توران من أملاك إيران ، فيجعلوها هدفا لتوسعهم ، ولكى لا يقع هناك خلط بين الأراضى المتعلقة بتوران وبين أراضى دولته ، كما يذكر السلطان أكبر فى إطار إثبات حسن نيته تجاه توران ، بأنه قد ظهر فى جبال بدخشان واحد من الفوغا ، فادعى أنه ابن شاه رخ مرزا حاكم بدخشان السابق واللاجئ إلى الهند ، فانضم إليه ملاك

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٥٥ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٥٥ .

أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٧١٢ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٢ .

الأراضى فى تلك الضواحي ، وأرسل إليه عرائض الاستمداد ، ولكنه لم يهتم به فكان مصيره الفشل والإدبار (١) .

تجدد الإشارة الى أن أكبر شاه يؤكّد هذا الأمر فى رسالة أخرى ، كان قد بعثها إلى حاكم خاندیس ، راجى طيخان فى سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢ م) ويقول فيها : انه كان ينوى استرداد بدخشان من سلطة توران وإعادتها إلى مرزا شاه رخ ، ولكن عبد الله خان أزيك بدأ بإرسال البعثين واحدا بعد الآخر ، طارقا أبواب الصداقة وحسن الجوار ، فانصرف عن ما أراد ، ورجع إلى لاهور (٢) .

ويجدد أكبر شاه فى رسالته هذه أيضا اقتراح اللقاء المباشر بينهما ويقول : " لأول مرة تتردد بيننا كلمة الصلح ، فيرغب القلب أن يتم السلام على هيئة تتناسب وشأن الذين رقاهم الله إلى العظمة ، وفى حالة ما سيذكره البعث والرسالة ، فيا حبذا لو عين حضرة العالى مكانا ما ، لنجتمع فيه اجتماعا أخويا مباشرا دون أية وساطة ، فننقح ونوضح المقاصد الدينية والدنيوية والمطالب الصورية والمعنوية " وكذلك ينفى أكبر فى رسالته أن يكون له أية مطامع توسعية فى أراضى توران ويقول : " سمعنا أن هناك بعض من جرت طمس ألسنتهم أقاويل بشأن وجودنا فى حدود پنجاب ، وذكروا فى هذا الصدد

(١) عبد الصمد : مكاتبات غلامى ، ص ٥ - ٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٧١ .

ما يخالف مبادئ الصداقة ، فحاشا أن يظهر خلاف ما نبطن ، وأن نقوم بعمل يخالف التقرير والتحرير ، فعلى الرغم من أن الجو كان لطيفا ومنعشا ، وأن الانشغال بالصيد كان محببا فى هذه الديار ، إلا أننا رأينا أن نتوجه إلى آكره حتى نقطع لسان المتكولين " (١) .

وطى الرغم من هذا التأكيد فان السلطان لم يعد إلى آكره بل بقى فى لاهور حوالى ثلاث سنوات أخرى .

كان عبد المؤمن بن عبد الله خان قد خطب ابنة أكبر شاه دون علم والده فأرسل حاكم توران رسالة إلى أكبر يعتذر عما أقدم عليه ابنه ويضيف أنه بسبب حداثة سنه ، قد هوى أمورا لا تليق به ، فأجابه أكبر فى رسالته هذه بأن المبعوث قد غرق فى الماء (٢) أثناء الطريق وقبل الوصول إليه ، فلم يعرف مضمونه ، كط يبدى تأثيره من وقوع هذه الواقعة ، ثم يؤكد أن روابط القرابة مع ضوابط المحبة الجديدة ، انتظمت والتأمت على شكل لا يمكن أن يتسرب من خلاله غبار على صفاء الصداقة ، ويضيف أن العمود الجليلى والمواثيق الشريفة التى تقررت مرة بعد الأخرى من قبل المبعوثين الخبراء ، مرتسمة

-
- (١) عهد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٦٠ .
(٢) ويذكر فى هذا الصدد أن أكبر شاه قد اطلع قبل هذا على مهمة المبعوث ، فأغرقه فى أثناء الطريق ، ثم يأسف من أن مبعوثه قد غرق . (المصدر نفسه ص ٧ ، الهامش رقم ١) ، وهناك إشارة فى أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٧٤٧) ، يستشم منها بأن أحمد على أتاليغ ومولانا حسين المبعوثين من قبل عبد الله خان قد لقيا مصرعهما بإيعاز من سلطات الدولة ، ولكن السلطان أكبر يؤكد فى رسالته أن الأولى توفى وفاة طبيعية وأن الثانى قد غرق فى الطريق .

ومنقوشة في خطاطره وأن في طريق الإسلام ومذهب الكرام ما يكفي عشرها للإبقاء على
أركان الصداقة والأخوة ، وبين محبى الحقيقة وأصحاب المروءة ، ثم يشير السلطان إلى
مصير مبعوث عبد الله خان السابق قائلا : " لقد اتضح ما حرر أن بعض الحملات
موقوفة بعودة أحمد على أتاليق ، وربما سمعتم أنه قد ودع العالم الفانى ، ولقد
كان رجلا أصيلا واعيا ، فلو قدر أن عاد إلى مجلسكم ، لعلم من لسانه الصدوق ،
كثيرا من أسرار المصادقة وغوامض الموافقة " (١) ويصرح السلطان في رسالته عن
استعداداته لتذليل كل العقبات ، وأنه مستعد لتقديم كل مساعدة تلزمها طبيعة
الصداقة .

كما يشير السلطان بشئ من التفصيل إلى فتوحاته ومصير خصومه ، وكذلك
مروءته في معاملة أعدائه الذين حاربوه ، ومع ذلك لقد صفح عنهم بعد أن انقادوا ،
وإضافة إلى ذلك أبقى الكثيرين منهم في حكم أقاليمهم : " ويذكر أكبر شاه فى
هذا الصدر وكنوع من العرض للقوة ، فتوحاته فى كشمير والسند وكجرات وأوريسا
وبعض المناطق الأخرى ، كما يشير إلى انتصاراته على الأفغانيين والبلوچيين
ويصفهم فى رسالته بقطاع الطرق الذين كانوا يتعرضون لقوافل توران وإيران
وينهبون الناس باسم التمغا ، ولقد استخدم أكبر شاه هذا الأسلوب للرد على
المناورة النفسية الموجودة فى رسالة عبد الله خان ، حيث ذكر فيها تفاصيل
الفتوحات التى قام بها ، ويصرح أكبر شاه أنه اعتبر ذكر هذه الفتوحات من
نتائج حسن النية وفرح بها " (٢)

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٧

(٢) المصدر نفسه : ص ٦ - ١١ .

ومع كل هذه المجاملات والعبارات الودية التي كانت تحملها رسائل الجانيين
، إلا أن أكبر شاه ظل قلقا وحذرا ، فبقى في لاهور ، إلى أن قتل عبد الله خان
بواسطة ابنه عبد المؤمن في سنة ١٠٠٦ هـ (١٥٩٧ م) وجلس على عرشه ذلك
الابن القاتل الذي لم يكتف بقتل والده فحسب بل قتل كبار قواد الدولة
وأمرائها وأعيانها ، ولكن عبد المؤمن من نفسه اغتيل أثناء انشغاله بالصيد ،
وقام أهل سمرقند بنهب خزائنه وأمواله ، وذلك انتهت دولة الشيبانية الأزيكية
من الوجود ، وأصبحت ما وراء النهر في حوزة ملوك الطوائف ، ولما اطلع أكبر شاه
على أنباء الاضطرابات وأعمال الشغب في توران ، أشاره جمع من مستشاريه
وأمرائه بأن يستغل الوضع الجديد ، ويقوم بالهجوم على توران بقصد إخضاعها
وضمها إلى دولته ، ولكن السلطان رجع أن يتوجه إلى دكن في الجنوب ، فترك
لاهور مطمئن البال متوجها إلى عاصمته آكره (١) .

وأما بالنسبة للعلاقات مع إيران ، فإنها قديمة وتاريخية بين التيموريين
والصفويين ، فعندما كان الأمير تيمور في طريق حملته ضد العثمانيين (٢) ، التقى
صدفة مع خواجه علي الصفوي من أجداد الشاه إسماعيل ، الذي دعا له بالظفر
والنصر ، ولما رجع تيمور منتصرا ومعه عدة آلاف من الأسرى ، جاء إلى خواجه علي

-
- (١) محمد شريف : إقبال نامه جهانگیری ، ج ٢ ، ص ٤٥٨ .
أبو الفضل غلامی : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .
عبد المؤمن : أضواء على تاريخ توران ، ص ١٠٣ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧ .
- (٢) كان ذلك في سنة ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ هـ ولقد تقابل الجيشان في معركة أنقره
في يوم الاربعاء السابع عشر من ذي الحجة والتي انتهت بانتصار الأمير
تيمور ، كما وقع السلطان العثماني بما يزيد الأول في أسره .
(ابن عرب شاه : عجائب المقدور في أخبار تيمور ، ص ٤٧٢) .
(إبراهيم أحمد العدوي : التاريخ الإسلامي ، ص ٤٠٢) .
(محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٥١) .

مرة أخرى في أردبيل مقدما إليه الهدايا ، فطلب منه خواجه طي أن يطلق سراح هؤلاء الأسرى ، فأطلق الأمير تيمور سراحهم ، وبعد فترة عظم شأن الصفويين بمساعدة هؤلاء الأسرى الذين أطلق سراحهم بطلب خواجه طي إلى أن أصبح إسماعيل الصفوي حاكما بعدد هم في سنة ٩٠٧ هـ (١٥٠٢ م) (١) . كما استنجد بابر شاه جد السلطان أكبر بشاه إسماعيل الصفوي في نزاعه ضد الأتراك الذين طردوه من أملاك آبائه في فرغانة وسمرقند ، بعد أن سبقهم في ذلك عمه وخاله ، ولقد لبى شاه إسماعيل طلبه وأعد في سنة ٩١٦ هـ (١٥١١ م) بجيش صفوي استطاع به أن يفتح سمرقند للمرة الثالثة ولكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بها ، حيث طرده الأتراك من ما وراء النهر نهائيا (٢) .

كذلك لجأ همايون والد أكبر شاه إلى شاه طهماسب الصفوي حاكم إيران (٩٣٢ - ٩٨٤ هـ / ١٥٢٤ - ١٥٧٦ م) ، بعد أن خذله إخوته فطرده شير شاه سور من حكم الهند ، وتمكن همايون أن يعيد تنظيم قواته في إيران وبدأ استرداد أملاكه شيئا فشيئا إلى أن عاد إلى عرش الهند للمرة الثانية (٣) ، ليسلمه إلى ابنه الصغير أكبر بعد قرابة ثلاثة شهور (٩٦٣ / ١٥٥٦ م

-
- (١) عبد الصمد : مكتوبات علامي ، ص ٧٠ ، الهاشمرقم ٥٣ .
 محمد عبد القادر : أويماق مغل ، ص ٧٦٧ - ٧٦٨ .
 عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٢١٨ .
- (٢) عبد الحى حبيبي : ظهير الدين محمد بابر شاه ، ص ١٨ - ١٩ .
 أرمنيوس قاميري : تاريخ بخارى ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٩ .
 عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٢٢٩ - ٢٣٢ .
- (٣) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .

وعند ما كان همايون في إيران قال له شاه طهماسب : إنه بعد أن أخرج
بابر شاه حكم الهند من تصرف الأفغانيين ، كان يستحسن في مثل ذلك
البلد ، قيام مصاهرة وانتساب مع كبار ملاك أراضيها ، وعندئذ لأصبحوا مدينين
ومعاونين أثناء التفرقة ، ولم يكن يحدث هناك اختلال في السلطنة ، ولما
تولى همايون عرش الهند للمرة الثانية ، كان يتذكر في خاطره هذا المطلب ،
ولكن لم يتيسر له حصوله ، وعند ما تولى أكبر شاه الحكم ، اهتم بحصول ذلك
المأمول اهتماما بالغاً وذهب في تطبيقه إلى أبعد الحدود (١) .

كانت علاقات السلطان أكبر بالشاه طهماسب ، علاقات ود واحترام ،
وتعاون ، ولقد قام (٢) بها درخان شقيق خان زمان بالهجوم على قندهار ،
فاستعان حاكمها شاه محمد قلاتي الذي كان يتولى أمورها من قبل بيرم خان ،
بشاه إيران لمحاربة بهادرخان ، مقابل أن يتنازل له عن قندهار وفق ما وعده
همايون والد أكبر ، ولكن قلاتي لم يف بوعده ، فأرسل حاكم إيران ابن أخيه
سلطان حسين مرزا للاستيلاء على قندهار ، وقد أقام المذكور حصاراً حول
قلعتها ، ودام الحصار دون أن يحصل سلطان مرزا على شيء ، وأخبر قلاتي
السلطان أكبر عن تطور الأمور ، فأصدر أوامره إليه ، بأن أباه همايون كان
يقول : إننا إذا انتهينا من فتح هندوستان ، فسوف نترك قندهار للشاه ،

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٢٣

(٢) كان هذان الاخوان من الذين تمردوا على حكم السلطان ، كما رأينا

في الفصل الأول .

كما عاتب السلطان واليه على قندهار من أنه حارب الصفويين وتسبب في تقاسم الوضع إلى هذا الحد ، وأمره أن يسلم القطعة إلى رجال الشاه ، وأن يقدم لهم الاعتذار ثم يعود إلى آكره (١) .

كذلك أراد شاه طهماسب أن تكون علاقاته مع سلطان الهند ، علاقات متينة وعمل على تجديد استحكام الروابط القديمة بين الأسرتين ، وبعد جلوس السلطان أكبر على عرش الهند ، أرسل شاه إيران ابن عمه سيد بيگ ، مبعوثا خاصا منه إلى أكبر ، ليقدم له تهنئه بمناسبة جلوسه على العرش ، وذلك في سنة ٩٦٩ هـ (١٥٦١ م) ، حاملا معه التحف والهدايا الكثيرة ، ولما وصل سيد بيگ إلى آكره ، كان في استقباله عدد من كبار أمراء السلطان الذين رافقوه بالترحيب والتكريم ، ومكث مبعوث شاه إيران الخاص في آكره لمدة شهرين ، ثم أنعم له بمبلغ سبعمائة ألف تنكة والحصان والخلع الخاصة ، وعاد إلى بلاده حاملا معه تحفا وهدايا كثيرة (٢) .

بعد وفاة شاه طهماسب الصفوى ٩٨٤ هـ (١٥٧٦ م) وإلى أن تولى الشاه عباس عرش إيران ٩٩٥ هـ - ١٠٣٧ هـ (١٥٨٧ - ١٦٢٨ م) لا تذكر المصادر شيئا عن تبادل الرسائل أو المبعوثين بين الدولتين ، وقد ترجع ذلك إلى الاضطرابات والتنازع على السلطة بين أفراد الأسرة الصفوية ، والذي حدث بعد وفاة طهماسب إن تذكر مصادر (٣) البلاط وفاة شاه طهماسب وقتل السلطان حيدر الذي خلفه

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٧ .

عبد القادر بيدايونى : منتخب التواريخ ، ص ١٤٨ .

(٣) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٩٢ .

في نفس السنة ثم تولى ابنه الآخر العرش وهو إسماعيل الذي لم تصل مدة حكمه إلى عامين (١) ، وبعد تولى الشاه عباس عرش الصفويين ٩٩٥ هـ (١٥٨٧ م) ، بدأ تبادل المبعوثين بين الجانبين من جديد ، ففي عام ٩٩٩ هـ (١٥٩٠ م) ، أرسل شاه عباس مبعوثه مرشد تبريزي إلى أكبر شاه يستنجد به في حروبه مع الأتراك في خراسان ، ولكن أكبر شاه أبدى عدم رضاه ما أقدم إليه الشاه — عباس وهو إبعاد والده محمد خدا بند ٩٨٥ هـ - ٩٩٥ هـ (١٥٧٨ - ١٥٨٧ م) عن العرش ، وجلوسه هو محله ، وأعرب أنه لا يمكن أن يساعد من يعامل سيده بهذا الأسلوب ، فعاد المبعوث إلى إيران صفرالدين ، ولكن الشاه عباس أسرع بإرسال مبعوث آخر إليه ، وهو يادگار سلطان ، الذي وصل إلى بلاط أكبر شاه حاملاً إليه رسالة ودية من عاهله ، ولقد جدد الشاه عباس في رسالته هذه طلبه من أكبر شاه ، وهو أن يساعد في استرداد خراسان من أيدي الأتراك حكام ما وراء النهر ، ولقد استشار أكبر كبار أمراءه في كيفية التعامل مع الحاح عاهل إيران في هذا الأمر ، وأبدى البعض رأيه بأن يبادر السلطان بإرسال أحد أبنائه على رأس جيش إلى خراسان ، ليساعد وإيران في طرد الأتراك واسترداد خراسان من أيديهم ، كما عارض هذا الرأي البعض الآخر ، ولقد رجح السلطان الرأي الأخير ، بدليل أن حاكم توران عبد الله خان والسوق في إرسال مبعوثيه طارقاً أبواب الصداقة ونسبة القرابة (١) ، وتقرر أن يتخذ موقفاً محايداً بين الجانبين ، فاعتذر عن تلبية طلب الشاه عباس كما اعتذر قبل ذلك عن تلبية مثل هذا الطلب من عبد الله خان أريك الذي كان يريد هو الآخر

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٦١٢-٦١٣
عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٥٥

مشاركة سلطان الهند في هجومه ضد إيران ، ولكن أكبر شاه رحب في هذه المرة
ببعوث الشاه عباس وودعه حسب العادة المتبعة بين الدولتين في مثل هذه
الحالات ، وهو أن يبادر سلطان الدولة بتوديع البعثين ثم يتبعه بإرسال
بعوثه الشخصي ليحمل إلى الجانب الآخر رسالته وهداياها ، وكان هذا الإجراء
دليلاً لإبداء حسن النية والرغبة في إيجاد العلاقات الحسنة ، فأرسل أكبر شاه
في سنة ١٠٠٢ هـ (١٥٩٣ م) ضياء الطك مبعوثاً من قبله إلى الشاه عباس
حاملًا رسالته الجوابية إليه كما أرسل معه أبا ناصر ، ليكون مشرفاً على نقل
الهدايا والتحف وتقديمها إلى شاه إيران (١) .

ولقد ذكر السلطان أكبر في رسالته هذه إلى الشاه عباس بأنه قد استلم
رسالته الودية والتي أرسلت برفقه يادگار سلطان حسين شامو ، ويذكر السلطان
العلة لتوقف إرسال الرسائل بأنها مشاغبة الداخلية والحروب والفتوحات (٢) .
هذا ويذكر في هذا الصدد أعماله وفتوحاته في الهند وانتصاراته على
خصومه ، ثم يصرح بالواقع فيضيف أن الأصل في توقف المراسلة بعد وفاة
طهماسب ، هو عدم انضباط الأحوال في إيران ، وحدثت الاضطرابات في تلك
الديار ، ((وفي هذا الوقت الذي وصل فيه البعث حامل الرسالة الحميدة
عرف أن ذلك الاختلال قد خف ، ولا شك أن خاطرنا القلق اطمأن لسماع
هذه الأنباء المطمئنة)) (٣) .

-
- (١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٨٤ - ١٩٥ .
(٢) يلاحظ أن أكبر شاه ذكر في عتابه لعبد الله خان ، أنه هاشم من أن تكون
المعارك والمشغل الداخلية سبباً في انقطاع تبادل الرسائل .
(٣) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٢٨٠ .

ويذكر أكبر شاه أن مطلق السؤال عن الأوضاع وفي مثل تلك الظروف ، بعيد عن المروءة والفتوة ، بل كان عليه أن يلبي أى طلب للمساعدة والإمداد ، ولكن قضية قندهار حالت بينه وبين ما كان يريد عمله ، لأن المرزوات وهم ممن أفراد الأسرة الصفوية قد تكاسلوا في المحافظة على قندهار ، وفي نفس الوقت لا يقومون بمعاوضة الشاه عباس ، فكان عليه أن يسلم أمور قندهار إلى رجاله ، وبعد وصول عساكره إلى قندهار سيكون من السهل تلبية أى إمداد أو معاوضة ، ولكن إرسال الجيوش قبل الاستفسار ربما كان يعنى في نظر العوام عدم الترابسط بين الجانبين ، فانصرف عن هذا القصد .

ويؤكد السلطان على هذا الموضوع في رسالته التي كان قد بعثها إلى راجى طيخان حاكم خاندريس في سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢ م) ، إذ يشير فيها ، بأن استخلاص قندهار كان في مكنون خاطره ، ولكن الشاه عباس ، نظراً إلى روابط الصداقة السابقة فبادر بإرسال مبعوثيه مع الرسائل الودية والهدايا النفيسة ، طالبا المدد والمساعدة ، فرأى أن في هذا الوقت الذى يواجه فيه الشاه عباس المشاكل الداخلية والخارجية ، لا تقتضى مروءته أن تعبر عساكره إلى تلك النواحي ، فترك قندهار إلى المرزوات الذين ينتسبون إلى الأسرة الصفوية .

في محرم من سنة ١٠٠٢ هـ (١٥٩٣ م) لجأ مرزا رستم بن سلطان حسين مرزا ابن بهرام مرزا ابن الشاه اسماعيل الصفوى ، حاكم قندهار إلى

أكبر شاه ، ومعه إخوته وأبنائوه وعياله ، ولما وصلوا إلى ضفة نهر چناب فسي
پنجاب استقبلوا من قبل كبار أمراء أكبر من أمثال خان خانان عبدالرحيم
خان ، وزير خان كوكه وغيرهما ، ولقد استقبله السلطان بنفسه أيضا فأنعم
عليه ، وعينه قائدا على وحدة مكونة من خمسة آلاف جندي ، كما أقطع له
في ملتان وهي أكبر بكثير من قندهار ، وبالمقابل سلم مرزا رستم ، قندهار
إلى رجال أكبر شاه ، ولقد أشار السلطان في رسالته إلى الشاه عباس
لهذه التطورات ، وبذلك تمكن من استرداد قندهار ، بمهارة سياسية فائقة
أبقت على العلاقات الودية بينه وبين جارته إيران . (١)

ويذكر أكبر شاه في رسالته إلى الشاه عباس الصفوي حاكم إيران ، بأن
في دستور السلطنة وفي نهج المروءة ، يقدم الاتفاق على الاختلاف ويكون
الصلح أصلح من الحرب ، وأنه لا يضع في عين الاعتبار اختلاف المذاهب
واختلاف المشارب في تعامله مع السائرين ، بل يرى أن طبقات الأنعام
كلهم عباد الله ، وطلبه السعي لانتظام أحوالهم وفق ما " تقتضيه العناية
العظمى " (٢) .

-
- (١) عبدالصمد : مكاتبات علامي ، ص ٢٩ ، ٥٧٠ .
نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٣٧٩ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .
أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ،
ج ٢ ، ص ٩٧ .
(٢) عبدالصمد : مكاتبات علامي ، ص ٢٩ .

ويشير السلطان في رسالته إلى علاقاته مع الأزابكة حكام ما وراء النهر ، ويؤكد أنه عند ما ترك عاصمته متوجهاً إلى پنجاب ، كان عازماً أن يسير الحملات إلى ما وراء النهر ، لجعلها تحت تصرف أولياء دولته ، وفي نفس الوقت يكون قد قدم مساعدة للبيت الصفوي ، كما يشير السلطان إلى بلاد ما وراء النهر بأنها ملكه الوراثةي ، ثم يضيف أن عبد الله خان ، بادريارسال الرئاسي للودية التي تذكر بالقرابة السابقة ، وتمهد للمحبة اللاحقة ورفقة المبعوثين الخبراء ، فأصبح محركاً لسلسلة الصلح والصلاح ، ومؤسساً لمبادئ السود والوفاق «ولأن الحرب مع الذي يطرق باب الصلح ، غير محمود في الشريعة الفراء أبعدنا ذلك التفكير عن خاطرنا » (١)

ويشير أكبر شاه في رسالته تلك أيضاً ، إلى الاضطرابات في إيران ، كما يقدم نصائحه إلى الشاه عباس الصفوي ، فيبدي دهشته من أنه لا يسمع من القاديين من إيران ، ما يفيد عن تدارك الأوضاع المتوترة هناك ، كما يصرح بأنه مهتم بكل مطلب ومقصد منه ، ويطلب منه أن يسلك طريق المراسلة ويبلغه بحقائق الأحوال اليومية في بلاده ، ثم ينبهه إلى أن العلماء الخبراء قد قسلى وجودهم في إيران ، فعليه أن يبذل جهداً بليغاً في انتظام الملك والقيام بأحوال جمهور الأنام ، وأن يراعى في كل أمر الحزم والتأمل ، وأن يتحمل ويفضى عن زلات الملازمين القدامى والجدد ، وأن يقدم أرباب الإخلاص ، ويصقل أرباب النفاق ، وأن يحتاط كثيراً في قتل الآدميين * وهدم البنيان

الريانى " «وما أكثر الأصدقاء الذين أبعدوا عن بساط القرب بحيل ممن الأعداء قلبوا داعى الأجل ، وما أكثر الأعداء الذين لبسوا ثوب الصداقة والولاء والإخلاص ، ثم غلوا على هدم الدولة من الأساس " فعليه أن يبذل المزيد من المراقبة لضائرها هؤلاء الناس وسرائرهم ، وأن ينظر إلى طبقات الأنام بنظرة الإشفاق ، وأن يسعى لتأليف القلوب ، وذلك يكون قد اطمأن ممن تدعيم دولته ، وطمأنه أيضا أن يعتبر الرحمة الإلهية شاملة لجميع الملوك والنحل ، وأن يحاول جاهدا الدخول فى "صلح كسل" (١) الذى هو "منتزه دائم الربيع" وليعلم أن الله جعل طائفة السلاطين لانتظام العالم وحراسة جمهور الأنام ، وليحافظوا على أعراضهم ونواويسهم ، وليعلم أيضا أن الإنسان لا يعتمد الخطأ فى أمور دنياء وهى فانية وغير باقية ، فكيف يمكن أن يتساهل فى أمور الدين والمذهب وهى باقية ومستدامة ، فلا تخلو حال كل طائفة من أمرين : فإما أن يكون الحق معه فليس للمستترشدين المنصفين إلا تبعيته ، وإما أن يكون خاطئا فى اختيار منهج معين ، فهو معذور بجهالة وقابل للترحم والشفقة ، ولا يليق فى هذه الحالة الإشارة عليه وتعزيزه . ويستمر السلطان أكبر فى تقديم نصائحه إلى الشاه عباس ويوجهه بأن عليه الاهتمام فى باب الصبر والتحمل ، لأن من ميامنه سعة الصلوة والمعنى وفسحة العمر والدولة ، ومن نتائجه أن لا يضرب الأصدقاء بشبه الأعداء ، أثناء ضيق الفرص واستيلاء الغضب ، وطمأنه أن لا يبقى مكانا

(١) صلح كسل : الصلح مع الجميع .

لخداع الأعداء المتبسين بثوب الأصدقاء ، وليسع في الحفاظ على الوعد والعهد . لأنه عماد الحكم ، وليكن الصبر والتحمل صاحبين دائمين لأن أساس الدولة الثابتة يتطوى عليهما . (١)

وفي ختام رسالته يذكر الشاه عباس بأن يعتبر البيت الحاكم في الهند ، بيته هو ، وأن يسلك خلاف ما كان في الأيام الماضية ، وأن يعتبر الاستمرار في إرسال الرسائل والرسائل وهي اللقاء الروحاني والمجالسة المعنوية ، من شمائل الأخوة والوحدة ، ثم يختتم رسالته بالدعاء له فيقول : " حفظك الله من مكاره آخر الزمان ومكائده ، ويؤيدك بتأييدات غيبية ، وأنت نقاوة بيت الاصطفاء والارتضاء ، وخلاصة آل الاجتباء والاعتلاء " (٢)

(١) عيد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٣٠ - ٣٢ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٣ .

وأما بالنسبة لعلاقات الدولة المغلية في عصر أكبر ، بالدولة العثمانية أكبر الدول الإسلامية في ذلك الوقت ، فلا تزودنا المصادر المتوفرة لدينا بأي توضيح أو شرح ، ولا تشير إلى أنه قد تم بين الجانبين تبادل الرسائل أو السفراء ، إلا أن السلطان أكبر ، أرسل خطابا إلى أحد رجالات الكبار في مكة المكرمة وهو أعظم خان كوكلتاش أخوه من الرضاة ، والذي كان حاكما على كجرات المطلة على الساحل الغربي لدولته ، وكان قد استدعى من قبل السلطان إلى العاصمة ، إلا أنه رفض الذهاب إليها ، وأخذ أهله وعياله في سفينة ولجأ إلى الحجاز ، دون إذن من أكبر ، فأرسل السلطان إليه رسالة بصحبة أحد رجالاته ، يذكره فيها بقبح ما فعل ويدعوه أن يعود إليه واعداراياه بالعطف والعفو ، ويشير السلطان في هذه الرسالة ، أنه كان يفكر دائما إرسال أحد مبعوثيه الخبراء إلى سلطان الروم (١) ، لتحكيم مبادئ المحبة بين الجانبين ، والآن فقد أصبح جازما أن يرسل أحد إليه ، أو يرسل هذا الذي يحمل خطابه إلى مرزا عزيز كوكه (٢) ، فعلى الرغم من أن هذا الخطاب يشير إلى تفكير أكبر شاه بإقامة علاقات ودية مع العثمانيين إلا أنه يبدو بأن ذكر هذا الموضوع في الرسالة الموجهة إلى حاكم كجرات الهارب إلى الحجاز ، كان تخويفا له أكثر من أن تشير إلى عزم السلطان على إقامة مثل هذه العلاقات ، لأن الحجاز في ذلك الوقت كانت في حوزة

(١) يقصد السلطان العثماني .

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٥٧ .

العثمانيين ، فيخوف أكبر شاه أخاه من الرضاة والهارب إلى الحجاز ، بأنه لو لم يعد إليه طواعية ، فسوف يعيده مضطرا ، وذلك باستعانة من السلطات العثمانية في الحجاز ، وهناك إشارة أيضا بأن موانئ البنغال والسند فسو عهد أكبر اشتهرت ببناء السفن ، وبلغت تلك الموانئ بهذه الصناعة حدا من الاتقان ، جعل سلطان العثمانيين أن يصنع سفنه هناك (١) ، وفيما عدا هذه الإشارات ليس هناك ما يبرهن على وجود العلاقات الحسنة بين هاتين الدولتين الإسلاميتين ، بل هناك ما يشير إلى أن السلطان أكبر كان مؤيدا للصفيين في نزاعهم مع العثمانيين ، ففي الرسالة التي بعثها أكبر إلى سلطان الأزك في ما وراء النهر والموالي للعثمانيين ، يصرح بأنه كان ينوى تطهير طريق الزائر والتاجر من أشقياء الإفرنج الذين جاؤوا إلى المحيط الهندي ، ويقومون بأعمال الفتنه والفساد ، وخاصة أنهم يقومون بإيذاء زائري الحرمين الشريفين ، ولكن يسمع أن غوغاء قزلباش (٢) قد انحرفوا عن جادة الإخلاص والولاء مع واليهم ، فيرى أن يرسل أحد أبنائه لمعاذته

عن جادة الإخلاص والولاء مع واليهم ، فيرى أن يرسل أحد أبنائه لمعاذته

(١) ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٥٧ .

(٢) قزلباش : إن هذه الكلمة لا تدل على قبيلة ، ولا توجد في القبائل المغولية قبيلة بهذا الاسم ، ولقد أُطلقت هذه الكلمة على أنصار الصفيين وأتباعهم منذ زمن السلطان حيدر والد الشاه اسماعيل الصفوي ، حيث لبس قلنسوة حمراء وقلده في ذلك أتباع الأسرة الصفوية ، فشاعت تسميتهم بقزلباش أي أصحاب الرؤوس الحمراء .

(محمد عبد القادر : أويماق مغل ، ص ٧٦٧) .

ولكن بعد أن سمع بأن سلطان الروم قد نقض العهد (١) والمواثيق التي كانت بين الجانبين ، واستغل الأزمات الموجودة في إيران ، وأرسل ضد الصفويين الأفواج على دفعات (٢) فيلزم عليه التوجه إلى هناك بنفسه والقيام بمساعدتهم وذلك بالنظر إلى انتسابهم إلى بيت النبوة حسب رأى أكبر ورعاية لحقوق الأسلاف السابقة ، ويغض النظر عن انحرافهم عن طريق السنة والجماعة (٣) وعلى الرغم من أن مساعدة من هذا النوع لم تتم ، إلا أن عبارات الرسالة ، تدل صراحة على تعاطف السلطان أكبر مع الصفويين في نزاعهم ضد العثمانيين .

وبالنسبة للحجاز إحدى الأقاليم العثمانية ، فقد كانت هناك اتصالات بين السلطان أكبر وبين أشرف مكة المكرمة ، وكان السلطان يرسل في كل سنة

(١) في شهر مايو سنة ١٥٥٥ م تم التوقيع على الصلح الرسمي بين السلطان سليمان القانوني وبين الشاه طهاسب الصفوي ، احتفظ العثمانيون بموجبه بالعراق ، وتخلوا عن مطالبهم في تبريز وبعض المناطق الأخرى ، (جلال يحيى : العالم الإسلامي ، ص ٣٩٥) .

(٢) سيرت هذه الحملات في زمن السلطان العثماني مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) الذي استجاب لمشورة بعض كبار المسؤولين في استانبول ، فقامت بين العثمانيين والصفويين حروب بين سنتي ١٥٧٩ و ١٥٨٨ ، انتهت بعقد صلح بين الجانبين في سنة ١٥٩٠ تنازل بموجبه الشاه عباس للعثمانيين عن تبريز ، وبعض المناطق الأخرى .

(جلال يحيى : العالم الإسلامي ، ص ٤٥١ - ٤٥٥) .

(٣) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ١٥ ، ٢٣ .

أحد الشخصيات الكبار في مقصب أمير الحج ، كما كان يسلم إليه مساعدات نقدية وعينية لتوزيعها على المحتاجين في مكة المكرمة ، كما كان يرسل تحفا وهدايا إلى الأشراف . (١)

ولقد أرسل السلطان رسالة مطولة إلى أشراف مكة المكرمة ، أشار فيها إلى الأعمال التي قام بها في الهند ، وبدأ رسالته هذه بالحمد لله سبحانه وتعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر أن كل هم أن تكون طوائف الأنام من الخواص والغوام مرفهى الحال ومشرعى البال ، يواظبون في أداء مراسم العبادة ، ولا تمد إليهم بوجه من الوجوه أيدي التسلط والتعدي ، وأن يتلذذ الجميع وقدر ميسور من مواعيد النعم الوافرة التي فوضه الله لتوزيعها ، سيما إلى سكان خير البلاد ومتوطنى أحسن البقاع ، فلقد تقرر أن يعين في كل سنة واحدا من ملازمى البلاط المتصف بمزيد من حسن الظن ، على منصب أمير الحج ، وترسل معه الإعامات من النقود وغيرها .

ويضيف أكبر في رسالته إلى أشراف مكة المكرمة ، بأن انشغاله بإخماد تمرد أخيه مرزا محمد حكيم حاكم كابل في سنة تسع وثمانين وتسعمائة ، تسبب في عدم إرسال الإعامات في هذه السنة ، ويبدى أمله أن لا يتكرر ذلك مرة أخرى ، كما يشير أكبر إلى أنه قد عفا عن أخيه وأعادته مجددا إلى حكم كابل شريطة أن يبذل جهوده في إحياء مراسم الشريعة الفراء ، ويجد في ترفيه عباد الله ، ثم يضيف بأنه قد أرسل برفقه كل من الشيخ عبد النبى

ومخدوم الملك وحكيم الملك ، مبالغ سوى المبلغ المرقوم ، لتوزيعها على الشرفاء العظام والقضاة الكرام وبعض الوجهاء والمعارف ، بالسروالكتان ودون مشاركة أحد ، ويأمل السلطان أن يكتب له تقرير عن تفصيل ذلك المبلغ بالكيفية التي سيوصله المشار إليهم ، مختما بختم الشرفاء والقضاة . (١)

ويشير أكبر شاه في رسالته أيضا ، قضية (٢) أحد أنصاره الذي أودى في الحجاز ، وهو الشيخ معين الدين محمد هاشمي شيرازي ، ويضيف إلى أن بعضا من الأشرار ودافع من البغض والعداوة والحسد ، نسبوا إليه تهمة لا أساس لها من الصحة ، وهي أنه قد كتب في الرسالة التي ألفها باسم السلطان ، ما يخالف الشرع ، ثم يضيف بأن هذا الأمر محض افتراء وبهتان " نعوذ بالله من شرور أنفسهم " ، ويؤكد أنه لم يسمع من المشار إليه أصلا وقطعا ما يخالف المعقول والمنقول ، ولم يعرف عنه إلا الصلاح

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٣٤ - ٣٦ .

نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٢) لقد صنف المذكور رسالة في التعريف بأكبر شاه ، يقال أنه أشار فيها بطريقة ضمنية إلى الإلهامات وإثبات النبوة للشاه الممدوح ، فعندما علم الناس بهذا الأمر ، قاموا بإيذاء الشيخ المذكور ، فكتب أكبر لشرفاء مكة المكرمة ينفي التهمة الموجهة إلى الشيخ ويعتبرها كذبا فادحا .

(المصدر نفسه : ص ٣٦ ، الهامش ٥) .

والتقوى واتباع شريعة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، ويطلب أكبر
شاه في رسالته من شرفاء مكة ، أن يقوموا بتأديب من يسميهم الأشـرار
والحسدة ، وأن يقوموا برفع الإيذاء عن الشيخ المذكور ، ويتعجب السلطان
من الذين أصفوا إلى هذه التهم " التي لا يصندقها البله والصبيان "
كما يطلب أن يطرد هؤلاء من الأمانة الشريفة وأن لا يسمح لهم بدخولها
ثانية . (١)

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٣٦ - ٣٧ .

وكذلك كانت هناك اتصالات بين دولة السلطان أكبر والدويلات المجاورة لها ، ومن هذه الاتصالات ، الرسالة التي بعثها أكبر شاه إلى حاكم كاشغر بعد فتح كشمير التي تجاورها ، ويذكر السلطان في هذه الرسالة بعد الحمد لله ، أن الله سبحانه وتعالى جعل سلاطين العصر وأصحاب عروش الزمان ، يحركون له سلسلة المصادقة والحدوية ، ثم يطلب من حاكم كاشغر أن يفرح خاطره بإرسال الرسل والرسائل ، خاصة أن كشمير أصبحت في تصرف أولياء دولته ، ويشير في رسالته أيضا إلى الجوار وقرب المسافة بينهما ، ويعرب عن أمله أن يفتح حاكم كاشغر طريق الصفة والمحبة ، وأن يطلب من نفائس هندوستان ما يرغب فيه بدون أى تكلف (١) وأن يعتبر أكبر عوناً له .

وكذلك يشير السلطان في رسالته إلى وصول شاه محمد مبعوث حاكم كاشغر إليه وأنه كرمه وأحسن استقباله ثم ودعه ، كما يضيف أنه أرسل إلى حاكم كاشغر مبعوثاً من قبله وهو معتمد الخواص إبراهيم ، ليتحدث معه بالمشافهة ، كما ذكر أن أحد التجار يرافق المبعوث المذكور ، وهو فتاحا الذى يقوم بالرحلات المتعددة في أنحاء العالم ثم يعود إلى السلطان ، كما يستفسر السلطان في رسالته عن وجود مشاهير الفنانين والحرفيين والصناعيين في كاشغر (٢) .

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٣٣ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٤ .

ولقد أطلق استيلاء السلطان على كشمير ، حاكم تبت ، فيادر أكبر شاه
في سنة ٩٩٧ هـ (١٥٨٩ م) بإرسال مرزا بيگ وملا طالب أصفهاني معوثين
إليه ، حتى يقوموا بطمأنته وإزالة قلقه . (١)

كما كانت هناك علاقات وتبادل الرسائل والرسائل بين السلطان وحكام
دكن في الجنوب ، كما رأينا في الفصل الثاني من البحث .

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٥٨٠ .

وأما بالنسبة للبرتغاليين فإنهم نزلوا أول ما نزلوا في ساحل مليبار الواقع في الجنوب الغربي لشبه القارة الهندية ، وذلك في بداية القرن العاشر للهجرة النبوية الشريفة الموافق للقرن السادس عشر الميلادي ، وعلى الرغم من أن حكام مليبار لم يكونوا مسلمين إلا أنهم كانوا متسامحين ومتعاطفين مع المسلمين الذين جاؤوا من مناطق مختلفة وخاصة من البلدان العربية وتوطنوا هناك وقاموا بأعمال التجارة ، حتى أن اليهود والنصارى الذين كانوا موجودين في مليبار ، أصبحوا يحسدون هؤلاء المسلمين ، نظرا لنشاطهم الديني والتجاري من جهة ، ونظرا لقربهم إلى حكام مليبار من جهة ثانية ، وأخذوا يعادون المسلمين ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يعطوا شيئا ما ، إذ أصبحت ممالك دكن وكجرات المجاورة تابعة لسلطين دهلوى ، وقوى شأن الإسلام في دكن ، فأصبح حكامها سندا للمسلمين الطلياريين ، مما جعل اليهود والنصارى يختارون الصمت وعدم اظهار المعاداة ، الى أن دخل القرن العاشر الهجرى ووصل البرتغاليون الى المحيط الهندي ونزلوا في سواحل مليبار (١) وبدأوا في إقامة القلاع في السواحل الهندية ، ولقد قارنت هذه التطورات ضعف السلطنة البهمنية المسلمة في دكن ، ثم زوالها من الوجود لتحل محلها خمس إمارات إسلامية .

(١) فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .
أرنولد ويلسون : الخليج العربي ، ص ٢٠٣ .
سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .
محمد فؤاد شكرى ومحمد أنيس : أوربا في العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٧٧ .

فى سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٨ م) وصلت أربع سفن برتغالية إلى كالى كوت
فى ساحل مليار ، واستطلع ملاحوها الأوضاع ثم رحلوا . وبعد سنتين منها
وصلت ست سفن برتغالية إلى كالى كوت، وطلبوا من الطياريين بأن لا يسمحوا
بسفر المسلمين إلى البلدان العربية ، لأن المعاملة مع البرتغاليين ستكون
أكثر نفعا لهم . وطى الرغم من أن السامرى حاكم مليار لم يستجب لهذا
الطلب ، إلا أن النصارى بدأوا يتعدون على المسلمين ، مما أغضب
السامرى ، فأمر بأن تدبر ضد هم مذبة عامة ، فقام الطياريون بنهب
أموالهم ، كما قتل حوالى سبعون نفرا من الإفرنج ، وركب الناجون السفن
هاربين إلى ميناء كوجى الواقع فى الجنوب من كالى كوت ، حيث كان حاكمها
فى نزاع وعداء مع السامرى ، فأذن للبرتغاليين بأن يقيموا قلعة قرب كوجى
ويختاروا التوطن فيها ، فطار البرتغاليون فرحا من هذه الفرصة السانحة
وأقاموا القلعة فى خلال فترة وجيزة (١) ، كما هدموا المسجد الذى كان بجوار
الساحل وأقاموا على أنقاضه كنيسة ، وكانت هذه أول قلعة بناها الإفرنج
فى الديار الهندية ، ثم سمح لهم بأن يقوموا ببناء قلعة فى ميناء كنور الواقع
فى الشمال من كالى كوت ، فبدأوا بتجارة الفلفل والزنجبيل ، ومنعوا الآخرين

(١) زين الدين الطياري : تحفة المجاهدين ، ق ١٣ بدق ١٤ أ-

محمد قاسم قرشته : تاريخ قرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

محمد فؤاد شكرى ومحمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٧٨
أنور الجندى : العالم الإسلامى والاستعمار السياسى والاجتماعى
والثقافى ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

بد الدين عباس الخصوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى ، ج ١

ص ١٣ .

عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوربية ، ص ٣٦٩ .

من القيام بهذه التجارة . (١)

لم يتحمل السامري تواطؤ جيرانه وتعاونهم مع البرتغاليين ، فهاجم كوجي وقتل حاكمها ، إلا أن ورثته قاموا مقامه ، وأعادوا النظام في ولايتهم ولقد جهز السامري قواته وهاجم المتواطئين ثلاث مرات أخرى ، إلا أن البرتغاليين كانوا يقومون بإمداد الكوجيين ، فلم يترتب على هذه الحملات الهدف المطلوب وهو الاستيلاء على كوجي ثم طرد البرتغاليين منها ، لأن قوة المدفعية البرتغالية كانت تحول أمام دخول كوجي ، فبادر السامري بإرسال بعثته إلى سلاطين مصر ووجهه ودكن وكجرات ، يبلغهم بأن أعداء الإفرنج على بلاده قد تجاوزت حدها ، وعلى الرغم من هذا فإن أكثر ما يقلقه هو مصير المسلمين المقيمين والمتوطنين في هذه البلاد ، وأنه يعتبر الدفاع عنهم من واجبه ولا يقصر في هذا السبيل من صرف الخزائن والدفاع ، ولكن حاكم البرتغال معروف بكثرة خزائنه ، فيوالى إرسال السفن المشحونة بالمقاتلين الأشداء ، دون أن يصيبه ضعف من ضياع أفرادهم ، فمن هنا أحتاج لمساعدة سلاطين الإسلام ، وأطلب تيسير السفن المشحونة بالمقاتلين الشجعان الأقوياء لنقوم بقهر أعداء الإسلام . (٢)

استجاب سلطان مصر قانصوه الغوري بطلب حاكم مليار ، فأرسل

(١) زين الدين الطياري : تحفة المجاهدين ، ق ١٤ - ق ١٤ ب .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

(٢) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٣٧١ .

زين الدين الطياري : تحفة المجاهدين ، ق ١٥ - ق ١٦ أ .

إلى الساحل الهندى ثلاث عشرة سفينة مشحونة بالمقاتلين والأسلحة وطسسى رأسها الأمير حسين ، كما باد رشاء محمود شاه گجراتى حاكم گجرات بتجهيز قواته وإعدادها لقتال الإفرنج ، ووصلت السفن المصرية إلى ديو ، ومن هناك اتجهت مع السفن گجراتية إلى ميناء چپول ، حيث كان محل اجتماع الإفرنج ، وانضم اليهم أيضا أربعون سفينة من السامرى حاكم ملييار وعدة سفن من حكام گووة ودابل ، ثم خططوا للمواجهة مع الإفرنج ، واستولوا على سفينة منهم ، فعادوا إلى ديو ، ولكن الإفرنج باغتهم فى ديو ، فاضطر ملك إياز حاكم ديو والأمير حسين قائد القوات المصرية إلى محاربتهم انتهت باستيلاء الإفرنج على عدد من السفن المصرية واستشهاد الكثير من المسلمين (١) ، فعاد الإفرنج إلى موانئهم واستغلوا غياب السامرى فهاجموا كالى كوت فى يوم الخميس الثانى والعشرين من سنة ٩١٥ هـ (١٥٠٩ م) وأحرقوا جامعها ، وقاموا بأعمال النهب والتخريب وفى اليوم التالى قام الملياريون ضد هم بالهجوم وقتلوا حوالى خمسمائة شخص منهم ، كما غرق الكثير منهم فى البحر وهرب الباقون إلى ميناء كولم الواقع على سواحل دكن ، وأقاموا قلعة على بعد نصف فرسخ منه ، كما استولوا

(١) زين الدين المييارى : تحفة المجاهدين ، ق ١٦ ب - ١٧ أ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧١

محمد صالح ضرار : تاريخ سواكن والبحر الأحمر ، ص ٤٢

أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ، ج ٢ ، ص ٧٩٧ .

على ميناء كُووه التابع لحاكم بيجاپور ، بعد أن قدموا رشاً إلى حاكم
الميناء ، وبالفوا في استحكامات قلعة كُووه. وجعلوها مقراً لحاكم الإفرنج
في الموانئ الهندية. (١)

توفي السامري هما في سنة ٩٢١ (١٥١٥م) وخلفه أخوه الذي سالم
البرتغاليين في الأول ، وسمح لهم أن يبنوا قلعة بالقرب من مدينة كاليكوت ،
وأخذ منهم عهداً بالسماح بإرسال أربع سفن من الفلفل والزنجبيل إلى
موانئ العرب بجدّة وعدن في كل سنة ، والتزم البرتغاليون بوعدهم إلى
أن أتوا ببناء القلعة ، فنقضوا عهدهم ومنعوا تجارة البضائع المذكورة إلى
الموانئ العربية واعتدوا على المسلمين الملياريين كما دبّروا أسر السامري
بحيلة الدعوة إلى الضيافة ولكنهم لم ينجحوا في ذلك ، وانضم إليهم أيضاً
طائفة اليهود بعد أن رأوا ضعف حاكم مليار ، واستشهد على أيديهم
كثير من المسلمين ، فنسب السامري (٢) من تعامله مع البرتغاليين وبدأ
بالقضاء على اليهود ، حيث لم يبق منهم أثر في تلك البلاد ، وكان ذلك

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

زين الدين الملياري : تحفة المجاهدين ، ق ١٧ ب - ١٨ ب .

محمد فؤاد شكرى ومحمد أنيس : أوروبا في العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٨٠ .

P. Spear : A History of India, V. II, P. 69 .

(٢) أتباعاً لوصية السامري الأول في القرن الثالث الهجرى ، كان يسمى

بهذا الاسم كل من كان يتولى الحكم في كاليكوت بطناً بعد بطن .

(تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٦٩) .

في سنة ٩٣١ هـ (١٥٢٥ م) ثم اتجه باتفاق مع جميع المسلمين المليباريين
إلى كاليكوت ، وقاموا بضرب الحصار حول القلعة ، وظبوا الإفرنج وفتحوا
القلعة بصعوبة بالغة وكان ذلك في السادس عشر من محرم سنة ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥
وقويت بذلك شوكة المليباريين ، فقاموا بإرسال السفن المشحونة بالفلل
والزنجبيل وغيرهما إلى الموانئ العربية دون استئذان من الإفرنج أو دفع
الرسوم لهم ، ولكن الإفرنج قاموا ببناء قلعة شاليات (١) على بعد فرسخين
من كاليكوت ، فقطعوا الطريق أمام تردد السفن المليبارية ، وذلك في سنة
٩٣٨ هـ (١٥٣١ م) ، كما أقاموا قلعة ريكندند بالقرب من ميناء چيپول
وتوطنوا فيها ، وكذلك استولوا على ديوم بعض الموانئ الكجراتية في سنة
٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) (٢) .

(١) قلعة شاليات : لقد نجح السامري حاكم كالى كوت فى السادس عشر من جمادى الأخرى سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) من استرداد القطعة ، وإجبار من كان بداخلها من البرتغاليين للاستسلام ، كما أخذ ما فى القطعة من المدافع وغيرها وهدم القطعة حجرا حجرا وجعل موضعها كالصحراء ، ونقل كثير من الأحجار والأخشاب الى كالى كوت وسلم بعضها لعمارة المسجد الجامع القديم الذى هدمه البرتغاليون عند بناء القطعة . (تحفة المجاهدين ، ق ٤٣ أ - ق ٤٣ ب) .

(٢) زين الدين المليارى : تحفة المجاهدين ، ق ٢٠ ب ، ٢١ أ ، ٢٢ أ ، ٢٣ ب ، ٢٥ ب ، ٢٦ ب ، ٢٧ ب .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

فى سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧ م) أراد السلطان سليمان العثمانى أن يطرد الإفرنج من الموانئ الهندية ، فرشح لأداء هذه المهمة وزيره سليمان باشا معه حوالى مائة سفينة ، وأمره أن يخضع أولا ميناء عدن الذى يقع على طريقه ثم يتقدم إلى الموانئ الهندية ، فاستولى سليمان باشا على عدن وقتل حاكمه الشيخ عامر بن داؤد ، ثم تحرك إلى ديو ، وبعد الوصول إليها أراد أن يدخل مع البرتغاليين فى معركة بحرية ، ولكنه عاد أدراجه دون الدخول فى معركة حاسمة بسبب النقص فى التموين ونفاد الخزانة (١) ، واستمر البرتغاليون فى تثبيت أقدامهم فى الموانئ الهندية (٢) ، وبحلول عام ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م) امتد

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

زين الدين الملبارى : تحفة المجاهدين ، ق ٣١ ب .

على حسون : الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية ، ص ٥٦ .

عبد المتعال الصعدي : المجددون فى الاسلام ، ص ٣٦٠ .

(٢) يذكر مؤلف تحفة المجاهدين مشيراً إلى عوامل نجاح البرتغاليين وفشل

المسلمين فى القضاء عليهم فيقول ((وهم لعنهم الله أهل مكر وخديعة ،

عارفون بمصالح أمورهم ، فيتذللون لأعدائهم وقت الحاجة غاية التذلل ،

وإذا انقضت سطوا عليهم بكل ممكن ، وكلهم على كلمة واحدة ، لا

يخالفون أمركبرائهم مع بعد المسافة عن رعاتهم ، وقلم يصد ربيبتهم

الاختلاف ، ولم يسمع أن أحدا منهم قتل كبيرهم لأجل الولاية ، ولذا

دانت لهم مع قتلهم رعاة ملييار وغيرها ، بخلاف ما طيها عساكر المسلمين

وأمرأؤهم من الاختلاف وطلب الاعتلاء على الغير ولو بقتله .))

(زين الدين الملبارى : تحفة المجاهدين ، ق ٣١ ب) .

نفوذهم الى موانئ هرمز ومسقط وسقطرة في الخليج وبحر العرب ، كما امتد نفوذهم الى سيلان في الجنوب والى ملقا وميلايو في الجنوب الشرقي (١) .

ويتبين من هذا العرض التاريخي ، أن البرتغاليين كانوا متكئين في بعض الموانئ الهامة في الساحل الغربي للهند ، قبل أن يتولى أكبر شاه عرش دهلـى وقبل أن يضم كجرات الى دولته .

وكما رأينا محاولات السامري في طرد البرتغاليين من موانئ مليبار (٢) ، لقد حاول الدكنيون أيضا أن يقضوا على الوجود البرتغالي في موانئ دكن ، ولقد حصن الإفرنج قلعة ريكدند التابعة لامارة أحمد نكر ، وأصبحوا يتعدون حدودهم ويستحقرون أرباب الإسلام ويقومون بايذائهم وإهانتهم .

في سنة ٩٧٧ هـ (١٥٦٩ م) تحرك مرتضى نظام شاه حاكم أحمد نگر الى قلعة ريكدند القريبة من ميناء چيول ، وذلك باستصواب من شاه جمال الدين حسين (٣) وسائر أمراء وقواده الذين كان مدار المهام عليهم ،

(١) زين الدين الطيباري : تحفة المجاهدين ، ق ٣٥ ب .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

أحمد حمود المعمرى : عمان وشرقي إفريقيا ، ص ٤٩ .

ج . ج لوريمر : دليل الخليج ، ج ١ ، ص ١٦ .

(٢) استمرت محاولات حاكم كالى كوت لطرد البرتغاليين بلا انقطاع ، وكانوا

جادين في محاربتهم تلك ، ويشير مؤلف تحفة المجاهدين الى أعمال

السامريين في هذا المجال ، حتى عام ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) .

(٣) هو وكيل مرتضى نظام شاه ، وهو ما يشبه منصب رئيس الوزراء .

وبعد أن وصلوا إلى القلعة قاموا بضرب الحصار حولها ، ورفع العيسويون
أعلام المدافعة والمجاولات ، واستمرت الاشتباكات حوالى سنتين ، واستشهد
خلالها كثير من المسلمين بضرب المدفعية والبنوقية والمتفجرات ، وكانت
الصراخات ترفع من كل جندى وفى كل ناحية (١) ، ولم تكن هناك فرصة
التكفين والتجهيز ، لأن الأمراء الدكنيين كان ينقصهم التدبير ، وكانوا
يجهلون أساليب فتح القلاع ، فلم يكونوا يهتمون بإحداث خاكيز (٢) والنقب
والساباط ، وكان كل همهم وضع السلالم للصعود إلى القلعة بقصد إخضاع
من فيها ، ولما كان النصارى ذوى مهارة فائقة فى إطلاق النيران ، فقد
كانت محاولات الدكنيين تنتهى بالفشل ، وكان النصارى يرمون على المسلمين
من فوق القلعة ، بمواد حارقة تحرق فى كل مرة أعدادا منهم (٣) .

لما باءت محاولات تسخير القلعة بالفشل ، تقرر أن تسد أبواب
الدخول إلى القلعة ، والخروج منها ، وأن لا يسمح بوصول أسباب المعيشة
لمن بداخلها ، فأصبح العيسويون فى بحر من الاضطراب ، وفكروا فى ترك
القلعة والفرار إلى موانئ أخرى ، ولكن بعضا من الإفرنج امتنعوا وقالو :
إننا سنصرف لحراسة القلعة الأموال السلطانية الموجودة بحوزة التجار فى داخل
القلعة ، فإذا لم نجد فرسا بعد هذا ، فسوف نختر الهروب إلى موانئ

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

(٢) خاكيز : محل فى جانب الخندق ، يصب فيه التراب المحفر لسد العبور
والمرور . (عبيد : قرهنگ عبيد ج ١ ، ص ٨٢٣) .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

أخرى .

كان أمراء مرتضى نظام شاه وعلى الخصوص إخلاص خان وفرهاد خان حبشي قد استلموا رشاوى من النقد والجنس ، فكانوا يرسلون إلى الإفرنج إزاء هذا وفى أثناء الليل ، صناديق من الخمر البرتغالى مع سائر ما كان يحتاجه أهل القلعة ، ودبر الأمراء استمرارية هذا الوضع فيما بينهم ، فكان واحد منهم يتكفل فى كل ليلة بإيصال قوت الإفرنج ، وسائر الأجناس ، وفى أثناء النهار كانوا يعملون لدفع العظنة عن أنفسهم : ، فكانوا يقيمون السلالم الخشبية ويأمرون الجند للقيام بالمعارك المصطنعة ، وكان النصارى يطلقون النيران على المسلمين ، فتحرق عددًا منهم وترفع صرخاتهم فى السماء ، وهكذا كرس الإفرنج قواهم لمدافعة جند الإسلام بكامل الاطمئنان ، فلم يتيسر فتح القلعة . (١)

كان شاه جمال الدين حسين مشغولاً بالعيش والعشرة ، ولم يكن يهتم بالمهام الطقاة على عاتقه ، وعين خواجه ميرك وكيلًا له ، لقد تضايق مرتضى نظام شاه : حاكم أحمد نگر من طول مدة الحصار ومحنة السفر ، وحدث أن أسرت سفينة إسلامية كانت متجهة إلى ميناء چپول ، فاستولى الإفرنج عليها وعلى ما فيها ، كما أسروا ركابها ، وكان بين هؤلاء الركاب شابان

(١) محمد قاسم قرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .
زين الدين الطيارى : تحفة المجاهدين ، ق ١٤١ أ .

مسلمان ، وهما رستم خان و شمشير خان ، وكان تتضح فيهما علائم الجندية ، فأجبرها الإفرنج على محاربة المسلمين ، فسيرا إلى برج القلعة ، وكانا يطلقان النيران على جند الإسلام مضطرين ، وسمعا يوما عن زعيم الإفرنج الذى كان يخاطب جلساءه ، بأن جميع أمراء مرتضى نظام شاه متفقون معنا ، إلا خواجه ميرك الذى يحاول دائما منازعتنا ، فقرر الشابان المسلمان أن يرميا بأنفسهما من القلعة ويسمعا خواجه ميرك ما سمعاه من زعيم الإفرنج ، فكتبوا عما يكتانه ، وطاقاه على سهم ، فأطلقا السهم إلى جند خواجه ميرك ، وفى أثناء الليل كسروا القيود والسلاسل ، ورميا بأنفسهما إلى الأسفل بواسطة الحبال أمام مورجيل خواجه ميرك ، وبهذه الطريقة نجيا من أسر الإفرنج (١) ، ولما سمع نظام شاه هذا النبأ طلبهما ، فى الخلوة إلى مجلسه واستفسر منهما عن حقائق الأوضاع داخل القلعة وعن كيفية قوة الإفرنج وضعفهم فيها ، فحكيا له بالتفصيل ما هو واقع دون أية ملاحظة ، وأطلعاه بأن الإفرنج يعيشون بكامل الاطمئنان وطيب خاطر ، ولا يلاحظ فى سيماهم بأنهم محاصرون ، لأن أسباب المعيشة تصل إليهم فى كل ليلة من أطراف القلعة ، وأن الأمراء الأحياء والذكىين استلموا منهم صناديق من الذهب فيأتون إليهم بالحبوب والسمن والدجاج والأغنام وكل ما يريد أهلى القلعة ، وفى أثناء النهار يقومون بمعارك اصطناعية فيعرضون الناس للقتل ، وخواجه ميرك هو الوحيد الذى لا يواكب الإفرنج ، فكرم مرتضى نظام شاه خواجه ميرك أكثر من السابق ، واستشاره فى ترك الحصار

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

فعرض إليه بأن الوقت يقتضى هذا ويستحسن العودة إلى أحمد نكر ، ليظهر - ر
هناك ما يريد ، فعاد نظام شاه إلى أحمد نكر حيث قبض على فرهاد خان ،
وإخلاص خان حبش ووضعهما فى السجن ، وطرده شاه جمال الدين حسين
مع زوجته إلى برهانپور وأعطى منصب الوكالة إلى خواجه ميرك . (١)

وبعد هذا كله لم يقد مرتضى نظام شاه حاكم أحمد نكر بأى عمل أو تدبير
ضد الإفرنج ، بل قضى وقته فى العزلة من الناس وفى المنازعات الداخلية بين
حكام دكن وبينه وبين أخيه اللاجئ إلى السلطان أكبر وهو برهان الملك .

لقد استطاع برهان الملك هذا أن يجلس على كرسى الحكم فى أحمد نكر
بعد وفاة أخيه مرتضى نظام شاه - كما ذكرناه فى السابق - ولقد حاول هو
الآخر فى سنة ١٠٠١هـ أن يطرد الإفرنج من ريكدند ، ورشح جمعا من
أمرائه إلى ميناء چپول ، وأمر أن تبنى قلعة على الجبل الذى يقع بجانب
البحر ، لتشرف على سفن الإفرنج التى تتردد من هناك إلى ريكدند ، وأمر
بمنصب المدافع على أبراج تلك القلعة حتى يمنعوا تردد الإفرنج ، فأتموا بناء
هذه القلعة التى سميت بقلعة كهواله ، وقام الإفرنج بطلب المساعدة من جميع
الموانئ التى كانت بحوزتهم ، فوصلت اليهم المساعدات من كل مكان ، وهاغوا
المسلمين مرتين بهجوم ليلى قتلوا فيهما آلافا من الدكنيين (٢) ، وكان برهان شاه

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٥٤ .

يرتاح من قتل هؤلاء الدكنيين ولكنه كان يتظاهر بالأسى ، فأرسل إلى هناك حوالي عشرة آلاف فارس مع فرهاد خان وشجاعت خان الحبشى ، وسائر أمراء دكن الذين لم يكن يثق فيهم ، وبذلك لم يكن يهتم بالمقتولين في أى جانب كانوا ، كانت أنواع المساعدات تصل لأهالى ريكندند من ميناء دامن الواقعة بين كجرات ودكن ، فرشح برهان شاه ، بهادر خان كيلانى على رأس جيش آخر ، وأرسله إلى تلك الموانئ ، ولما وصل بهادر خان إلى هناك ، قاومه حوالي ألف من الإفرنج وكثير من الزوج ، ولم يقصر الأحباش والدكنيون المأمورين في قطعة كهواله ، فقطوا حوالي ثلاثمائة من النصارى ، ولما سمع برهان شاه أنباء النصر أمر بإقامة حفلات الفرح ، وأقام في عمارة آئينه خانه (١) محفلا كبيرا حضره الحكماء والشعراء والمطربون ، وشبهوا ذلك المحفل بالجنة ، فأمر برفع التكليف عن الوضع والشريف وأن يحضر للجميع كل ما يتمنونه ، فكانت هناك أنواع من الأشرية والمكيفات والخمر الأحمر والرقص (٢) !

ولقد أثبتت قطعة كهواله جدارتها في التصدي للإفرنج وقطع الطريق أمام الامدادات لقلعة ريكندند من جميع الجهات ، وقام بحراسة تلك القلعة فرهاد خان حبشى وأسد خان وتاج خان وغيرهم ، وكاد أن يفادر النصارى هذه الأماكن ، إلا أن برهان شاه أصبح أسيرا للنفس الأمارة ، فحرص على مباشرة النسوة ومخالطتهم وتسبب في إغضب الأمراء الذين كانوا يقومون بحراسته

(١) آئينه خانه : أى بيت المرأة .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .

قلعة كهواله وعلى رأسهم فرهاد خان ، فلم يهتموا كالسابق بحراسة القلعة ومحاربة الإفرنج ، بل فكروا في التوجه إلى أحمد نكر ورفع أعلام البغى ضد برهان شاه (١) ، ولقد اطلع الإفرنج على هذه التطورات فشحنوا ستين سفينة من المقاتلين وأسباب القتال ، وفي صباح يوم الجمعة السادس عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٠٠١ هـ / ١٥٩٣ م ، توجه إلى قلعة كهواله حوالي أربعة آلاف من الإفرنج ، وكانت أبواب القلعة مفتوحة ، حيث لم تزل دجى الليل باقية ، فهاجم جيش الإفرنج القلعة ، ولم يجد أهل القلعة فرصة قفل أبوابها ، حيث كانوا في النعاس الصباحي ، إضافة إلى عدم اهتمام الأمراء بحراستها كما ذكر ، ومع أن الموجودين في القلعة كانوا أضعاف مضاعفة للإفرنج إلا أنهم وقفوا مبهورين متحيرين ، وبد الإفرنج بقتلهم وذبحهم كالأنعام ، واستشهد حوالي عشرة آلاف شخص ، ودمر الإفرنج قلعة كهواله ، واستولوا على مدافعها وما فيها ، كما قتل جميع الأمراء ، ماعدا فرهاد خان الذي جرح فأسر ، ولما سمع برهان شاه هذه الأنباء اعتبر قتل هذه الجماعة فتحا بعينه . (١)

هكذا كانت الأوضاع في موانئ دكن ، وهكذا كانت المنازعات الداخلية والمنافسات على السلطة والفساد الموجود في جهاز الحكم ، من العوامل الرئيسية في تثبيت أقدام البرتغاليين في الموانئ الهندية تلك ، وأما بالنسبة لولاية كجرات المطلة على الساحل الغربي للهند ، فإنها ضمت إلى دولة

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

أكبر في سنة ٩٨٠هـ (١٥٧٢م) ولقد باشر السلطان أكبر بنفسه إخضاعها كما باشر إخضاع قلعة سورت إحدى موانئها الهامة ، وتفقد القلعة بعد فتحها وأمر بإصلاحها ، وبذلك أصبحت دولته في مواجهة البرتغاليين أصحاب السيادة البحرية ، وعرف أكبر أن هذه القلعة أحدثت واستحكمت للتصدي ضد البرتغاليين الذين كانوا يلحقون أنواع الخراب للمسلمين ، كما شاهد فيها بقايا من المدافع العثمانية التي كانت تسمى ((سليمانى)) ، وكان السلطان سليمان قد بعث بقواته وهذه المدافع الثقيلة لمحاربة الإفرنج في الموانئ الهندية والجزر الموجودة في المحيط الهندي ، إلا أن هذه القوات لم تتمكن من عمل شيء ما وذلك بسبب امتناع السلطات الكجراتية عن مساعدتها وبسبب العسرة في المعيشة ، فاضطرت القوات العثمانية إلى العودة دون أن تتمكن من حمل هذه المدافع التي كانت قد أنزلت في قلعة سورت (١) .

إن هذه الآثار تكون قد ألهمت لأكرمى جسامة المسؤولية الطاقة على عاتقه وهو قد أطل على المحيط الهندي ، وأصبح على مرأى من الأسطول البرتغالي الذي كان قد احتكر السيطرة على ذلك المحيط ، وأخذ يستولى على السفن العربية والإسلامية غصبا ، وينهب ما فيها ثم يحرقها بمن فيها من حجاج بيت الله الحرام . (٢)

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٦ - ٣٠٠ .

محمد شريف : إقبال نامه جها نكبرى ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٥ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٢٨ .

فى سنة ٩٨٢هـ (١٥٧٤م) أرادت كلبدن بىكم عمـ أكبر أن تسافر بحرا لأداء فريضة الحج ، وكانت تتعنى دائما أن تفوز بهذه السعادة ، إلى أن أصبحت ولاية كجرات تابعة لدولة أكبر ، فأرادت أن تقوم بالسفر إلى الأماكن الشريفة فى الحجاز وصحبتهـ عدد من الأميرات من أشال سليمه سلطان بىكم وحاجسى — بىكم وكلفدار بىكم بنات مرزا كامران عم أكبر (١) ، ويذكر أن أكبر اتصل بالبرتغاليين وطلب منهم عدم التعرض للأميرات وفى مقابل ذلك حصلوا على موقع فى ساحل دامن (٢) إحدى الموانئ الكجراتية القريبة من دكن ، وقد انتظرن فى كجرات لمدة سنة حتى تم الإعداد لسفرهن ثم سافرن إلى الحجاز فى شهر شعبان سنة ٩٨٣هـ (١٥٧٥م) ومكثن فى الحجاز لعدة سنوات ، وفزن خلالها بأربع حجـات وعدة عمرات ، وفى أثناء العودة إلى الهند ، اضطررن أن يبقين فى عدن لمدة سنة أخرى ، وذلك بسبب ضياع سفينتهن ، ثم عدن إلى الهند فى سنة ٩٩٠هـ (١٥٨٢م) حيث كان فى استقبالهن الأمير سليم أكبر أبناء السلطان أكبر. (٣) .

كانت شدة سيطرة البرتغاليين فى المحيط الهندى على درجة جعلت كبير علماء الدين فى الدولة وهو مخدوم الطوك عبد الله سلطان پور ، بأن يفتى

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٢٤ .

(٢) عبد العزيز نوار : الشعوب الاسلاميه ، ص ٥٢٨ .

(٣) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٥ ، ٢٤١ .

نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٥٣ .

أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢١٤ .

فى سنة ٩٨٣هـ (١٥٧٥م) بعدم فرضية الحج فى مثل تلك الظروف، بدليل أن الطريق إلى مكة المكرمة ينحصر فى العراق برا أو فى كجرات بحرا ، فإذا اختار الحجيج طريق البر فيجب أن يتحملوا شتاء قزلباش الشيعة ، وإن اختاروا طريق البحر فيجب أن يقلوا الذن وهو الاستئذان وأخذ العهد من الإفرنج ودفع الرسوم لهم ، مع العلم بأن كتاب العهد هذا يحمل صورتى مريم وعيسى عليهما السلام ، ما يكون فى حكم الوثنية ، ففى الحالتين كليهما يكون المنع أولى (١) ، وعلى الرغم من أن الدولة لم تلتزم بهذه الفتوى ، إلا أنها تشعشع بمدى سيطرة البرتغاليين على طريق حجاج الهند البحرى .

فى سنة ٩٨٤هـ (١٥٧٦م) تقرر أن يرأس فى كل سنة أحد رجالات الدولة الكبار قافلة الحجيج وينوب فى ذلك عن السلطان أكبر ، لأن سفر السلطان بنفسه إلى مثل هذه المسافة الطويلة ربما يتسبب فى اختلال أحوال البلاد والعباد ؛ ، ففى هذه السنة عين سلطان خواجه على منصب ميرحاج (٢) لينوب السلطان فى قيادة قافلة الحج الهندى ، وقد لبس السلطان أكبر لباس الاحرام ثم أخذ من يد سلطان خواجه ، مؤكلا إياه فى إمارة الحج ، ورخص سلطان خواجه فى يوم الخميس الثانى من شعبان سنة ٩٨٤هـ (١٥٧٦م) وكلف عددا من أعيان الدولة لتوديع قافلة الحجاز ومصاحبتها إلى أحمد آباد عاصمة ولاية كجرات (٣) ، ولقد توقفت القافلة فى كجرات خوفا من حكام موانئ الإفرنج ، وأبلغ السلطان أكبر عن هذا الأمر ، فأمر قليج خان الذى كان

(١) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٠١-٢٠٢ .

(٢) ميرحاج : أمير الحجيج .

(٣) محمد شريف : إقبال نامه جها نكيرى ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٤ .

في جند أيدر والذي كان له أيضا بعض موانئ كجرات ، بأن يسرع في الذهاب إلى ساحل كجرات لإزالة الموانع عن طريق الحجيج ، ولكي يسرع في الوصول إلى ساحل كجرات ، أمره بأن يستخدم في ذلك فرس^(١) "وعد أن وصل قليج خان إلى سورت في ساحل كجرات استطاع أن يزيل العقبات عن طريق الحجاج وحصل على عهد من الإفرنج ، فتحركت السفن ، وكان حكام نصارى وزعماء البلدان التي تقع في طريق الحجيج ، يرجعون بهؤلاء الحجاج ، وأميرهم^(٢) .

وهناك حادث آخر يذكره بايزيد بيات كبير طباطباخي أكبر في مذكراته

فيقول :

* في السفر المبارك إلى البيت العتيق ركبت السفينة في ٢٤ من محرم سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٩ م) وقينا إلى آخر الشهر المذكور في نواحي ميناء دامن ، وكان مستأجرو ذلك الميناء يطلبون الرسوم ، وكانوا لا يقبلون الرسوم إلا بعد أن يصعدوا على السفينة ويشاهدوا داخلها ، فطلبوا ابني المسمى سماعات يار رهينا لهم حتى يصعدوا على السفينة ، فقلت لهم ان ابني

(١) فرس يام : يام على وزن لام هو الحصان الذي يكون جاهزا في كل

منزل ، حتى يركبه كل من تحتاج مهمته سرعة الوصول إلى منزل آخر.

(٢) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٦ .

هذا يجيد اللغة الهندية واللغة الإفرنجية ، فإذا صعدتم على السفينة بدون أن يكون هناك مترجم تتعطل الأمور ، وإننى أضع فى اختياركم واحدا من ابنى الآخرين وهما افتخار وذو الفقار ، فاستقر رأيهم أخيرا بأخذ افتخار رهينا عندهم فبقى هو فى غراب (١) الإفرنج من الصباح وحتى صلاة المغرب ، وكان الإفرنج يطلبون من أهل السفينة مبلغ عشرة آلاف محمودى (٢) ازاء هذه الرسوم ، ولم يكن مع سائر الركاب محمودى واحد ، فقد مت لهم عشرة آلاف محمودى كقرض حسن ، حتى يخلص المسلمون من الإفرنج ، ثم ترد هذه المبالغ إلى فى جدة وسدون ربح (٣) ، وهكذا كان البرتغاليون لا يسمحون بعبور حجاج الهند إلى جدة ، إلا بعد أن يحصلوا منهم على ضرائب ، كما كانوا قد استأجروا ميناء دامن الكجراتية ، وكانوا يبالغون فى إهانة المسلمين وإيذائهم ، ولقد حدث أن سافرت بعض سفن جلال الدين محمد أكبر شاه إلى جدة دون أن يستأذنوا البرتغاليين ويحصلوا منهم على عهد ، ولكن فى أثناء العودة من جدة نهبوا السفن وآذوا ركابها كثيرا ، فامتنع السلطان أكبر بعد ذلك عن إرسال السفن والمراكب إلى موانئ العرب والعجم ، لأنه اعتبر الاستئذان من الإفرنج ودفع الرسوم لهم عارا ومذلة ، وإن أرسل المراكب بدون الاستئذان ودفع الرسوم كان فيه ضياع الأموال وهلاك النفوس ، ولكن أمراؤه من أمثال مرزا عبد الرحيم

(١) غراب : نوع من السفن الرياحية فى ذلك الوقت .

(٢) محمودى : عبارة عن العملة الكجراتية ، نسبة إلى السلطان محمود

أحد سلاطين كجرات .

(٣) بايزيد بيات : تذكره همايون وأكبر ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

المطرب بخان خانان ، كانوا يحصلون من الإفرنج على عهد ثم يرسلون
المراكب إلى الموانئ الأخرى . (١)

على الرغم من هذا كله كانت هناك علاقات واتصالات بين دولة أكبر
وبين الوجود البرتغالي في المياه الهندية وسواحلها ، ولقد أرسل السلطان
في سنة ٩٨٢ هـ (١٥٧٤ م) بعثة إلى ميناء كوه (٢) الذي كان مقرا للحاكم
البرتغالي في الموانئ الهندية ، للتعرف على الأوضاع هناك ، وكان يرأس
البعثة حاجي حبيب الله ، وكان هذا الأمر بعد فتح كجرات وبعد أن تم
إخضاع الكثير من موانئها ، كما كان حكام موانئ الإفرنج يتوددون فرأى السلطان
أكبر أن يتعرف على صنائع الإفرنج البديعة وفنونهم النادرة في ميناء كوه ،
فاختار لأداء هذه المهمة حاجي حبيب الله المذكور ، الذي كان خبيرا في مثل
هذه الأمور ومقربا من السلطان ، كما دفعت له مبالغ كبيرة ، ومقادير من
البضائع الهندية ليحطمها إلى ميناء كوه ثم يرجع من هناك بغرائب تلك الديار
وعجائبها (٣) ، كما ضم إلى البعثة عددا من الخبراء والفنانين المهرة ،
ليقوموا بدورهم في نقل المصنوعات الغريبة وصنائع تلك الديار البديعة إلى آكره
ولقد تابعت البعثة مهمتها إلى عام ٩٨٥ هـ (١٥٧٧) ثم عادت إلى آكسره
حيث قدمت للسلطان تقارير عما شاهدتها ، كما قدمت إلى السلطان أكبر

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ .

(٢) كوه : هذا الميناء يذكر في المراجع العربية باسم " غسوا " أو " جوا " .

(٣) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٢٥ .

بضائع منتخبة من تلك الديار ، ولقد تعلم أعضاء البعثة بعض الفنون والصناعات الموجودة في تلك الديار ، كما صاحب البعثة في العودة إلى آكره ، جمع من الموسيقاريين الإفرنج الذين قد موا فنونهم الموسيقية في بلاط السلطان ، وطل الأخص موسيقى " أرغنون " التي وضعها أفلاطون . (١)

كذلك كان التجار البرتغاليون يأتون ببضائعهم إلى عاصمة الدولة آكره ، ففي سنة ٩٩٨ هـ (١٥٩٠ م) جاءت من ميناء كوه قافلة تجارية تحمل بضائع إفرنجية وأرمنية وصينية وسائر السلع الموجودة في تلك الديار ، وقام السلطان أكبر بمشاهدة هذه البضائع ، وكان يرأس تلك القافلة بادهرى فرطيون الذي كان يعرف الكثير من المسائل العقلية والنقلية (٢) ، وفي سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٤ م) وصلت إلى آكره قافلة تجارية كبيرة تحمل مختلف البضائع الموجودة بميناء كوه ، وكان يصحب هذه القافلة جمع من الرهبان وأصحاب الرياضات (٣) كما كانت في العاصمة آكره ، محلة خاصة لتجار الإفرنج ، يقومون فيها بتسويق بضائعهم ، وكانت تسمى هذه المحلة بفرنك توله . (٤)

كذلك كانت هناك علاقات ثقافية بين أكبر والبرتغاليين ، حاول السلطان من خلالها التعرف على معارف حكام كوه ومعتقداتهم الدينية ، وقد بدأ

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٩٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٦٠٢ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٧١٢ .

(٤) لا له سيل چند : تفريح العمارات ، ص ٩٦ .

تردد البرتغاليين إلى محافل أكبر منذ سنة ٩٨٣ هـ (١٥٧٥ م) وكان يشترك فلاسفتهم ورجال دينهم في المناقشات التي كان السلطان يقيمها بين أتباع الأديان والمذاهب المختلفة (١) ، وقد أدى هذا التعامل مع البرتغاليين إلى أن يطمعوا في تنصير أكبر ، فقاموا بإرسال بعثات متعددة ، منها ما أرسلوه في سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) برئاسة الأب رودلف Rudelf والأب مونسرات Monssorat ، وقابل أكبر الإرسالية بكل ترحاب واحترام وسمح لهم أن يبنوا كنيسة في مدينة آكره ، كما أظهر السلطان إعجابه بصورة المسيح والعدراء ، وأجلس السلطان ابنه الأمير مراد عند هؤلاء الآباء ليتعلم منهم د روسا ، وكان الشيخ أبو الفضل يقوم بترجمة هذه الدروس (٢) ، ومع هذا فإن الآباء لم يلبثوا أن شعروا بخيبة الأمل ، لأن السلطان لم يكن غنيمة سهلة ، وبعد أن أقامت البعثة ثلاث سنوات في بلاط أكبر ، عادت في سنة ٩٩١ هـ (١٥٨٣ م) دون أن تستطيع تحقيق أهدافها ودون أن تتمكن من تنصير أكبر .

ووصلت إرسالية ثانية إلى آكره في سنة ٩٩٩ هـ (١٥٩٠ م) ، ولم تكن أكثر نجاحا من سابقتها ، ولبثت هذه البعثة في بلاد أكبر ثلاث سنوات أخرى .

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ .

عبد القادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٥ .

(٢) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في

الهند ، ص ٩١ - ٩٢ .

عبد القادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٣ .

ثم عادت تجر كأختها أنيال الفشل ، ووصلت الإرسالية الثالثة إلى لاهور حيث كان السلطان أكبر يقيم هناك ليتابع التطورات في كابل بعد وفاة أخيه محمد حكيم سرزا ، وقولت البعثة بحفاوة وتكريم ، وسمح لها بببناء الكنائس في لاهور وآكره ، كما سمح لها بالتبشير. (١)

في شهر ربيع الأول ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) أرسل أكبر رسالة ودية إلى فرديناند الثاني ملك أسبانيا والبرتغال حينذاك ويقال أن الرسالة لم تصل إلى الملك (٢) ، ويقول أكبر في رسالته :

((الحمد للملك الحقيقي ، المصونة ملكته من صدمة الزوال ، والمأمونة سلطنته من لظمة الانتقال ، المدير الذي جعل انتظام العالم وبنى آدم منوطا بمساعدة عقل الملوك العادلين ونصفتهم ، المقدر الذي ألقى طنطنة الائتلاف والالتيام ، وبدبدبة الامتزاج والاستيناس في أفراد الكائنات ، برابطة المحبة وضابطة المودة ، والصلاة والسلام على أرواح معاشر الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام الذين كانوا سالكي أصوب الطرق وهادئي أصلح السبل ، وعد :

لا يخفى على ضمائر أرباب البصائر المقتبسة من أنوار الولاية ، والمتجلية من أشعة الحكمة والدراية ، أن في عالم الناسوت الذي هو مرآة لعالم اللاهوت ،

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند

ص ٩٢٠

ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٤٠

رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٩٠

(٢) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٢٩

لا يفوق على المحبة أى شئ ، ولا يوجد أى أمر أليق من المودة ، لأن صلاح العالم ونظام الكون ، وضعا على التودد والتآلف ، وكل قلب أضاءته شمس المحبة ، يطرد الظلمة البشرية من عالم الروح ، فكيف إذا تحقق هذا الأسر ، فى السلاطين الذين يكون فى صلاحهم صلاح العالم والعالميين ، وبنائنا على هذا كان كل همنا منصبا على تشييد روابط المحبة والوداد ، وضوابط الارتباط والاتحاد ، بين كافة عباد الله ، سيما فى طائفة الملوك العلية ، المشرفين والمختصين بمزيد من العناية الإلهية ، خصوصا مع صاحب السلطنة مسرور التجليات المعنوية ومحيط المراسم العيسوية ، الغنى عن التعريف والتوصيف ، المتحقق تقوقه بواسطة الجوار ورعاية حقوق الجوار ، والمحبة معه محققه ومؤكدة ومن أشرف مقتضيات المودة الروحية ، هو التآلف الصورى والتآنس الظاهرى ، وبواسطة الموانع العظمى والبواعث الكبرى ، يتوقف إحراز المشاهدة الجسمانية ، والأمر الذى يمكن أن يقوم مقامها ، هو إرسال الرسل والرسائل ، الذى يراه أرباب الفطنة والذكاء ، نائبا مناب المكالمة والمشافهة ، والرجاء هو أن تكون أبواب الرسل والرسائل مفتوحة من الجانبين وعلى التواتر والتوالى ، وأن تبين من الجانبين سوانح الأهوال ولطائف الآمال .

واضح عند الضمير المنير واتفاق من جميع أربال الملل والنحل وأصحاب الدين والدول ، بأن العالمين الدينى والدنيوى مشخصان ومعينان ومدللان ومبرهنان ، وأن العالم الصورى الدنيوى ، لا يساوى شيئا فى مقابل العالم المعنوى الأخرى ، وأن عقلاء العصر وكبراء الديار ، كم يبذلون من المساعى

الجميلة. والدواعى الجزيلة ، لتكميل هذه الحالة الظاهرية الفانية ، وكيف يصرفون خلاصة أعمارهم وزيدة أوقاتهم فى استحصال المقاصد الصورية ، وكيف ينهزمون فى الحصول على المستلزمات التى تزول بسرعة ، ولكن الله تعالى جعلنا نجتهد فى طلبه بمحض عنايته الأزلية ، وهدايتة التى لم تزل ، وذلك على الرغم من العديد من المشاغل والعوائق والروابط والعلائق الظاهرية ، ومع أنه جعل ممالك عديدة من السلاطين العظام فى حوزة تصرفنا. وليس بمقتضى العقل فى انتظام هذه الممالك والقيامها على نهج يصبح به جميع الرعايا وكافة البرايا ، مرفهى الحال ومنشرحى البال ، والحمد لله أن استرضاء الله والشوق لما هو الحق ، بداية لكل المطالب وفاتحة لجميع المآرب . إن أكثر أبناء العصر أسيرون فى ربة التقليد ، ويختارون المذهب الذى نشأوا فيه وطريقة آباءهم وأجدادهم وأقاربهم ومعارفهم ، دون أن يتأملوا فى الدلائل والبراهين فيحرمون من شرف التحقيق الذى هو العلة الغائية لإيجاد العقل ، فمن هنا نقضى أوقاتا طيبة فى صحبة طمأ جميع الأديان ، فنستفيد ونستفيد من الكلمات النفيسة والمقاصد الغالية لكل واحد منهم ، إن هناك تباين الألسنة وتغاير اللغات ، والأليق أن تجعلونا سرورين بإرسال من يعبر عن المطالبات العالية بأحسن العبارات ، وسمعنا أن هناك كتبا سماوية مثل التوراة والإنجيل والزيور ، قد ترجمت إلى اللغة العربية والفارسية ، فلو وجدت فى تلك الولاية هذه الكتب المترجمة أو غيرها مما ينفع نفعا عاما ويفيد فائدة تامة ، فسوف ترسلونها إلينا .

لتأكيد مراسم الوداد وتشديد مبادئ الاتحاد ، أرسلنا إليكم سيد مظفر صاحب الفضائل الصادق العقيدة والإخلاص ، والمختص بمزيد الالتفات والعناية ، فسوف يتحدث معكم بالمشافهة ولتثقون فيه ، ولتضعون أبواب المكاتبة والمراسلة مفتوحة دائمة .

والسلام على من اتبع الهدى ، حرر في ربيع الأول سنة تسعين

وتسعمائة)) (١)

ويبدو في هذه الرسالة أن السلطان أكبر اعترف بالوجود البرتغالي في مجاورة دولته ، ولكن القرائن تشير إلى أن أكبر شاه اتبع هذه السياسة مع البرتغاليين كنوع من الماطلة معهم ، كسبا للوقت ، حتى يتيسر له الفراغ من مشاكله الداخلية والإعداد اللازم لمحاربتهم وطردهم من موانئ الهند ، وتطهير طريق الزائر والتاجر من مزاحمتهم ووضع حد لعبثهم بأرواح الأبرياء .

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٣٧ - ٣٩ .

الخاتمة

الخلاصة

التحليل والنتائج

من خلال هذا العرض التاريخي لعصر جلال الدين محمد أكبر شاه ،
سلطان الدولة المغلية الإسلامية في الهند ، والذي استمر حكمه أكثر
من خمسين عاما ، فإنه يمكننا أن نصل إلى نتائج هامة .

لقد ورث أكبر شاه حكما ، تحيطه المخاطر من كل جهة ، ومن مراكز
القوى المتنافسة في داخل الدولة أيضا ، ولكن الحظ كان حليفا لهذا
السلطان ، الذي لم يكن يتجاوز عمره أثناء إسناده الحكم إليه ، الرابعة
عشرة سنة ، واستطاع بفضل دهائه وباغتته لخصومه ، أن يمكن لدولة
لم تكن في البداية أكثر من تعبير جغرافي ، فكانت الفترة الأولى من
حكمه (٩٦٣هـ / ١٥٥٦م - ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م) عبارة عن فترة التمكين
للدولة ، وهي ما بحثناه في الفصل الأول من هذا البحث .

لقد رأينا أن همايون استعاد دلهي وأكره من سلطة الأفغانيين
خصوم الدولة المغلية التقليديين ، ولكنه لم يتمكن من إزالتهم والقضاء
عليهم نهائيا ، بل بقي لهم نفوذهم هنا وهناك ، وخاصة في الأقاليم
الشرقية ، وكانوا يحاولون تجميع قواهم لمقاومة قوات الدولة المغلية
ومطاردتها من الهند ، والدولة المغلية بقيادة السلطان أكبر وأتابكـه
بـيرم خان ، جعلت خطر الأفغانيين في مقدمة اهتماماتها ، ولما كان
اسكندر شاه سور متحصنا في جبال سوالك الواقعة في پنجاب ، خططت
الدولة كيفية مطاردته ، لأن پنجاب تقع في طريق العودة إلى كابل
وفي ظروف ، كذلك كان تأمين خط الرجعة إلى كابل في الدرجة الأولى

من الأهمية ، ولكن الخطر الأكبر جاء من قبل الهندوكى هيمو ، قائد عادلشاه سور ، أحد سلاطين الأفغان ، إذ استطاع هذا القائد الهندوكى المحنك ، أن ينال انتصارات عديدة ، فى المنازعات الداخلية بين الأفغانيين ، وكون على إثرها قوات كبيرة وشهرة أسطورية ، أغرتة على مهاجمة الوجود المغلى فى آكره ثم فى دهلى ، وتمكن من الاستيلاء عليهما ، فأجل السلطان اهتمامه باسكندر شاه سور ، ليدبر كيفية مواجهة هيمو وقواته ، وكما رأينا ، تمكنت قوات الدولة المغلية من هزيمة هيمو فى پانى پت ، وأسر هذا القائد الهندوكى وقتله ، وبذلك لم يتخلص السلطان من أقوى عدو خارجى له فى تلك الفترة فحسب ، بل وكان لهذا الحادث تأثيره فى تضعيف معنويات خصومه هنا وهناك ، وانتبه الجميع أنه ليس من السهل القضاء على هذه الدولة ، وأنه من الخطأ أن يوضع صغر سن السلطان فى الاعتبار ، كما كان يظن هيمو ذلك ، وكان من نتائج هذا الانتصار ، أن حلت قضية اسكندر شاه سور سلميا ، إذ سئم طول مدة حصاره فى قلعة مانكوت بجبال سواك ، وسلم مفتاح القلعة إلى أعوان الدولة المغلية ، مقابل عدم التعرض له أثناء خروجه منها .

فى الحقيقة كان هيمو أكبر خطر يهدد بقاء الدولة المغلية ، إذ كان لا انتصاره فى آكره ودهلى ، أثارا نفسية سيئة على الكثير من قواد الدولة ، حتى أنهم رأوا العودة إلى كابل ، لتجميع القوات هناك ، ثم التحرك إلى الهند من جديد ، ولكن بيرم خان عارض هذا الرأى بشدة ،

وقرر مقاومة هيمو والدفاع عن وجود الدولة ، والتضحية بكل غال ورخيص في هذا السبيل ، ولقد أيد السلطان هذا الرأي ، وبدأ بـيرم خان يرسم خطته وتوزيع الأذوار على القواد ، ورأينا أن النصر كان في النهاية حليفاً لقوات السلطان ، وكان لعنصر الجاسوسية العسكرية ومباغثة مقدمة قوات هيمو والاستيلاء على مدفعيته : وأخذ زمام المبادرة ، الأثر الحاسم في تعيين مصير المعركة ، إضافة إلى أن قوات السلطان ، كانت تحارب للبقاء ، في حين استخف هيمو بصفر سن أكبر ، والظروف التي كانت تحيط بالدولة الناشئة ، كما كانت لثقتة المفرطة في قوته والانتصارات التي اكتسبها قبل الدخول في هذه المعركة الحاسمة ، دورها في رجحان كفة المعركة إلى جانب قوات الدولة المغلية ، والقضاء على هيمو ، لم يتخلص أكبر شاه مسن عدو مقتدر فحسب ، بل ونجت الهند الإسلامية من خطر هندوكن كان يهدد الكيان الإسلامي ، إذ على الرغم من أن هيمو كان قائداً عادلاً شاماً ، إلا أنه أصبح خارجاً على سلطته ، واختار لنفسه لقب راجه بكة باجيت (١) ، تأكيداً لهندوكيته وتمجيدها لانتصاراته .

بعد القضاء على هيمو وخطره وبعد الانتهاء من قضية اسكندر شاه سورسلياً ، بدأ السلطان يوجه اهتمامه إلى الحد من سلطة مراكز القوى في دولته ، والتي لم يكن بعضها أقل خطراً من الأخطار التي أشرنا إليها ، ولقد بدأ السلطان في هذا الاتجاه ، من وكيله وأتابكه وخان خانانه بـيرم خان ، وكان السلطان من الحنكة والمهارة السياسية بحيث لم يبدأ بضرب

(١) هو من الأبطال الذين يمجدهم تاريخ الهند القديمة وأساطيرها .

مراكز القوى دفعة واحدة ، بل أوقف كل واحد عند حده ، مرحلة بعد مرحلة ، واستفاد في هذا السبيل من سياسة الترغيب والترهيب وضرب الخصم بالخصم ، ورجح مرارا الحل السياسى على الحل العسكرى ، كما عفا عن تقصيرات أمراءه وعصيانهم كلما أمكن ذلك ، وكان البدء فى هذا الاتجاه من بيرم خان أمرا طبيعيا يدل على ذكاء أكبر شاه ، إذ بإعفاء بيرم خان من مهامه ، أثبت السلطان وجوده ، بعد أن كانت الأمور فى خلال السنوات الخمس السابقة فى قبضة بيرم خان ، هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت نساء القصر ورجال البلاط قد رحبوا بهذا الإجراء ، وهذا ما كانوا ينتظرونه ، بل خططوا له من قبل بزعامة السيدة ما هم أنكه مرضعة السلطان ، فسخروا كل إمكانياتهم ليساعدوا السلطان فى تنحية بيرم خان من مركزه القوى فى الدولة ، إضافة إلى أن بيرم خان ، كان متشددا فى معاملته مع رجال الدولة ، كما ضيق عليهم كثيرا بدافع الحرص على بقاء الدولة وقطع الطريق أمام تكرار ما حدث لهمايون ، وهذا ما كون له خصوما كثيرين استغلهم السلطان ، عندما أراد إعفاء بيرم خان من سلطاته فى الدولة ، ولا ننسى أن هذا الرجل كان على قدر كبير من الهيبة بحيث أنه عندما أراد مقابلة السلطان بعد توتر العلاقات بينهما ، تخوف بعض الأمراء واعتبروه خدعة ، فاقترحوا أن لا يسمح السلطان له بمقابلته ، فإذا أصروا توجه إلى دهلى ، فعلى السلطان وحاشيته أن يتوجه إلى پنجاب ، فإن جاء بيرم خان إلى هناك فليسزم التوجه إلى كابل ، وطى الرغم من أن السلطان لم يقبل هذا رأى لأنه لا يتناسب مع هيبة الملك ، إلا أنه يشير إلى مدى الرعب الذى كان بيرم خان قد ألقاه فى قلوب خصومه .

إذا أمعنا النظر في أعمال بيرم خان ، نجد أن هذا الرجل يرجع إليه الفضل في التمكين لدولة أكبر الناشئة في الهند ، فكما رأينا في وقائع هيمو ، كان أمراء أكبر شاه ، قد فقدوا زمام المبادرة في المعارك وكان سوء الأوضاع وتوالى وصول الأخبار المؤلمة ، ضاغطة على أعصابهم وأفكارهم ، فرأوا صلاح الأمر في العودة إلى كابل ، حتى يعطوا هناك على دعم السلطنة وتمكنها ، ويجمعوا الجنود ، ثم يتجهوا إلى فتح الهند من جديد ، ولكن بيرم خان لم يصنع لهذه المشورة ، وصمم على خوض المعركة المصيرية والتي انتصر فيها على هيمو ، كما أوضحناه في حينه .

في ضوء المصادر التاريخية التي توفرت لدينا والتي تعالج قضية بيرم خان وملابساتها وتطوراتها ، نرى أبا الفضل مؤرخ البلاط ، قاسيا في كتاباته عن بيرم خان ، حيث يتهمه بالبغى وعدم كونه أهلا لما تولاه في خلال السنوات الخمس الأولى من جلوس أكبر شاه على العرش ، ولكنه يستحسن أن ننظر إلى رواياته وأفكاره في مثل هذه الأمور ، بحذر وحيطه ، لأنه معروف بفلوه في مدح أكبر شاه وتصرفاته من جهة ، ولأنه عندما كان يقوم بكتابة مؤلفاته التاريخية ، كان من أقرب المقربين للسلطان ، وكانت سلطاته تشبه إلى حد ما ، ما كان يتمتع بها بيرم خان في أوائل سنوات حكم أكبر شاه ، فربما يقسو في حكمه على بيرم خان ، حتى يبدو أكثر منه ولاءا وكفاءة وفهما .

كذلك يبدو أن بيرم خان ، كان مواليا صادقا لدولة السلطان أكبره وأن ما قام به من تصرفات ضد منافسيه في البلاط ، كان بدافع من الحذر

والحفاظ على الدولة والتمكين لها ، وذلك بالقضاء على مراكز القوى
فى مثل تلك الظروف التى كانت تقتضى فيما تقتضيه النظام والحسم ،
وهذا ما نراه فى معاملته مع تردى بيگ خان حاكم دهلوى المنهزم والهارب
أمام هيمو وقواته ، وذلك على الرغم من رأى أبى الفضل الذى يقول
بأن بيرم خان كان يعتبر تردى بيگ خان منافسا خطيرا له ، وكان كل
منهما يدبر الإطاحة بالآخر ، ويستند أبو الفضل فى رأيه هذا إلى أن
بيرم خان أرسل پير محمد شيروانى ، لينوب عنه فى تنظيم الجبهة ، فيمكن
أن يكون قد وظف لتخريب صفوف تردى بيگ خان ، ويمهد لهزيمة أمام هيمو
حتى يتذرع بها بيرم خان للقضاء عليه ، كما حدث أن شيروانى كان أول
من هرب من المعركة فى اللحظة التى كان الانتصار حليفا لقوات تردى بيگ خان ،
ويؤكد أبو الفضل أن خان خانان وجد فى هزيمة منافسه وهروبه من المعركة ،
فرصة ذهبية للقضاء عليه ، إن طلبه إلى بيته بمسمى من شيروانى ، متظاهرا
بأحياء الصداقة والود ، فخرج هو من البيت بحيلة التوضؤ ، وقضى على
تردى بيگ خان ، بواسطة أعوانه . (١)

نلاحظ أن اتهام أبى الفضل لبيرم خان ، يستند على وجود شيروانى
فى المعركة نيابة عن خان خانان ، وهذا ما لا يدعو إلى الاستغراب ، لأن
شيروانى فى ذلك الوقت كان وكيلًا لبيرم خان ، لينوب عنه فى الحضور فى

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ .

بعض المناسبات التي لم تكن باستطاعته الحضور شخصيا ، وفي هذه المرة ، كان بيرم خان بصحبة السلطان في پنجاب ، لمطاردة اسكندر شاه سور ، الذي كان التصدى له في مقدمة اهتمامات الدولة كما ذكرنا ، إضافة إلى هذا فإن شيرواني عزل عن منصبه فيما بعد من قبل بيرم خان ، ونفى إلى الحجاز ولكنه استدعى من الطريق وأصبح من المقربين على الرغم من إرادة بيرم خان ولقب بلقب ناصر الملك ، ما كان لهذا الإجراء الأثر الكبير في انفعال خان خانان وعزله على معاقبة المتسلطين في البلاط ، فلو كان ما قاله أبو الفضل صحيحا ، لاعترف بذلك شيرواني بنفسه ، حيث أصبح فيما بعد خصما لدودا لبيرم خان ، وهذا ما لم يشر إليه أبو الفضل ولا غيره من المصادر التي توفرت لدينا .

كذلك نلاحظ أن ثورة بيرم خان أو انفعالاته ، كانت موجهة ضد خصومه في البلاط ، وعلى رأسهم السيدة ماهم أنكه مرضعة أكبر ، وأن استياء السلطان منه ، كان بتدبير من هؤلاء الخصوم من جهة ، ومن سوء تصرفات المقربين لبيرم خان وعلى رأسهم الشيخ كدائي من جهة أخرى ، ثم لا ننسى أن أكبر شاه بلغ العشرين من عمره ، وكان يرى فضل بيرم خان عليه وعلى بقائه دولته واضحا ، وهذا ما أكدته في رسائله إليه ، وفي نفس الوقت ، كان شعوره بالنقص وحبه للظهور ، وراء إجابته لمطلب خصوم بيرم خان ، فكان يصدر الإفصاح عن مطالبه في مباشرة أمور الحكم وممارسته بنفسه ، ولكنه حدث أن أفصح عن هذا وهو في وسط خصوم بيرم خان ، على الرغم من أنه لا يوجد ما يثبت عدم تلبية بيرم خان لتلك المطالب لو أفصح عنها له رأسا ، وأن ما فعله أكبر ، هو من قبيل أخذ الحيلة والحذر ، وليس معنى هذا ، التقليل من دور خصوم بيرم خان ، في توسيع الشقة

بينه وبين سيده ، بل نرى هذا الدور واضحاً ، على الأقل في التعجيل بما حدث ، ولكن دور أكبر نفسه ، كان دوراً رئيسياً وحاسماً ، لأنه لم يتم بهذا ، ليكون العوبة في أيدي أفراد القصر ، وعلى رأسهم مرضعته ما هم أنك و ابنها أدهم خان ، ولأنه عفا عن بيرم خان ، بعد كل الذي حدث ، واستقبله استقبالا حاراً ، يليق بمكانته التي كان يتمتع بها ، وهذا ما لم يكن يحلو لخصومه ، لأنهم كانوا يخشونه ، ويعتبرون كل تصرف منه من قبيل الخدعة وكسب الوقت .

وهناك مصادر تاريخية متأخرة ، تؤيد براءة بيرم خان من تهمة البغي وجاء في إحداها : " إن بيرم خان قد اتهم من قبل البعض بالبغي ، ولكنه لا يخفى على العقلاء الواعين ، وخاصة الذين قرأوا كتاب تاريخ طبقات أكبر ، بدقة وإمعان ، يعرفون مدى ولا تركمان ووفائهم في حق ولي نعمتهم ، وأنه قلما ظهر منهم خلاف الولاء والوفاء ، وأن بيرم خان بريء من تهمة البغي التي ألصقها به البعض ، وأن الباد شاه من جانبه أيضاً لم يقصر في حقه ، وصحيح أن المعاندين نجحوا في خطتهم ، ولكنهم لقوا جزاء عظيم فس خلال فترة وجيزة " (١) .

لا شك أن صاحب (طبقات أكبر) قد أنصف بيرم خان ، ويلاحظ

(١) محمد هاشم : منتخب اللباب ، ج ٢ ، ق ١٢٤ ، أ .

هذا من خلال ما أخذنا منه فى هذا الموضوع ، فعلى الرغم من أنه كان أحد رجال أكبر ، إلا أنه لا يغلو مثل أبى الفضل فى مدح أكبر وتصرفاته ، ولا يقسو كذلك فى إصداره الأحكام ضد بيرم خان .

لقد ذكر البعض^(١) أن بيرم خان ، بعد أن هزم أمام قوات أكبر ، أسر وحمل إلى السلطان ، ولكن المصادر التاريخية - كما رأينا - لا تؤيد هذا صحيح أن بيرم خان انهزم ، لأنه لم يعد لمثل هذه المعركة ، ولم يكن يتوقعها ، ولأنه فور ما جاءه أمر السلطان بالتخلي عن سلطاته والتوجه إلى الحجاز ، قبل ذلك الأمر ، ورد علامات الجاه والسلطان إلى أكبر شاه بصحبة أحد أقربائه ، ولا شك أن لهذا الإجراء تأثيره فى التقليل من أنصاره ، حيث اتجهوا إلى أكبر ، بعد أن رأوا بيرم خان يتجه إلى الحجاز مودعا سلطاته ، إضافة إلى أن خصومه ، كانوا يخططون لمثل هذا اليوم منذ سنوات ، وكان الوضع كان بالنسبة لبيرم خان مفاجأة فى حين كان بالنسبة لخصومه أمرا مخططا ومدبرا ، والفرق كبير بين هذا وذاك ، أضف إلى ذلك أن خصومه نجحوا فى استصدار مرسوم من السلطان يبدى فيه استياءه من أتابعه وخان خانانه ، ويعفيه من سلطاته ، وأرسل ذلك المرسوم ، إلى

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ،

ص ٨٦ .

أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ،

ج ٢ ، ص ٨٢ .

أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، ص ٨٤ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P. 34

القريب والبعيد وكافة الأمراء ، وأما أن يكون بيرم خان ، قد أسرو حمل إلى السلطان ، فهذا ما لم يحدث ، والذي حدث ، أن بيرم خان انهزم ، فلهجأ إلى جبل سواك ، تاركا الأسرى وغنائم كبيرة ، ثم تدم على ما حدث ، فأرسل أحد أعوانه إلى السلطان ، ليعلن له أن ما حدث ، كان بدون اختياره ، وعلى الرغم من هذا فهو يطلب العفو والصفح ، فقبل أكبر عرضه واستقبله استقبالا حافلا ، يليق بمكانته التي كان يتمتع بها ، ولكنه لولم يندم ولم يطلب العفو واستمر في التمرد ، لصعب على أكبر القبض عليه ، وإذا نظرنا إلى ظروف الدولة في ذلك الوقت ، وإذا انتبهنا أيضا إلى البيئة الجبلية التي لهجأ إليها بيرم خان ، فإنه كان باستطاعته أن يلهجأ إلى أعداء الدولة المغلية ، من الأفغان والراجپوت ، الذين كان لهم شأنهم في المناطق الساخنة لحدود دولة أكبر الناشئة ، وكان باستطاعته أيضا أن يظل مختبئا في الجبال والغابات الموجودة هناك ، وكما رأينا في الفصل الثاني فإن أكبر شاه ، قد عانى كثيرا من وجود تلك الجبال والغابات ، وإن كان أعداؤه يفلتون من يديه بلجوتهم إليها ، وقبلما تمكن أكبر من أن يستأصلهم بتعقبهم داخل الغابات والكهوف ، ولا سيما إذا نظرنا إلى مشاكل أكبر الداخلية التي لم تنته بإبعاد بيرم خان .

ولعل هناك وجوه شبه بين ما حدث لبيرم خان وبين ما حدث للبرامكة في عهد هارون الرشيد ، ولكن وجوه الخلاف بين الحادثتين ،

أقوى بكثير من وجوه الشبه بينهما ، فبيرم خان والبرامكة ، كانوا يقومون بتصريف أمور الحكم بإذن من السلطان والخليفة ورضى منهما ، وأن خصوم بيرم خان والبرامكة ، كان لهم دورهم في إثارة السلطان والخليفة عليهما ، وأنهما كانا مخلصين لسيديهما ، وأن هارون الرشيد شب في حجر يحيى البرمكي ، وكان يناديه يا أبت ، كما كان أكبر شاه ينادى بيرم خان (خان بابا) أى يا أبت خان ، وقد اتهم جعفر البرمكي وأخوه موسى بالتقرب إلى العلويين (١) ، كما ذكر عن بيرم خان الشيعى ، تعصبه لأبناء مذهبه وتخصيصهم بالمناصب الرفعية في الدولة (٢) ، وذكر أيضا أن عبد الملك بن صالح العباسى ، كان يدعو إلى نفسه ، وأن البرامكة كانوا يساعدونه (٣) ، كما أشيع عن بيرم خان ميله سرا إلى أبى القاسم بن كامران الذى كان يطمع فى الجلوس على عرش الهند (٤) ، وذكر أيضا أثر زبيدة أم الأمين فى إثارة هارون الرشيد على البرامكة ، كما رأينا دور نساء القصر ومنهن أم اكبر

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ، ١٧٠ .

(٢) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،

ج ٢ ، ص ٨١

عبد النعمان النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠١ .

(٣) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٤) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،

ج ٢ ، ص ٨١ .

حميده بانوبيكَمْ ومرضعتة ماهم آنكه ، فى توسيع الشقة بين السلطان وأمير
أمراءه بيرم خان ، ولكنه على الرغم من وجوه الشبه تلك ، فإن هارون الرشيد
لما تولى الخلافة ، كانت الدولة العباسية ثابتة الأركان والدعائم ، وكان
ال خليفة فى الخامسة والعشرين من عمره ، فى حين عند ما جلس أكبر شاه
على عرش أبيه ، لم يكن عمره قد تجاوز الرابعة عشر ، ولم تكن الدولة إلا تعبيرا
جغرافيا كما رأينا ، وأن بيرم خان بانتصاره على القائد الهندوكى هيمو ،
مكن لدولة المغل فى الهند ، واستطاع فى خلال السنوات الخمس التى
قضاها فى تسيير دفة الحكم ، أن يثبت أركان الدولة وأن يزيل كثيرا من
الأخطار التى كانت تهدد بقاء الدولة ، ومن جهة أخرى فإن بيرم خان
كان فردا وترك ولدا صغيرا فى الرابعة من عمره وهو عبدالرحيم ، الذى شب
فى حجر أكبر ووصل فيما بعد إلى أعلى منصب وصل إليه فرد من خارج
أفراد البيت المالك ، فى حين كان البرامكة أسرة وجماعة تتكون من
يحيى البرمكى وأبنائه الأربعة ، ثم أن بيرم خان ، لم يلب فى الآونة
الأخيرة ، نداءات السلطان أكبر ، فتطور الوضع إلى حدوث حرب وقاتل
مسلح ، بين مابقى من أنصاره وبين قوات السلطات ، فى حين لم
يحدث شئ من هذا بالنسبة للبرامكة ، إضافة إلى أن هناك خلافا
كبيرا فى مصير بيرم خان ومصير البرامكة ، وذلك على الرغم من تفاوت
الملابسات فى الحادثتين ، إذ قضى على البرامكة وقتل جعفر البرمكى

كما قيل بإيعاز من الخليفة هارون الرشيد ، فى حين عفا أكبر
عن بيرم خان ، واستقبله بحفاوة وإكرام .

ولقد أخطأت عصابة ما هم آنكه فى تصورهما ، وهو أن الأمور
قد أصبحت فى قبضتها بإقصاء بيرم خان ، ولم تفهم أن السلطان
يملك شخصية قوية ، لا تسمح أن يكون العومة فى أيدي مراكز
القوى ، وأن السلطان هو الذى سخر مراكز القوى لصالحه وليس
العكس ، وكان أكبر شاه يعرف ما يدور حوله ، فأسند منصب
الوكالة إلى واحد من رجال أبيه المخلصين والذى كان موضع
ثقتة وهو شمس الدين محمد أتكه ، وتفوجئت مراكز القوى بهذا
الإجراء واندحشت ، وترجمت عن ثورتها بأن قامت باغتيال وكيل
السلطنة المعين ، ولكن السلطان كان صارما فى عقاب أخيه من الرضاة
وهو أدهم خان الذى نفذ الاغتيال ، فأسرع أكبر فى ربط يديه
ورجلية ثم رماه من السطح فقتل ، وبهذا الإجراء الصارم أوقف
الجميع عند حدهم ، وبدأ الجميع يعيدون حساباتهم ، ويتنبهون
بأن السلطان يعترف بالجميل ، وفى نفس الوقت لا يفرط فى شئون
الحكم ، حتى بالنسبة لأقرب المقربين اليه . (١)

(١) مؤلف مجهول : تاريخ هندوستان ، ق ٢٣٢ أ ، - ق ٢٣٢ ب .
وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤٠٤ .
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٣ .

بعد التفرغ من تحكيم سلطته في البلاط وإثبات وجوده فيه ، بدأ السلطان يهتم بأمور قواده الكبار وولاته ، وضمان ولائهم لدولته أو التخلص منهم ، وكان الأزابكة وني أعمام السلطان في مقدمة الذين تسببوا في قلق السلطان وهددوا بقاء دولته ووحدتها ، إذ لم يكونوا يريدون بسط سيطرتهم على الدولة فحسب ، بل كانوا يرون أنفسهم أحق من السلطان أكبر ، في تولى أمور الدولة ، ولم يردعهم في ذلك ما حدث لمراكز القوى في البلاط .

كان قلق أكبر من الأزابكة وتخوفه منهم في موضعه ، لأنهم ألبوا بلاءاً حسناً مع هماليون في استعادة ملكه ، كما كان لهم دورهم في هزيمة هيمور الذي هدد بقاء الدولة ، فكانوا يرون لأنفسهم الفضل في استعادة الحكم ، وتوطيده ، وبالتالي كانوا يريدون أن تكون لهم كلمتهم في الدولة ، وهذا ما لم يكن السلطان يقبل به ، لأن تجربة أبيه علمته ألا يسمح ببقاء مراكز القوى داخل الدولة ، وأن لا يفوض أحدا سلطات كبيرة ، وأن يكون هو المسيطر على جميع شئون الدولة ، وفي هذا الإطار كان السلطان يرحب بكل قائد وكل رجل من رجالات أبيه أن يتولوا مناصب في الدولة ، ولكن يبدو أن الأزابكة لم يكن يروق لهم هذا القدر من السلطة والمكانة في الحكم ، لأنه على الرغم من أن السلطان

أكبر عفا عن زعيمهم على قلى خان الشيباني عدة مرات وأغض عينيه
عن تمرده وعصيانه ، وأقره على منصبه كحاكم لجونپور وقائد من
قواد جيشه ، إلا أنه كان يتناسى هذا العفو كلما سنحت له الفرصة
كما كان يستغل كل مشكلة للسلطان فى سبيل توسعة نفوذه
والإعداد للمجابهة مع قوات أكبر شاه ، ولقد انتهز فرصة زهاب
السلطان للقضاء على ثورة أخيه محمد حكيم مرزا حاكم كابل ، ودفع
هجومه على پنجاب ، فتزعم عصيان الأزابكة وجمع هو وشقيقه بهادر
خان حولهما حوالى ثلاثين ألف فارس ، وبدأوا فى الاستيلاء على
ماتيسر لهم (١) ، ولكن السلطان كان قد أعد لمعركة حاسمة إعدادا
سياسيا وعسكريا ، إذ أرسل مبعوثيه إلى حاكم بنكاله الذى كان
تربطه علاقات متينة مع على قلى خان الطقيب خان زمان ، ونجح
فى إقناعه بأن لا يقوم بمساعدة المتمردين خان زمان ، كما أرسل
مبعوثيه حسن خان خزانچى ومهاپاتر إلى حاكم أوريسه المجاورة
لبنگال (٢) ، وكان مهمتهما كسب وده وتحريضه بالقيام ضد سليمان -

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٢ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٦٧ .

كررانى حاكم بنكاله ، اذا استمر الأخير فى علاقاته الودية مع خان زمان
وبادرت تقديم الإمدادات العسكرية إليه ، إضافة الى أن أكبر شاه باغت
بقواته قوات الأزابكة فى موسم الأمطار ، كما ذكرناه فى موضعه ، وكان
لعنصر المباغتة هذه الأثر الحاسم فى تشتيت قوات خان زمان وقطعه
فى أواخر سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٢ م) وبذلك قضى على تمرد خان زمان وشقيقه
بهادر خان ، والذى استمر من بداية السنة الثالثة لجلوس السلطان على
عرش الحكم ، الى أوائل السنة الثانية عشرة منه ، وبعد هذه الضربة
القاصمة ، استقامت الأمور لأكبر وأصبح مسيطرا على قواده ، بعد أن
نجح فى القضاء على مراكز القوى المتنافسة فى البلاط ، وجدير بالذكر
أن تخوف السلطان من الأزابكة لم يكن ناتجا عن طموحاتهم وصراعتهم
على السلطة فحسب ، بل كانت هناك خصومة تاريخية بين الأزابكة
والدولة المغلية فى الهند ، لأن الأزابكة هم الذين طردوا
بابر جد أكبر من ملك آبائه فى سمرقند وفرغانه ، مما دفع ببابر أن
يتوجه نحو الهند بعد أن فشلت جميع محاولاته فى استعادة عرش
آبائه من الأزابكة فى ما وراء النهر ، وإضافة إلى أن الدولة الأوزبكية
كانت تتجاوز دولة السلطان فيما وراء جبال هند وكش ، فلم يكن يستبعد
أن يستنجد الأزابكة فى الهند ، ببني جلدتهم فيما وراء النهر ، وذلك
فى حالة اتساع نطاق التمرد واستمراره فترة أطول .

بعد أن قطع أكبر شاه مرحلة التمكين لدولته ، بدأ في التوسع والفتح ، ولقد استهل هذه المرحلة بالقضاء على خطر الراجپوت العسكرى ، وذلك إما بإخضاعهم قسرا أو باستمالتهم وكسب ودهم بالطرق السلمية ، ومعلوم أن الراجپوت كانوا طبقة عسكرية وأصحاب قلاع محصنة ، ورأى أكبر أن إخضاعهم لا يتيسر إلا بالاستيلاء على هذه القلاع ، حتى يؤمن دولته من أخطار مجاورة من جهة ، وليؤمن خط رجعتة أثناء توسعه وتقدمه إلى ما بعد منطقة الراجپوت مثل كجرات وغيرها ، ولأن بنى أعمامه من أبناء محمد سلطان مرزا وأحفاده قد لجأوا إلى كجرات واستولوا على بعض موانئها ، وكان السلطان أكبر حذرا جدا من بنى أعمامه ، فلم يكن يتساهل معهم أبدا فيما يخص بقاء دولته ، ولقد اتعظ جيدا في هذا المجال ، بما حدث لأبيه همايون الذى تساهل في أمر إخوتائه ، فكان من العوامل المهمة في طرده من الهند بواسطة شير شاه سور ، ومن هنا كان خطر بنى أعمامه ، يسير برنامجه في التوسع أو البعد فيه ، فكان البدء من راجپوتانا ، ليمهد الطريق أمام التقدم في كجرات وليؤمن طريق الرجعة إلى العاصمة ، ووفقى السلطان في إخضاع الراجپوت وأبنائها خطرهم العسكرى ، بعد أن تمكن من فتح قلاعهم ، وأهمها قلعة چتور ، ولقد تحمل السلطان في فتح هذه القلعة خسائر كبيرة في الأرواح ، ولكنه تمكن في النهاية من السيطرة عليها باستخدام وسائل فتح القلاع في ذلك

الوقت كالسباط والمورچل ، إضافة إلى استخدامه المتفجرات ، كما أقام السلطان مذابح جماعية بعد الفتح ، ليرعب الراجپوت بأنه جاد فيما ينوى عمله ، وفي نفس الوقت ، كان السلطان لا يغفل استخدام الطرق السلمية في كسب ود الراجپوت وإدخالهم إلى صفوف قواته ، حتى لا يحسوا بمذلة ، وحتى يستفيد السلطان أيضا من مهاراتهم العسكرية بصفتهم طليقة حربية من جهة ، ولأنهم أعرف بطبيعة راجپوتانا البشرية والطبيعية ، ولقد نجح السلطان في هذا الاتجاه أيضا ، حيث استخدم الراجپوت أنفسهم في تعقب فلول بنى جلدتهم وضم مناطقهم إلى دولة السلطان ، وبذلك فتاح الطريق أمام كجرات التي كانت تعيش في ظل من الفوضى وملوك الطوائف وعلى الرغم من أن السلطان أكبر باشر فتح كجرات مرتين ، واستطاع إلى حد كبير أن يملأ الفراغ الذي كانت تعاني منه هذه الولاية المطلة على المحيط الهندي ، إلا أن الأوضاع لم تستقر فيها إلا في الفترة الأخيرة من عمر ولاية السلطان ، إذ كانت الاضطرابات وحوادث التمرد تحدث بين حين وآخر ، ورأينا أن تمرد المرازوات وحدهم استمر ثلاثة عشر عاما (٩٧٣هـ - ٩٨٦هـ) وكانت كجرات في معظم الأحيان قاعدة لعصيانهم ، إضافة إلى أن ملوك الطوائف الذين فقدوا سلطانهم بعد فتح كجرات ، كانوا يترقبون كل فرصة سانحة ، لاقتطاع جزء من هذه الولاية .

على الرغم من أن أكبر شاه وضع في أولوياته ، قضية بنى أعماه وعدم

إتاحة الفرصة لهم ليصبحوا قوة تهدد دولته ، إلا أنه لم يففل أيضا خصومه التقليديين من خارج الأسرة التيمورية ، ونقصد بهم الأفغان الذين احتفظوا بنفوذهم في الأقاليم الشرقية ، وكانوا هم الآخرون لا يرون أنفسهم أحق بحكم الهند من السلطان أكبر فحسب ، بل ومن الأسرة التيمورية أيضا ، فلم يكونوا ليتردوا عن استغلال أى فرصة سانحة ، لطرد أكبر شاه من الهند ، وإرجاع سلطة الأفغان إلى دهلí . ومن هنا كانت أعمال الفتح متزامنا فسي كجرات والأقاليم الشرقية ، حيث كان السلطان يباشر أعمال الفتح فسي الأولى بنفسه ، كما كان الرجل الثانى فى دولته وهو خان خانان منعم خان ، يقود إخضاع الأقاليم الشرقية ، كما توجه أكبر شاه بنفسه إلى الأقاليم الشرقية بعد أن عاد من حملته الثانية على كجرات ، وترأس مجلس أركان الحرب بعد أن وصل إلى مدينة پتنه التى كان داود زعيم الأفغان وقواته يتحصن فى قلعتها ، وتقرر فى ذلك المجلس أن يقوموا بفتح قلعة حاجو پور أولا ، لأنها كانت منبع الإمدادات لقوات داود وأثبت هذا التكتيك جدواه إذ ، تمكنت قوات السلطان من فتح قلعة پتنه وانهزم داود وأسرع بالفرار ، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ٩٨٢ هـ كما أوضحناه فى حينئذ . ولقد كان هذا الفتح فى حقيقته فتحا لإقليم البنغال ، لأن الأفغان لم يستطيعوا بعده ، أن ينظموا مقاومة تصل إلى هذا المستوى ، وكما لم تشهد كجرات الاستقرار الكامل بعد فتحها ، فكذلك لم تستقر الأوضاع فى الأقاليم الشرقية أيضا ، وخاصة بعد وفاة منعم خان الذى تركت وفاته

فراغا كبيرا في إدارة البلدان الشرقية ، نتج عنه حدوث أعمال التمرد والعصيان في صفوف الموالين للدولة أيضا ، كما أصبحت ولايتا بنكالا وبهار في سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨١ م) في أيدي المتمردين الذين أخرجوا شرف الدين حسين - مرزا من سجنه وعينوه قائدا لهم ، ومعروف أنه من أفراد الأسرة التيمورية كما حشد حوالي ثلاثين ألف فارس حول المتمردين ، إلى أن تمكن مرزا عزيز كوكه في سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٤ م) من إعادة الأراضى التى استولى عليها المتمردون إلى سلطة الدولة بعد أن استطاع من استمالة الكثيرين منهم واسترضائهم وخاصة القاقشاليين منهم .

لقد كان لحوادث التمرد في الأقاليم الشرقية انعكاساتها في إقليم كابل الهام ، إذ اتصل المتمردون بحاكمها محمد حكيم مرزا وأغروه بالهجوم على پنجاب ، ولقد لبى محمد حكيم مرزا نداء المتمردين وقام بالهجوم على پنجاب ، في سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) ولكنه انسحب إلى كابل بعد أن طم نبأ توجه السلطان بنفسه إلى پنجاب ، وبعد وفاة محمد حكيم مرزا في سنة ٩٩٤ هـ (١٥٨٦ م) استقر أكبر شاه في إقليم پنجاب لترقب الأوضاع في كابل ، والاطمئنان على ولائها لدولته ، لأنها كانت ذات أهمية استراتيجية في الدفاع عن الهند ، أمام تقدم الأزابكة حكام ما وراء النهر ، الذين استولوا على بدخشان من أملاك التيموريين ، كما استولوا على أجزاء كبيرة من خراسان ، وذلك أصبحوا متاخمين لدولة أكبر شاه ، تفصل بينهما جبال هند وكش الشامخة ، وكان السلطان أكبر في خلال تواجده في پنجاب والذي استمر أكثر من عشر سنوات ،

يعد لمقاومة الأزابكة ، إن تعدد جبال هندوكش إلى كابل ، وفي إطار هذا الإعداد قام في خلال هذه السنوات بفتح كشمير وضم كابل إلى دولته بعد أن كانت تتمتع بنوع من الحكم الذاتي في حياة محمد حكيم مرزا ، كما تم في خلال هذه السنوات ، إخضاع الأفغان الساكنين بين پنجاب وكابل والذين كانوا يهددون الطريق بين الهند وكابل ، كما تم فتح السند وبلوچستان وكذلك استرد السلطان قندهار ، وكل هذا في إطار الإعداد لمقاومة الأزابكة إن أرادوا التوسع إلى كابل وقندهار وما بعدهما إلى الهند ، لأن الأزابكة استغلوا المشاكل الداخلية للصفيين في إيران وقاموا بالاستيلاء على خراسان ، وأصبحوا على مقربة من قندهار البوابة الثانية للتقدم نحو الهند ، وتمكن السلطان من إخضاع جميع هذه المناطق بالقسر والقوة أحيانا وبالسياسة أحيانا أخرى ، وذلك اطمأن على أمن طرق إمداداتها وخط الرجعة إلى الهند ، إن حدث أن اشتبك مع الأزابكة .

بعد أن اطمأن السلطان أكبر على الأوضاع في تلك المناطق وبعد أن توفي عبد الله خان أريك حاكم ما وراء النهر ، وانشغل خلفاؤه في المنازعات الداخلية ، بدأ أكبر شاه يوجه اهتمامه لفتح الدكن ، وكان قد سبقت أعمال الفتح ، اتصالات وتعدد المبعوثين للتعرف على الأوضاع والتمهيد للفتوح ، كما كان السلطان قد بذل أقصى جهوده في أن يتم فتح الدكن سلميا ، ولكن توحش الدكنيين من دولة المغل ، حال دون ذلك ، كما فشلت

محاولاته العسكرية فى ضم جميع الأقاليم الدكنية إلى دولته ، وذلك بسبب استماتة
الدكنيين فى الدفاع عن كيانهم والصمود أمام جيش المغل ، إضافة إلى
التنافر والتنافس الذى كان بين قواد الجيش المغلى ، مما تسبب فى عدم
التنسيق بين العمليات العسكرية ، وحتى حين توجه أكبر شاه بنفسه لم يأت
بالفوز الكامل الذى اعتاده أكبر شاه فى فتوحاته السابقة ، فافتنع بما حصل
عليه من دكن فى إقليم أحمد نگر ومرار وخانديس ، ورضى بالصلح الذى تم بينه
وبين حاكم بيجاپور والذى وثق بعقد المصاهرة بينهما أيضا ، وهكذا بلفت
فتوحات أكبر مداهما ولم يتمكن من ضم جميع الهند إلى حكمه كما كان يحلم بذلك ،
ولعل للظروف النفسية التى ابتلى بها أكبر ، كان لها أثرها فى وضع
حد لفتوحاته ، إذ فقد فى فترة وجيزة ابنه الأمير مراد والامير دانيال بسبب
إدمانهما شرب الخمر ، كما ثار عليه ابنه الأكبر وولى عهده الأمير سليم ، إضافة
إلى وفاة أمه التى كان يحبها كثيرا والتى كانت قد نجحت فى الوساطة بين
السلطان وابنه ، علاوة إلى قدرة الدكنيين الفائقة فى الصمود أمام حملات المغل ،
وذلك على الرغم من منازعاتهم الداخلية التى كانت تقوم بينهم بين الحين
والآخر.

ومتابعة أعمال السلطان فى الفتح والتوسع ، واستقراء حوادث شمسها
وملاحظة ملبساتها ، يمكننا أن نقرر أن استراتيجية السلطان كانت هى فتح
الهند بأكملها ، ولكنه لم يكن هناك برنامج محدد للفتح أو إطار جغرافى له ،

بمعنى أن الظروف والمقتضيات الأمنية لدولته وتواجد خصومه هنا وهناك ، هو الذى كان يسيّر أعماله فى الفتح والتوسع ، ولقد رأينا أن السلطان قام بفتح مالوه لأن خصومه من بنى أعمامه هربوا إلى هناك ، وكذلك بدأ السلطان بفتح راجپوتانا وقلاعها ، لأنها كانت تقع فى الطريق إلى كجرات ملجأ خصومه المذكورين ، وكذلك كانت الأعمال الحربية فى الأقاليم الشرقية ، لأنها كانت منطقة نفوذ الأفغان خصوم الدولة التقليديين كما كان قد هرب إليها بعض من بنى أعمامه أيضا ، وكذلك رأينا أن التطورات فى كابل ومدخشان وخراسان وإيران ، هى التى فرضت على السلطان توقيت البدء بفتح كشمير وكابل ومناطق الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوچستان وقتند هاره .

وطى أية حال لقد كان نتيجة كل هذه الفتوحات ، القضاء على عدد من الدول الإسلامية وعدد من الكيانات الراجپوتية الهندوكية ، وضمها جميعا فى دولة موحدة مركزية قوية مترامية الأطراف ، حكمت الهند لعشرات السنين ، وأجرت خضوع الهند للاستعمار الأوروبى ، ونحن إذا بحثنا فى العوامل التى ساعدت جلال الدين محمد أكبر شاه فى تكوين هذه الدولة الكبرى ، على أنقاض عدة دول وولايات ، نجد أن هناك عوامل كثيرة تقف وراء هذا النجاح الكبير أهمها : شجاعة السلطان أكبر وهمة العالية ، وعبقريته السياسية والعسكرية ، وعدم استسلامه لأية موانع ، وتحديه الصعاب والعقبات وعدم تطرق اليأس إليه ، ولقد باشر بنفسه أكثر الفتوحات المهمة والصعبة ، وكذلك الإعداد للمعارك إعدادا سياسيا وعسكريا وأمنيا ، فهناك كما رأينا اتصالات قبل دخول المعركة

فى محاولات للحصول على الفتح والطاعة دون الحرب ، كما وجدنا أنه كان يتصل بالقوى المؤثرة والمجاورة للمناطق التى يراود فتحها ، بفرض كسب ود هذه القوى أو تحييدها على الأقل ، إضافة إلى الإعداد والعسكرى إعدادا جيدا فى مجال التجهيز والمعدات والتدريب والمناورات ، للتأكد من قدرات القوات القتالية ، كما كان يعمل دائما لتأمين الطرق وخط الرجعة ، وكانت الوحدات الاستطلاعية تقوم بمهمتها التجسسية العسكرية خير قيام ، فلم يحدث أن بوغت قوات السلطان أو قطع عليها خط الرجعة وطرق الإمدادات ، إلا إذا استثنينا بعض الحالات النادرة مثلما حدث لقوات السلطان فى الحدود الشمالية الغربية بقيادة راجه بيربل الهندوكى .

كذلك كان لعنصر المباغته وأخذ زمام المبادرة دور كبير فى انتصار قوات السلطان على أعدائه وخصومه ، وقد رأينا دور هذا العنصر فى معارك كثيرة ، منها معركة السلطان مع قائده المتمردين على خان شيبانى ومنها أيضا عودته إلى كجرات ثانية ، حيث قطع مسافة شهرين فى خلال تسعة أيام وباغت بذلك قوات خصومه المؤلفة بقيادة محمد حسين مرزا .

كذلك كان السلطان لا يفصل عن استخدام أية وسيلة من وسائل الفتح والحرب ، من قبيل استخدام المدفعية والبندقية والمتفجرات والساباطات والمورچلات وغيرها ، وعلى الرغم من أن خصومه كانوا يملكون أيضا هذه الوسائل إلا أن السلطان نجح فى استخدام هذه الوسائل إلى أبعد الحدود ، إضافة

إلى أنه وفق فى جميع أعداد كبيرة من الفنيين وأصحاب المهارات لتشغيل هذه الوسائل وصيانتها وتدريب الجنود عليها .

كذلك كان لسياسة اللين والشدة دورها فى كسب ود المخالفين أحيانا وإرعابهم أحيانا أخرى ، وكان السلطان يرجح دائما العفو واستخدام الطرق السلمية فى معاملته مع خصومه ، وإذا لم ينجح هذا الأسلوب ، التجأ إلى الشدة والقسوة أحيانا ، حتى يربح أعداءه ، ويكون مصيرهم عبرة للآخرين ، ولقد رأينا السلطان يستخدم هذه السياسية فى جميع معاركه وفتوحاته ، فلقد عفا عن قائد المتمردين على خان عدة مرات ، وبعد تأكده من أن هذا الأسلوب لا ينفع فى معاملته له ، باغته وقضى عليه نهائيا ، كما أنه استخدم مهارات الراجيوت القتالية ورقى بعضهم إلى مناصب عالية فى الجيش وفى غير الجيش ، ولكنه عالمهم بقسوة بالفة فى فتح قلعة چتور ، حيث أقام هناك مذابح جماعية راحت ضحيتها آلاف من الراجيوت ، وذلك بعد أن تأكد من عدم خضوعهم إلا بهذا الأسلوب ، حتى يعيدوا حساباتهم ويجددوا النظر فى معاملتهم مع السلطان ، لأن القلاع المحصنة لا تحميهم أمام جديده السلطان ، وبهذه السياسة وهى اللين والعفو أولا والشدة والقسوة ثانيا وأخيرا ، استطاع السلطان أن يخضع معظم الراجيوت وأن يسخر قدراتهم القتالية لصالح دولته وخططها التوسعية .

ومن ضمن التخطيط الجيد لخوض المعركة ، كان السلطان يهتم كثيرا
فى ضرب حصار ناجح ضد قوات خصومه وقطع طرق الإمدادات عليها ، ولقد
رأينا أثر هذه الخطة فى فتح قلعة چتور ومعارك قوات السلطان فى الأقاليم
الشرقية وفى كجرات وغيرها ، كذلك كان هناك السعى والتحرى لضرب أو قتل
أو أسرقائد العدو وأثناء المعركة ، ونجح هذا الأسلوب فى مواضع متعددة ،
منها إصابة هيومز فى پانى پت ، وقتل جيمل فى قلعة چتور وأسرى محمد
حسين مرزا فى كجرات وداود أفغان فى بنكاله .

كذلك كان السلطان يكرم الذين يقدمون خدمات ناجحة فى المعارك
فيرقيهم فى المناصب ويقدم لهم الخلع ويزيد فى معاشاتهم ، كما أنه كان يمنع
قواده من الحضور إليه لفترة ، إذا ثبت أنهم لم يجدوا فى طلب الخصم ، وهذا
مثل ما رأيناه فى معاملته مع قواده الذين أرسلهم لفتح كشمير ولكنهم رجعوا
بما هو أقل من الفتح .

أيضا هناك دور كبير لفتح القلاع أو إقامة قلاع جديدة فى فتوحات
السلطان وأعماله التوسعية ، وفى الحقيقة كانت القلاع عبارة عن قواعد عسكرية
فإذا فتحت أو دمرت ، أصبحت المدينة بلا دفاع ، ومن هنا كان الاهتمام
بالقلاع بفتح القلاع ، كما بادر السلطان بإحداث مثل هذه القلاع هنا
وهناك لأسباب أمنية ودفاعية ؛ ولقد رأينا أن محاولات قوات السلطان
لإخضاع الأفغان فى الحدود الشمالية الغربية لم تثمر ، إلا بعد أن رأى راجه
تود رمل إقامة قلاع فى المناطق الجبلية ذات الأهمية الإستراتيجية .

كذلك كان خصوم السلطان أكبر ينقصهم التنسيق العسكرى فيما بينهم ،
ولكنه لا يقلل بأى حال من الأحوال من أهمية انتصارات السلطان أكبر ،
فى المعارك التى خاضها ضدهم ، لأن قوات خصومه لم تكن أقل عددا وعدة
من قوات السلطان إن لم تكن تفوقها وقبل هذه العوامل ويعدّها
نرى دور القدر وحسن الحظ يقف بجانب انتصارات السلطان ونجاحه فى تكوين
هذه الدولة المترامية الأطراف ، وخاصة فى مثل تلك البيئة الطبيعية
والبشرية ، وفى ظل بدائية المواصلات وأسباب الحمل والنقل وتلك
الطرق البعيدة التى يستغرق قطعها بوسائل النقل الحديثة ، ساعات
وأياما .

لم تكن إنجازات عصر السلطان أكبر هي خوض المعارك والانتصار فيها فقط ، بل كانت نتيجة هذه المعارك الكبيرة والكثيرة وانتصارات السلطان فيها ، تكوين دولة موحدة قوية مترامية الأطراف ، لقد كانت حدود هذه الدولة في توسع دائم ، إلى أن توقفت في دكن واقتنع السلطان بما استولى عليه في هذه المنطقة ، وترك الباقي إلى حكام دكن المسلمين ، وبطبيعة الحال تستوجب مثل هذه الدولة النظم التي تقوم عليها ، وتسييرها في وقت السلم والحرب ، فكان السلطان أكبر على رأس هذه الدولة الكبرى وفي جميع مراحل تكوينها وتوسعها ، إلا إذا استثنينا السنوات الخمس الأولى من جلوسه على عرش الحكم ، فقد كانت جميع السلطات بيده ، إلا أنه كان يستشير دائما أهل الخبرة ، كما كان يساعده في تصريف مهام الحكم الوكيل أو المشرف على الديوان ، والديوان وهو الوزير ، إلا أن منصب الوكالة لم يشهد نفوذه الحقيقي بعد إقصاء بيرم خان عنه وإعفاؤه من سلطاته ، ولقد نجح السلطان في اختيار وزراء أكفاء قاموا بالمهام المخولة إليهم خير قيام ، ويأتي في مقدمة هؤلاء الوزراء ، الوزير الهندي وكس راجه تودرمل الذي تولى الإشرافية على الديوان أيضا ، كما كان هناك العديد من الإدارات في خدمة البلاط .

لقد قسم السلطان ملكه إلى خمس عشرة صوبة أو ولاية ، وكانت كل ولاية تشتمل على عدد من السركارات ، كما كان كل سركار يتضمن

العديد من القصبات ، فكان هناك خمس ومائة سركار موزعة فى خمس عشرة ولاية ، كما كانت ٢٧٣٧ قصبية تتوزع فى ١٠٥ سركار ، وكان سپه سالار أوقائد الجيش على رأس كل ولاية ، ينوب عن السلطان فى تصريف مهامها ، كما كان على رأس كل سركار فوجدار ، وعلى رأس كل محطة ، مير محطة ، وبعد أن توسعت الدولة أكثر ، أحدث السلطان منصب الوزارة فى الولايات أيضا وذلك فى سنة ١٠٠٣ هـ (٥٩٤ م) ، فكان هؤلاء الوزراء يقومون بتصريف الشؤون المالية للولاية ، ويكونون مسئولين أمام الديوان ، ولقد عين السلطان ثمانية وزراء هند وكيين من أصل اثنى عشر وزيرا عينهم على منصب الوزارة فى الولايات .

كان الجيش من أهم أركان الدولة ، وهو يكون العمود الفقرى لدولة قضت معظم أوقاتها فى الحروب المتواصلة هنا وهناك ، ولقد وزع الجيش إلى وحدات تتكون من عشرة جنود إلى عشرة آلاف جندى ، ولقد كان السلطان حذرا من ترقية قواده إلى منصب يقودون فيه وحدة أكثر من خمسة آلاف جندى فكانت الوحدات التى تزيد عن هذا الرقم من نصيب أبناءه الثلاثة الأمير سليم والأمير مراد والأمير دانيال ، كما كان للسلطان حرسه الخاص الذى كان يسمى بأحدى

ولقد اختطف المؤرخون كما رأينا فى حينه ، فى عدد قوات جيش السلطان ، فمنهم من قدره بخمسة وعشرين ألفا ، ومنهم من ذكر أنه كان

مائة وأربعين ألفا ، كما ذكر البعض أن عدد أفراد الجيش كان يصل الى مليونين بل وإلى أربعة ملايين ، ويبدو أن الأرقام الأخيرة ليست مبالغا فيها ، لأنها لا تشمل المحاربين وحدهم ، بل تشمل المحاربين وسائر المنسولين إلى الجيش ، الذين يقومون بأداء واجباتهم تجاه هؤلاء المحاربين ، لأنه اذا رأينا أن خمسين ألفا من الجنود قد اشترك في حملة ما ، فيلزم أن يكون هناك ثلاثة أضعاف هذا العدد ممن يصحبون هذا الجند ، فيعدون له المعدات ويقومون بالشئون التموينية للجند ، كما يعملون لتوفير الاكل والخدمات للفيلة والخيول والجمال المشتركة في هذه الحملة ، لأننا نتكلم عن أوضاع مضي عليها أكثر من أربعة قرون ، فكانت وسائل الحمل والنقل فيها ، عبارة عن الفيلة والجمال والخيول والبغال ، ومعلوم أن تلبية ضروريات خمسين ألفا من الجنود ، ومتطلبات المعركة التي يخوضونها ليست أمرا سهلا وخاصة في مثل هذه الدولة المترامية الأطراف وتلك الصعاب والتحديات التي كانت أمامها ، ولا ننسى أيضا أن الدولة خاضت حروبا برية متزامنة في الغرب والشرق والشمال ، إضافة إلى ترقبها للاضطرابات التي كانت تحدث هنا وهناك ، فطبيعى أن يضم مثل هذا الجيش في صفوفه آلافا مؤلفة من الجنود والمنسولين راليه ، ومن هنا نرى أن ميريشي يجيء ذكره في كل حملة وفي كل جند ، وهو الذي كان يرأس الشئون التموينية للجيش ويقوم بصرف معاشاتهم ومستحققاتهم .

لقد وضع السلطان دستورا لدولته وسماه " دستور العمل " وطلب من كبار منسوبي دولته وصغارهم التقيد بما يتطلب منهم ذلك الدستور ، ولقد أكد في الدستور الحرص على تسهيل أمور الناس والسهر لخدمتهم وتلبية طلباتهم ، كما تضمن على حرية البيان والرأى وحرية العقيدة ، وكذلك أكد لمنسوبي الدولة ضرورة الأخذ بالمشورة والابتعاد عن الاستبدادية ، كما أشار الدستور الى ضرورة العمل للتنمية الزراعية وتقديم التقاوى للمزارعين ، ولقد خصص جزء من الدستور في تشريح المهام الملقاة على عاتق كوتوال وهو أقرب الى المحتسب ونظام الحسبة ؛ إذ كان على كوتوال أن يقوم بالعديد من المسئوليات التي تقوم بها حاليا العديد من الوزارات والإدارات ، ومنها ما تقوم به اليوم البلديات ، وإدارات الجوازات ودوائر الأمن .

كما حاول السلطان أكبر جاهدا أن يدرأ عن بلاده خطر المجاعات المروعة التي كانت تدهمها حين كانت تجذب الأرض بسبب انحباس الأمطار الموسمية عنها ؛ فاهتم اهتماما بالغا باستصلاح الأراضي البور ، وحفز الأهالي على الاشتغال بالزراعة وتوسيع رقعة الأراضي المنزرعة ، وأمدهم بما يحتاجونه من البذور وعاونهم على زيادة إنتاج الأرض ، وكان من ثمرة هذه الجهود ، أن نعم الناس في الغالب بحياة طيبة لم يألفوها منذ زمن بعيد ، وازدهرت عيشتهم ، وصارت الأسعار في متناول أيديهم جميعا ، وكان السلطان يعاقب الأمراء الذين يظلمون الأكره القائمين بخدمته

الأراضى (١) ، كما كانت التجارة نشطة فى داخل الدولة وخارجها ، إضافة إلى وجود العديد من الصناعات وكميات خيالية من الذهب ووجود الثروة الحيوانية ، تسهم بدورها فى إنعاش اقتصاد الدولة .

أما فى المجال الثقافى والفنى فقد عمل السلطان أكبر لتجميع العلماء من هنا وهناك ، وإغراء أصحاب التخصصات والفنيين للقدوم إلى دولته ، ولقد شهد عصر السلطان أكبر حركة نشطة فى الترجمة والتأليف ، حيث ترجمت عشرات من الكتب إلى الفارسية ، لغة الثقافة والدبلوماسية فى ذلك العصر ، وما يذكر أكبر أنه أحيا التراث الهندى القديم بترجمة أمهات كتبهم وفى مقدمتها ، كتاب مها بهارت .

كما ازدهرت الفنون المختلفة وخاصة الفن المعمارى ، وتأتى قطعة آكره وبناء مدينة فتحپور العاصمة الجديدة وبناء جامعها ، فى مقدمة إنجازات عصر السلطان أكبر المعمارية .

وما يذكر للسلطان أكبر أيضا ، أن فى عصره بدأ تسيير قافلة الحجيج الهندية إلى الأراضى المقدسة فى الحجاز على غرار القوافل

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية

وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١١٨ .

شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

المصرية والشامية ، وكان يرأس القافلة أمير الحج الذى كان ينوب عن
السلطان فى قيادة الحجيج ، كما كان يسلم إلى أمير الحج معونات ، ليقوم
بتوزيعها على الفقراء والمحتاجين فى الحرمين الشريفين ، وكذلك أطلق
السلطان أن الدولة تتكفل بتكاليف الذين يريدون أداء فريضة الحج
وهم لا يقدرّون على ذلك .

من العوامل التى أدت إلى توطيد أركان دولة السلطان أكبر ، نجاح
السلطان فى كسب ود معظم الراجپوت والهنادكة على وجه العموم ، وجبرهم
فى صف الموالين للدولة والدفاع عنها ، وحصل السلطان على هذا النجاح
بعقد المصاهرات وإباحة المناصب الكبيرة للراجپوت ولغيرهم من الهندوكيين
ولقد وصل هؤلاء إلى أعلى مناصب فى الوزارة والقيادة ، كما أصدر
السلطان أوامره بإعفائهم من تأدية الجزية ، وكذلك اعفأهم من دفع الرسوم
أثناء زيارتهم أماكنهم المقدسة ، كما حافظ السلطان على معابدهم ، وعمل
لترجمة أمهات كتبهم المقدسة وإحياء تراثهم القديم ، ومقابل ذلك كله
أعطى الراجپوت ولأهلهم وإخلاصهم للدولة ، وعطوا على مساعدة الدولة ضد
المتمردين وضد أعداء الدولة ، ولقد كان للتجارب التى مرّ عليها همايون ،
الأثر الأكبر فى انتهاز السلطان هذه السياسة تجاه الهندوكيين الذين كانوا
يكونون غالبية رعاياه ، كما أن السلطان لم يساير جميع معتقدات الهندوكيين ،
بل قام بإصلاحات اجتماعية فى المجتمع الهندوكى منها السماح للأرطة بالزواج
ثانية ومنعها من إحراق نفسها إذا مات زوجها .

إن القضية المثيرة للجدل والتي شوهت سمعة السلطان عند المسلمين هي أنه ابتدع مذهباً جديداً سماه "دين إلهي" ، ولقد سكت المؤرخون المعاصرون عما شاع من انحرافات السلطان العقائدية ، ما عدا عبدالقادر بدايوني مؤلف منتخب التواريخ الذي تعرض لهذا الموضوع بجرأة فائقة وقدم تفاصيل مثيرة ، التي ذكرنا بعضها فيما سبق .

إذا رققنا النظر في العوامل التي أدت بالسلطان إلى أن يبتدع ذلك المذهب الذي سمي بالدين الإلهي ، نرى أنه تطبيق لوصية جده بابر شاه والتي تركها لابنه الأكبر وولي عهده همايون شاه ، كي يختار منها للحكم في الهند ، وما جاء في هذه الوصية :

عليك أن تحتزم من التعصب المذهبي ، وتراعى جذبات الناس الدينية ورسومهم ، وأن تتعامل مع مختلف الطوائف بالانصاف ودون التبعيض ، اجتنب من ذبح البقر حتى تختار موضعاً في قلوب الناس ، وحاول أن تكون طاعتهم لك عن طريق إحسانك إليهم .

احتزم من تخريب معابد مختلف الطوائف ، وكن منصفاً في معاملتك مع أرباب جميع المذاهب ، حتى تقوم الروابط بين الرعية والملك ، على أساس من الود ، وبذلك يكون قد تيسر للبلاد الأمن والأمان ، ويستحسن أن تقوم بنشر الدعوة الإسلامية وإشاعتها ، عن طريق الرفق والإحسان ، لا عن طريق الظلم والسيوف .

ابتعد عن خلافت الشيعة والسنة ، لأنها تتسبب في ضعف الإسلام ،
طيك أن تراعى خصائص رعاياك في مختلف مواسم العام ، حتى تكون سلطنتك
بعيدة ومصؤونة عن المرض والضعف . (١)

ولقد أخذ السلطان أكبر بهذه الوصايا ، وذهب في تطبيقها الى أبعد
الحدود ، وإلى درجة مفرطة ، كما تمسك السلطان بالنصح الذي قدمه الشاه
طهماسب الصفوي إلى والده همايون ، حيث نصحه بأن يقيم علاقات ماهرة
وانتساب مع كبار زعماء الهند وكيين ، حتى يكونوا مدين ومعاونين للدولة ،
أثناء التفرقة (٢) ، وكأن ابتداء ما سعى بالدين الإلهي كان تتويجا لهاتين
الوصيتين ، فلم يتعصب السلطان لطائفة ضد الأخرى ، ولم يتعرض لطقوس
مختلف الطوائف الموجودة بالهند ، كما أكثر من زيجاته الهندوكيات ، وترك
لهن مطلق الحرية في التمسك بطقوسهن المذهبية ، وكان السلطان يقول :
إن الله سبحانه وتعالى قد فوض إليه الحكم والملك ، ليقوم بالحراسة والمسئوليات
الطاقة على عاتق الراعي ، والعمل لخير خلق الله والإحسان معهم ، ولم يعطه
الحكم ليسخره في استجماع الذهب والفضة ، ولا نشغال بتزيينات العرش (٣) ،
وكان يعتبر نفسه أبا لرعاياه ، بدرجة أنه صرح ، لو كان يعرف ما عرفه في الفترة
المتأخرة ، لا حترز عن الزواج من سكان الممالك المحروسة ، لأن الرعايا فس

(١) عبد الحى حبيبي : ظهير الدين محمد بابر شاه ، ص ٩٢ .

(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٣ .

(٣) محمد عبد الله خان : تذكرة في سير آكره ، ق ٣٨ أ .

حكم أولاده (١) ، ويذكر ولي عهده أنه سأل أباه عن السبب الذي يمنعه من أن يقدم إلى تخريب بيوت الأصنام ، أو حظر الدخول إليها ؟ فأجابه بأنه ياد شاه وظل الله ، وكما أن الله تعالى رحيم لجميع خلائقه يجب علينا أيضا أن نكون رحما ، وأن يكون أسلمونا السلام مع الجميع ، إضافة أن خمسة من كل ستة أفراد من رعايا الهند كفار و هند وكيون ، ولا يكون الحل إلا بقتلهم جميعا ، فتركهم أولى (٢) لأن الدائرة الوسيعة للرحمة الإلهية تتسع لجميع الطوائف وأرباب الملل ، فيجب على الظل أن يكون شعاع الذات ، ومن هنا كان أرباب الملل المختلفة يعيشون في أرجاء دولته الواسعة ، وهذا بخلاف ما كان فسي سائر ولايات العالم ، فلم يكن للشيعة محل إلا في إيران ، كما لم يكن للسنيين مكان إلا في الروم و هند وستان و توران ، وأما في ممالك المحروسة ، فكان أرباب الملل المختلفة والعقائد الصحيحة والناقصة ، يعيشون بأمن وسلام ، فكنت ترى السني والشيعة يصليان معا في مسجد واحد ، كما كان الإفرنجي يدخل الكنيسة مع اليهودي من أجل العبادة)) كما كان السلطان يتودد مع فضلاء كل طائفة ودين ومذهب ، ويقضي معظم أوقاته في صحبة علمائهم وعلى الأخص مع طمء الهنود الذين كان يقال لهم پنجه تان ، وعلى الرغم من أنه كان أميا ، إلا أنه من كثرة مجالسته مع العلماء وأرباب الفضل ، كان يبدو في الباشات على هيئة لم يكن يعرف أحد بأميته (٣) ، وكان السلطان يرى أن السلاطين

(١) بهگوانداس : تاريخ أباء وأجداد شاه جهان ، ق ١٠٩ ب .

(٢) سليم شاه الهندي : تاريخ أكبر شاه ، ق ١٢ ب .

(٣) محمد هادي : توزك جهن نكيري ، ص ١٥-١٧ .

مفوضون من الله ، فيجب أن لا ينظروا إلى التخالف والتنازع في الدين ، بل يكونوا كنور الشمس الذي يسطع على المحسن والمسيء على السواء ، ومن هنا كان يريد أن يتعايش المسلمون والهندوكيون والزردهشتيون والنصارى وسائر أهل المذاهب في سلام ووثام ، وأن يعبد ربه كل حسب دينه ومذهبه (١) ، ويلاحظ من كل هذا أن السلطان تمسك بوصية جده ، وحاول أن يكون المذهب الذي ابتدعه ، ديناً وعقيدة للجميع ، زاعماً أنه بهذه الطريقة سيقضى على المذاهب المختلفة في الهند ، ويضمن لدولته قاعدة شعبية موحدة ، ونسبى أن إجراء كهذا لا يحل المشكلة فحسب ، بل يعقدها أكثر ويضيف مبتدعاً جديداً في المذاهب والمشارب المتعددة الموجودة بالهند ، وكذلك لا يمكن كسب ود القاعدة الشعبية بطريقة كهذا ، إذ على الرغم من أن السلطة قد تجد الذين يوافقونها في مثل هذه الإجراءات ، إلا أن غالبية أتباع المذاهب والأديان المختلفة ، ترى في مثل هذا إجراءً تنقيصاً لمعتقداتهم ، فتكون النتيجة أن تفقد السلطة ثقة الجميع ، فكان من الأحسن بل ومن الواجب على السلطان ، التمسك بالإسلام عقيدة وشريعة ، والعمل على نشره وإشاعته بالطرق السلمية ، واتخاذ سياسة التسامح مع الآخرين ، إذ ليس معنى عدم التعصب ، التكاسل إزاء ما تتطلبه العقيدة الإسلامية ، إضافة إلى أن دولة بدون دعوة لا تصلح للبقاء ، ولا سيما في مجتمع يموج بمختلف المذاهب والمشارب ، كالمجتمع الهندي ، وصحيح أن السلطان نجح في حكم دولته

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٠-٣٧١ .

وتدعيم أركانها ، ولكنه نجاح مؤقت لا يصلح أن يكون أصلا ومنها جا ، لأن الفرق كبير جدا بين أن تعتمد الدولة على قاعدة إسلامية واعية وفيية ، وبين أن تكون اتكاؤها على مختلف الطوائف وأصحاب الأحقاد والعقد .

إن الشيء الذى يجب الإشارة إليه عند البحث عن العوامل التى أدت الى ابتداء ذلك المذهب ، هو أن السلطان لم يكن قد تطقى أية تربية إسلامية لأن الظروف التى ولد ونشأ فيها ، حالت دون ذلك ، إذ طرد أبوه من الهند ولجأ إلى إيران ، وبقي ابنه الرضيع عند أعمامه فى كابول ، ولما عاد همايون مظفرا إلى الهند ، لم يمهله الأجل لكى يدبر تربية ابنه وتعليمه ، فانشغل أكبر بالحكم وهو صبي أمي ، فنشأ السلطان دون أن يملك تصورا صحيحا من الإسلام ، فنراه يغفلون فى زيارة الأضرحة والطواف حولها ، والاستمداد منها ، ويقطع مسافات طويلة مشيا على الأقدام ، احتراماً لضريح خواجه معين الدين چشتى فى أجير ، وكذلك رأينا أنه أقدم إلى الزواج بالهندوكيات ، قبل إعلان الدين الإلهى بفترة طويلة ، وذلك على الرغم من أن الإسلام يحرم على المؤمن أن ينكح المشركة ، ومن جهة أخرى كانت الساحة فارغة من دعاة إسلاميين ، يقومون بتوعية السلطان وإرشاده وجهة إسلامية صحيحة ، وبدلاً من هذا انشغل العلماء بالخلافات الشخصية وتبادلوا الاتهامات والشتائم ضد بعضهم البعض ، كما عم الفساد والرشوة وحب الدنيا أوساطهم الرسمية (١) .

(١) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .

ان الشيء المؤكد أن السلطان لم يدع الألوهية أو النبوة ، لأنه ليس هناك ما يثبت ذلك أو يشير إليه ، إضافة إلى أن السلطان نفى هذه الاتهامات بشدة في الرسائل التي بعثها إلى عبد الله خان أريك حاكم ما وراء النهر وأشرف مكة المكرمة ، كما ذكرناه في حينه ، وما جاء في رسالته إلى عبد الله خان هذه القطعة الرباعية (١) :

قيل إن الاله ذو ولد قيل إن الرسول قد كهنا
ما نجا الله والرسول معا من لسان الورى فكيف أنسا

وكان عبد الله خان قد سمع أن أكبر قد ادعى الألوهية والنبوة ، فأوقف مراسلاته معه ، وبعد فترة استأنف حاكم ما وراء النهر اتصالاته مع السلطان ، مشيراً إلى أن سبب توقفه كانت تلك الإشاعات التي سمعها ، فكتب السلطان في جوابه ينفى التهم المنسوبة إليه ، كما يؤكد جهاً نكيراً أن أباه لم ينحرف قد رشعيرة عن التواضع والخشوع لله جل جلاله ، وكان يعتبر نفسه أقل مخلوق من المخلوقات ، ولم يغفل عن ذكر الحق لحظة واحدة (٢) ، وإذا صح أن بعض الناس قد نسبوا إليه دعوى النبوة أو الألوهية ، فإنه هو غير مسئول عن عقائد الناس والهنادكة الذين تعودوا أن يروا آلهتهم ، تسير على الأرض (٣)

-
- (١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٣ .
(٢) محمد هادى : توزك جهاً نكيرى ، ص ١٧ .
(٣) إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٩ .

كذلك لم يحاول السلطان حمل الناس على الدخول في مذهبه الجديد ، فلم يلقى بالا ، إلى رفض راجه بهكو أنداس و راجه مانسنك الاستجابة إلى دعوته ، ولا إلى احتجاج قائده وأخيه من الرضاة مرزا عزيز كوكه ، ورغم أنه كان بوسعه أن يحمل كثيرا من رجاله على الانتظام في مذهبه ، وبالرغم من أن فريقا من الناس ، التفوا حول المذهب الجديد ، جلبا للنفع وطمعا في اكتساب الحظوة في الغالب ، فإن الفشل التام قد أصاب الباد شاه في مشروعه هذا الذي لم يكن ليقوى أبدا على هدم التقاليد الموروثة ، فلبثت الغالبية العظمى على استمسакها بعقائدها ومذاهبها . (١)

(١) أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية

وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١١٠-١١١ .

إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٩ .

ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٤٣ .

وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤٣ .

رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٩٢ .

إذا نظرنا إلى العلاقات التي كانت قائمة بين دولة أكبر وجارتيهما ،
توران وإيران ، نجد أن هذه العلاقات ، كانت مبنية على الحيطة والحذر ،
مع الدولة الأوزبكية في ما وراء النهر أو توران ، وعلى أساس من الود والصداقة
مع الدولة الصفوية في إيران ، وكانت السوابق التاريخية وراء تلك الحيطة
وهذه الصداقة ، إذ طرد الأوزك جد أكبر شاه من ما وراء النهر ، وحلوا
محل التيموريين في حكم تلك المناطق ، في حين وقف الصفويون إلى جانب
بابر شاه في حروبه ضد الأوزك ، كما ساعدوا همايون شاه في استعادة حكمه
في الهند .

كانت الرسائل والرسائل تتبادل بين السلطان أكبر وزعماء هاتين الدولتين ،
ولقد توترت العلاقات بين أكبر شاه والدولة الأوزبكية في ما وراء النهر ، وذلك بسبب
استيلاء الأوزك على بدخشان التي كانت تتبع سلطان الهند اسميا ، ثم توفي
محمد حكيم مرزا حاكم كابل ، وأصبح السلطان أكثر قلقا من نيات الأوزك
التوسعية ضد كابل بوابة التورانيين إلى الهند ، فأسرع السلطان إلى
پنجاب ليراقب من هناك التطورات ، وبدأ السلطان يستعد للمواجهة العسكرية
وفي نفس الوقت استمرت الاتصالات السياسية بين الجانبين ، استطاعت أن تجنب
الطرفين مخاطر الحرب بينهما ، وكانت المجاملات الدبلوماسية تتبادل في رسائل
الجانبين ، إلا أن قلق السلطان أكبر لم ينته من هذه الناحية إلا بعد وفاة
عبد الله خان أوزك وحدث الاضطرابات التي أعقبت وفاته ، وانقسام ملكه إلى
ملوك الطوائف ، كما أوضحنا ذلك حين تناولنا علاقات أكبر الخارجية .

لقد كان أكبر شاه ، واقعيا في سياسته مع جارتيه الدولة الأوزبكية ،
ان على الرغم من استيلاء الأوزك على بدخشان ، إلا أن السلطان رضى أن تكون
جبال هندوكوه حدا فاصلا بين الدولتين ، وصرف السلطان كل همه
بأن لا يتعدى الأوزك ذلك الحائل وأن لا يهددوا أمن كابل ، ونرى
أن السلطان لم تكن عنده طموحات في إحياء دولة أجداده ، فيما وراء
النهر ، بل كل همه كان في الهند وبلهند ، واهتماماته بالتطورات في
داخل توران ، كانت من منطلق الدفاع عن الهند ، فمن هنا أغنى عينيه
عن التطورات التي حدثت في بدخشان ، وعطت للحفاظ على ما بعد بدخشان ،
لأنها لم تكن على درجة من الأهمية بالنسبة لأمن الهند ، ولكنه لم يفرط
في أمر كابل التي كانت تعنى الكثير بالنسبة لأمن الهند .

وأما علاقات السلطان بالصفويين ، فكانت علاقات ود واحترام وتعاون ،
ولقد تنازل أكبر شاه عن قندهار لإيران ، تنفيذاً للوعد الذي قطعه أبوه عندما
كان لا جثا هناك ، ولكنه عندما تقدمت القوات الأوزبكية إلى خراسان وأصبحت
على مقربة من قندهار ، أسرع السلطان إلى استعادتها حتى لا تقع بأيدي
الأوزك ويهددوا أمن دولته من هذه الناحية التي تعتبر بوابة إيران إلى
الهند ، وفي ضوء ما قلناه من أن طموحات السلطان كانت تنحصر في الهند ،
انتهج سياسة حيادية تجاه النزاع القائم بين الأوزك والصفويين وامتنع عن
تأييد أى من الجانبين ضد الطرف الآخر ، وذلك على الرغم من الخصومة

التاريخية بينه وبين الأريك ، وعلى الرغم من أن قلقة من نيات الأريك التوسعية ، جعله يوقف متابعتة الشخصية لفتوحاته فى الهند ، ويركز اهتمامه فى الحفاظ على أمن كابل والمناطق الواقعة بينها وبين ولاية پنجاب .

يلاحظ أن السلطان أكبر بيد وفى رسائله مع عبد الله خان أريك ، أكثر توددا له ويخاطبه كالثند للند ، فى حين تتضمن رسائله إلى الشاه عباس الصفوى ، تقديم النصح له وتوجيهه إلى ما يراه صوابا فى تصريف مهام الحكم ، كذلك نرى أن أكبر يراعى فى رسائله سنية عبد الله خان وشيعة الشاه عباس ، مع التأكيد والتركيز أو الدعوة الضمنية لمذهبه وهو التعايش السلمى بين الجميع ومحاولة التأليف بين مختلف الطوائف ، كما يلاحظ أن السلطان يقوم فى رسائله تلك ، بسرد بعض الفتوحات والأعمال التى قام بها فى توحيد ممالك هندوستان الفسيحة ، وكأنه نوع من المناورة والعرض للقوة ، حتى يحسب له جيرانه ألف حساب ، وإن أرادوا فى وقت ما ، المساس بسيادته وسلامته أراضييه ، ومن هذا كله يمكننا القول أن أكبر كان ناجحا فى صياغة علاقاته الخارجية .

وأما عن علاقات السلطان أكبر بالدولة العثمانية ، فنرى أن المصادر التى توفرت لدينا ، تلتزم الصمت فى هذه الناحية ، ومعنى هذا أن الدولتين لم تكن تربطهما علاقات الصداقة ، وحتى أننا لا نقرأ عن أية اتصالات تمت بين الجانبين على غرار ما رأيناه بالنسبة للأزابكة والصفويين ، وربما يفسر هذا الأمر

فى ضوء العلاقات الحسنة التى كانت بين السلطان والصفويين الذين كانوا فى نزاع مستمر مع العثمانيين ، وكذلك ربما تكون للخصومة التاريخية بين الجانبين أثرها فى هذا الأمر ، لأن الأمير تيمور هجم على أملاك العثمانيين وهزمهم فى معركة أنقره وأسر سلطانهم بايزيد ، وكذلك بسبب توسط الدولة الصفوية الشيعية بين الدولتين الكبيرتين : الدولة العثمانية فى الغرب ، ودولة المغل الإسلامية فى الهند ، كحاجز منيع مانع ، ولا شك أن ما أشرنا إليه من مشكلات الهند العويصة فى عصر أكبر كان من أهم العوامل التى أجبرت أكبر على حصر علاقاته الخارجية بجيرانه الأقربين ، كما أن هذا يوضح أن المشرق الإسلامى لم يتجه إلى فكرة الوحدة لمواجهة الخطر الصليبي على حدوده الجنوبية ، الأمر الذى لو تم لتغير وجه التاريخ الحديث ومساره فى العالم أجمع .

أما بالنسبة لعلاقات السلطان أكبر مع البرتغاليين والتي تناولناها ففى فصل سابق ، فقد رأينا أن الوجود البرتغالى ، قد ثبت أقدامه فى بعض الموانئ ، الهندية ، قبل أن يصل أكبر شاه إلى حكم الهند ، وإذا أمعنا النظر فى هذه العلاقات نجد أنه على الرغم من المظاهر الودية التى تلاحظ بين أكبر والبرتغاليين ، إلا أن سلطان الهند ، كان ينوى جازما أن يحارب الوجود البرتغالى ويطرده من الموانئ الهندية والجزر القريبة من سواحلها ، ولكن الظروف والأوضاع الداخلية فى دولته لم تسمح له بذلك ، ونرى تصميم أكبر هذا واضحا فى الرسائل التى تبادلها مع عبد الله خان أريك ، حاكم ما وراء النهر ، ففى إطار شرح نواياه ومشاغفه الداخلية يكتب لعبد الله خان قائلا :

"بعد الفراغ من التأليف بين طوائف الهند ، نريد بعناية إلهية وهداية أزلية ، القيام بتطهير طريق الزائر والتاجر من مزاحمة كفار الإفرنج الذين وصلوا إلى جزر البحر المالح ، ويقومون بأعمال الفتنة والفساد ، ويتعدون على زائرى الحرمين الشريفين زادهما الله شرفا ، وهم جمع غفير ، وأصبحوا حجر الطريق للزائر والتاجر ، وأريد بتوفيق من الله العوجه بنفسى لأداء هذه المهمة ، حتى أحارب الإفرنج وأطهر طريق الزائر والتاجر منهم " (١) ، وكذلك يؤكد أكبر شاه هذا الموضوع فى رسالة جوابية أخرى إلى ملك توران (٢) ، ويشير السلطان المغلى فى رسالتيه المذكورتين ، أنه من الموانع التى تعيق عزمه

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٤٠ .

(٢) توران : ما وراء النهر أو تركستان .

فى التوجه إلى محاربة الإفرنج فى المياه الهندية ، هى طلب حاكم إيران مساعدته
ضد العثمانيين ، فىرى طلبه واجبا عليه ولن يتحرك إلى مكان آخر ، إلا بعد
أن يطمئن خاطره من هذه الناحية (١) ، ويبدو أن هذا الموضوع ليس أكثر من تمويه
وتبرير لوجود السلطان فى ولاية پنجاب ، لأن مساعدة كهذه لم تتم ، ومعلوم
أن الأزابكة استولوا على بدخشان التى كانت من مطكات المغل ، فأُطلق
هذا الأمر أكبر شاه ، فترك جميع مشاغله فى غرب دولته وشرقها ، وتوجه إلى
پنجاب واستقر فيها لعدة سنوات ليراقب الأوضاع عن قرب ، خاصة بعد أن توفى
أخوه محمد حكيم مرزا حاكم كابل ، فخشى أكبر من تقدم الأزابكة إلى كابل بوابة
الدخول إلى الهند ، وكذلك كان عبد الله خان حاكم الأزابكة قد وصلتته أنباء
تفيد بأن سلطان الهند يريد التوجه إلى محاربة الأزابكة ، واسترداد بدخشان
منهم ، ثم التقدم إلى سائر أملاكهم فى مناطق من خراسان وما وراء النهر ،
ولقد رأينا فى الفصل السابق أن أكبر شاه تشاور مع كبار رجالات دولته فى التوجه
إلى ما وراء النهر أو التوجه إلى دكن فى الجنوب الهندى ، فاخاروا أخيرا
التوجه إلى دكن بعد ما وصلتتهم أنباء وفاة عبد الله خان وبعد الاطمئنان
على الأوضاع فى كابل وضمان ولائها لأكبره ، فكون أكبر شاه يذكر فى رسالته
موضوع لزوم مساعدة إيران ضد العثمانيين ، معناه تمويه لعبد الله خان ، حتى
لو صمم السلطان المغلى فى توجيه الحملة ضد ما وراء النهر ، يخدع حاكم
الأزابكة بأنه ذاهب إلى العراق ، ومعنى هذا كله هو أن اهتمام أكبر شاه
بتطورات الأوضاع فى كابل وبدخشان وتخوفه من مقاصد الأزابكة التوسعية

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٥ ، ٢٣٤ .

فى الجنوب وخاصة أنهم استولوا على أجزاء كبيرة من خراسان ، جعله يستقر فى پنجاب لعدة سنوات ويقلل من اهتماماته بشئون دكن وكجرات والوجود البرتغالى فى مياهما ، ولا ننسى انشغال معظم قواته فى فتوح الأقاليم الشرقية كبنكال ومهار وأوريسه ، ولا ننسى أيضا أن أكبر قد أزال من الوجود عدة دول أودويلات ، وفى مثل هذه الحالة يجب أن تكون هناك فترة انتقالية لتدعيم الاستقرار وسيادة الدولة فى المناطق المفتوحة ، وهذا ما يتعذر تيسره فى عمر رجل واحد مثل أكبر الذى أسس دولة مترامية الأطراف ، وقضى معظم سنوات حكمه فى الفتوحات أو القضاء على الاضطرابات والقلقل ، وحركات العصيان التى كانت تقوم هنا وهناك ، وليس من السهولة أن تتدارك الأوضاع فى فترة وجيزة فى مثل هذه الدولة المترامية الأطراف وواسعة الأكناف والأطراف ، وخاصة بالنظر إلى وسائل المواصلات التقليدية فى ذلك العصر .

ومن ناحية أخرى أصبحت دولة أكبر تتأخم الوجود البرتغالى فى الساحل الغربى للهند بعد أن ضمت ولاية كجرات إلى سلطة أكبره ، ومعنى هذا أن كجرات كانت الواجهة الوحيدة لمقاومة البرتغاليين ، أو الإعداد لمطاردتهم من المياه الهندية وموانئها ، وأثناء بحثنا فى الحوادث المتعلقة بفتح كجرات والتطورات التى تلت ذلك الفتح ، رأينا أن كجرات لم تشهد الاستقرار ، بل كانت هناك اضطرابات وقلقل تبرز من حين لآخر ، ورأينا أن فى بعض هذه الحالات فقدت الدولة سلطتها فى الولاية ، واضطر أكبر أن يعود إليها بنفسه

لإعادتها إلى حوزة دولته ، إضافة إلى حركات العصيان التي قادها بعض
قواد الولاية وأمرائها السابقين ، وحتى قوافل الحجاج الذين كانوا ينسبون
السفر إلى الأماكن المقدسة في الحجاز عن طريق البحر ، كانت تستلزم قسوات
من الجيش لحمايتها في الطريق إلى ميناء سورت الكجراتي ، ففي مثل هذه
الحالة لا يعقل أن يخطط أكبر شاه لضرب البرتغاليين دون أن يأمن عن
طريق الرجعة ووصول الإمدادات ، ومعلوم أن القوة العثمانية التي جاءت
لمحاربة البرتغاليين ، لم تلق مساعدة من الكجراتيين ، فاضطرت أن ترجع
دون أن تقوم بزحمة البرتغاليين ، وإضافة إلى هذا كله فإن معظم قسوات
البرتغاليين كانت متمركزة في سواحل دكن وسواحل مليبار ، فلم يكن بالإمكان
أن توجه إلى البرتغاليين ضربة قاضية في مياه كجرات ، ومراكزهم المحصنة
في سواحل دكن ومليبار ، تكون بعيدة عن هذه الضربات ، ومعنى هذا
أن المخطط الذي كان يسير أكبر بمقتضاه ، كان مخططا بعيد المدى
والآثار ، إذ بعد ضم دكن والجنوب الهندي كان يأتي دور محاربة البرتغاليين
والقضاء عليهم ، وهذا ما لم يفلح عليه السلطان أكبر ، لأن فتوحاته لم
تتجاوز جزءا داخليا من إمارة أحمد نكر الدكنية ، ومعلوم أن ميناء كـوـوـه
الذي أصبح مركزا للحاكم البرتغالي في الموانئ الهندية ومياهاها ، كان من
توابع إمارة بيجابور الدكنية ، وهناك رسالة وجهها أكبر شاه إلى برهان الملك
حاكم أحمد نكر ، يقول فيها : " إنه لو حالف التوفيق عادل خان حاكم
بيجابور ، وقطب الملك حاكم كـولـكـنـده ، وسلكا طريق الطاعة ، فسوف يتسببان

فى فتح مواقع الإفرنج وسائر الموانئ التى سيطروا عليها (١) ، ومعنى هذا أن وجود الدويلات المتنازعة فى دكن ومليار ، ساعد على تثبيت أقدام البرتغاليين فى موانئها ومياهها ، فإذا أريد القضاء على البرتغاليين فيجب أن يزول ذلك المانع بتوحيد دكن وضمها إلى سلطة آكره ، وإضافة إلى هذا كان الوجود البرتغالى فى مليار متحالفا مع بعض حكامها ، ما عدا السامرى حاكم كاليكوت ، ولا يمكن الوصول إلى مليار إلا بعد أن يتم فتح دكن ، وفى أقصى الجنوب كانت إمارة بيجانكر (٢) الهندوكية والمتحالفة مع البرتغاليين (٣) والتى كانت فى نزاع دائم مع الإمارات الدكنية المسلمة ، فهذه كلها موانع وعقبات كبرى فى سبيل مقارعة البرتغاليين ، وكون أكبر كان يفكر جديا فى إزالة هذه الموانع ، معناه أنه تفهم طبيعة الأوضاع ، فكان تخطيطه سليما على الرغم من أن الأجل لم يمهله لينفذ كل ما خطه ، ولو اعتبرنا محتويات رسائل أكبر إلى حاكم ما وراء النهر وحاكم أحمد نكر كنوع من المجاملة ، فهناك رسالة أخرى بين صديقين حميمين من رجالات دولة أكبر ، وهما الشيخ أبو الفضل والحكيم همام ، والرسالة موجهة من أبى الفضل إلى الحكيم همام ، يذكره فيها بصدائعهما التى مضت عليها أكثر من إحدى عشرة سنة ، وما قاله فى رسالته : بأن سيده أكبر

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٢) تكتب هذه الإمارة فى المراجع العربية باسم : فيجا يانا جاره .

(٣) عادل حسن غنيم : تاريخ الهند الحديث ، ص ٢٢ .

ك . م . بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٣٤ .

شاه كان ينوى التوجه إلى أراضي توران ، ولكنه تم الصلح بين الجانبين فانصرف من الذهاب إلى هناك ، وعزم على التوجه إلى إخضاع الجزر التي سيطر عليها الإفرنج (١) ، فذكر هذا الموضوع بين صديقين حميمين من كبار رجالات الدولة ، يعنى بأن أكبر شاه كان ناويا وعازما على محاربة البرتغاليين ، ولكنه فى نفس الوقت لم يجابههم دون أن يستعد لمثل هذه المجابهة استعدادا لازما ، وفى مقدمة الاستعدادات كان ضم دكن وما يليها جنوبا إلى الدولة وهذا ما لم يتم *

إذا نظرنا إلى هذا الوضع وإلى علاقات أكبر بالبرتغاليين ، نجد أن أكبر شاه كان يماطل مع الوجود البرتغالى بانتظار إكمال مخططه فى الجنوب وتدعيم سلطته واستقرارها فى السواحل ، وكأن هذا السلطان المغلى نجح فى تحييد البرتغاليين لما يقوم به من فتوحات هنا وهناك .

وما يقال عن أن أكبر شاه لم يرتفع إلى المستوى المطلوب بالنسبة للسياسات والإستراتيجية العالمية (٢) لا يبدو دقيقا فى ضوء ما ذكرناه من تفهم أكبر للخطر البرتغالى وتفهم الموانع التى تعيق أن يضرب البرتغاليين ضربة قاضية ، لأن دولة أكبر لم تصبح دولة بحرية ، حتى نطرح مسألة ارتفاعه إلى المستوى المطلوب من عدمه ، ولكن المخطط الذى كان يريد أكبر شاه السير فى إطاره ، كان مخططا فى هذا الاتجاه ، وواضح من مراسلات أكبر شاه مع حاكم ماوراء النهر

(١) عبد الصمد: مكاتبات علامى ، ص ١٩٧-١٩٨ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٥٥٢٩ .

بأنه تفهم جيدا ما يريد، الوجود البرتغالي في المياه الهندية . (١)

لقد ذكر البعض بأن أكبر كان يطمع في الحصول على مساعدة البرتغاليين العسكرية (٢) ، ولكننا لا نجد أى ذكر لهذا الموضوع في المصادر المعاصرة والمتأخرة للدولة التي تتوفر لدينا ، إضافة إلى أنه لا يعقل بأن يساعد البرتغاليون في إقامة دولة كبيرة قوية موحدة وإزالة دويلات صغيرة ، بل على العكس من ذلك تكون مصلحة البرتغاليين في أن يروا دويلات صغيرة غير متألقة يسهل عليهم التعامل معها كيفما شاؤوا ، وما جرى في ملبار هو خير شاهد لهذا الموضوع ، إذ بذل السامري حاكم كاليكوت كل ما في وسعه أن يوحد الكيانات الموجودة في ملبار ، ولكن البرتغاليين كانوا له بالمرصاد ، وعملوا كل ما في وسعهم لإفشال مثل هذه الخطوات الوحدوية ، وإضافة إلى هذا كان أكبر شاه أكثر قوة ونظاما وحيوية من خصومه الذين حاربهم وقضى على دويلاتهم ، فلم يكن بحاجة لمساعدة البرتغاليين في هذه الحالات ، بل كان بحاجة إلى تحييد البرتغاليين إزاء ما كان يدور بينه وبين خصومه ، وهذا ما نجح فيه إلى حد كبير ، وإضافة إلى هذا لو حدث أن طلب أكبر مساعدة البرتغاليين العسكرية أو أن البرتغاليين قد موأ إليه فعلا مساعدات من هذا النوع ، لذكره مؤرخون من أمثال عبد القادر بدايوني مؤلف كتاب منتخب التواريخ الذي عاصر الأحداث والذي كان في فترة طويلة من المقربين لأكبر ، وهو الذي لم يخش من أن يصرح في كتاباته ويبرز معتقدات أكبر المتدعة ،

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ١٤ ، ٢٣٠ .

(٢) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغل الإسلامية في الهند ، ص ٩٤ .

عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٢٩ .

وتذكر مسائل من هذا النوع واتهام السلطان بالانحراف عن جادة الدين القويم يكون أكثر خطرا والأجد ربا لإخفاء من أن يبتعد عن ذكر مساعدة البرتغاليين العسكرية إلى أكبر شاه ، ولقد ذكر بديوني أن الإفرنج بدأوا يترددون على البلاط منذ عام ٩٨٣ هـ (١٥٧٥ م) وأن قساوسة من هؤلاء قد اشتركوا في الجلسات التي كان يقيمها أكبر شاه باشتراك علماء مختلف الأديان وفقهائها ، وأنه أجلس ابنه الأمير مراد عند رجال الدين النصرانيين ليطبق منهم د روسا ، وأنه سمح لهم بأن يعملوا لنشر النصرانية في الهند ، وأن السلطان اعتنق بعض معتقداتهم (١) ، وواضح أن الذي يجرؤ على ذكر مثل هذه المسائل لا يجبن عن ذكر مساعدة البرتغاليين العسكرية لأكبر شاه °

وفى ختام موضوعنا هذا ، نؤكد من جديد أنه لو لم يكن تخوف أكبر من الأزابكة في الشمال ، والذي شغل باله وخططه لأكثر من عشر سنوات ، وبالتالي لو سحلت له الفرصة بأن يركز اهتمامه في خلال هذه السنوات ، لفتح الجنوب الهندي وموانئه ، لاتخذ موقفا حاسما ضد البرتغاليين ، وذلك بعد توحيد الإمارات المتنازعة هناك ، وبعد القضاء على الكيانات الساحلية المتواطئة مع الوجود البرتغالي ، وقد توفي السلطان أكبر في يوم الأربعاء الثالث عشر من جمادى الثانية سنة ١٠١٤ هـ / أكتوبر ١٦٠٥ م ،

(١) عبد القادر بديوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٥ ، ٢٢٣ .

بعد حكم دام أكثر من خمسين سنة ، وكان عمره آنذاك قد ناهـز
الخامسة والستين (١) .

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

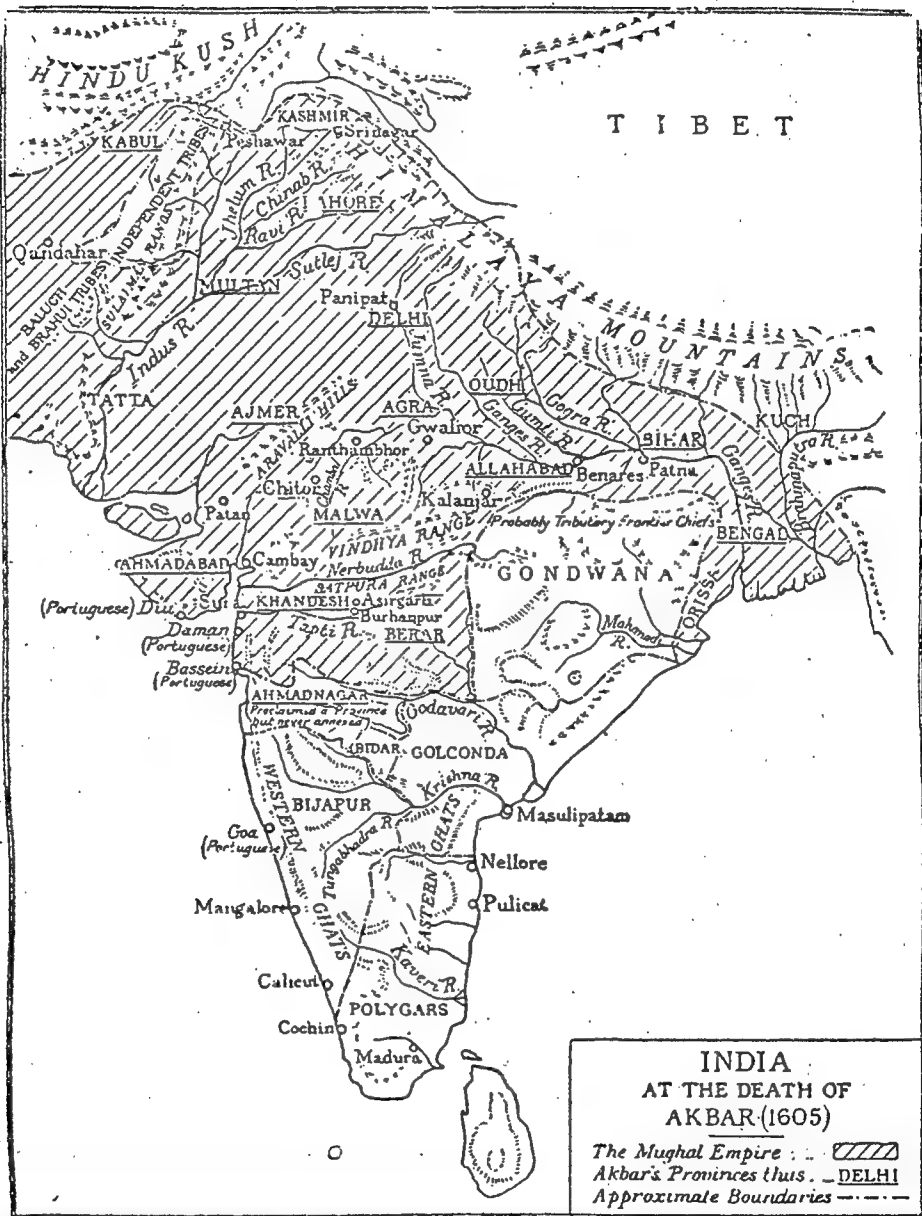
سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٤٤٠ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P. 234



الدولة المغولية في نهاية عصر السلطان أكبر

(سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م)



ملحق

المصباح والشرح

ملحق

المصادر والمراجع

- مخطوطة عربية
- مصدران عربيان
- المراجع العربية
- المراجع المترجمة للغة العربية
- المخطوطات الفارسية
- المصادر الفارسية
- المراجع الفارسية
- المراجع الإنجليزية

مخطوطة عربية

١ - زين الدين الطياري :

تحفة المجاهدين

يبدو من محتويات المخطوط ، بأن المؤلف عايش كثيرا من الأحداث التي يذكرها ، ومع صغر حجم المخطوط ، إذ لا يزيد عن سبع وأربعين ورقة إلا أنها مفيدة جدا ، في التعرف على مجيئ البرتغاليين إلى السواحل الهندية ، ونشاطاتهم وأعمال القرصنة البحرية التي كانوا يقومون بها . ويركز المؤلف في رسالته على كفاح السامريين حكام كاليكوت ، ضد الهيمنة البرتغالية ، وتكاد تكون معظم المعلومات الواردة في هذا الصدد والموجودة في المراجع العربية وغيرها ، ترجع إلى هذه الرسالة ، وذلك على الرغم من عدم الإشارة إليها ، في قوائم المصادر والمراجع ، كما تتضمن الرسالة الأخبار المتعلقة بالبرتغاليين منذ مجيئهم إلى كاليكوت في مطلع العصر الحديث ، وحتى سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) ، ويدعو في أواخر مخطوطته أن يوفق الله أكبر شاه لطرده البرتغاليين .

والمخطوط محفوظ ضمن مجموعة يهودا العربية في مكتبة جامعة برنستن بمدينة نيو جيرسي الأمريكية ، تحت رقم ٣٩٢٠ وتوجد له نسخة مصورة تصوير ميكروفلم ، في مكتبة ميكروفلم التابعة لمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تحت رقم ٥٧٥ (تاريخ وتراجم) .

مصدران عربيان

٢ - أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) :

معجم البلدان (١)

دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

٣ - أحمد بن محمد بن عبد الله المعروف بابن عريشاه (ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م) :

عجائب المقدور في أخبار تيمور

لاهور ، ١٨٦٨ م .

(١) استفيد منه في التعرف على بعض الأماكن .

المراجع العربية

- ٤ - إبراهيم أحمد العدوى :
التاريخ الإسلامى ، آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية .
مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
 - ٥ - إبراهيم جمعة :
جداول تحويل السنين الهجرية إلى ما يقابلها من التواريخ
الميلادية .
دائرة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
 - ٦ - أبو صالح الألفى :
الفن الإسلامى
ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٤م .
 - ٧ - إحسان حقى :
تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية .
بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- للمؤلف آثار عربية عديدة ، بعضها من تأليفه وبعضها مترجم من قبله ،
بعضها تاريخية وبعضها الآخر فى مسائل أخرى من المعرفة .
والمؤلف يمر فى كتابه (تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية)
على تاريخ الهند منذ أقدم العصور وإلى الحرب العالمية الثانية
وتقسيم الهند إلى دولة هندوكية ودولة مسلمة ، وهو كتاب تاريخى
موجز مفيد ، وينقصه عدم الإشارة إلى المصادر والمراجع ، لا فنى

الهوامش ولا فى آخر الكتاب ، مع أنه يجزم فى بعض المسائل التاريخية المختلف فيها ، فيقول : أعتقد ، أنفى ، تؤيد وغير هذه الألفاظ ومع هذا فمن خلال دراسة الكتاب ومقارنته بالمصادر والمراجع الأخرى يتضح أن المؤلف اطلع على المراجع .
ويبدو أن المؤلف يجيد اللغة الأردية ، حيث يكتب أسماء الأماكن والأشخاص صحيحة إلى حد بعيد ، وهو الذى ينقص كثيرا من المراجع العربية .

٨ - أحمد حسين :

تاريخ الإنسانيّة .

دارالظم ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

٩ - أحمد حسين :

موسوعة تاريخ مصر .

ج ٢ ، دارالشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

١٠ - أحمد السعيد سليمان :

تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة .

جزءان ، مطابع دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

حرر هذا الكتاب لأول مرة العالم الانجليزى ستانلى لين بول ، وظهرت طبعته الأولى فى لندن سنة ١٨٩٣م ، ونقله بعد ذلك إلى اللغة الروسية بآرتولد ، ثم نقله إلى التركية العالم التركى خليل أدهم - نقلا موسعا . ولقد كان عدد الدول التى درسها لين بول مائة وثمانى عشرة دولة ، فبلغ فى كتاب أدهم مائة وإحدى وثمانين دولة .

ولقد لاحظ المترجم إلى اللغة العربية ، التغيرات التي حدثت في العالم الإسلامي منذ سنة ١٩٢٧ م وهي السنة التي طبع فيها النص التركي ، فذكرت هذه التغيرات في مواضعها ، إما في فقرات وإما في فصول كاملة ، فارتفع بها عدد الدول إلى ثمانى ومائتى دولة .

١١- أحمد شلبي :

أديان الهند الكبرى .

ط ٥ ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

١٢- أحمد محمود الساداتى :

تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها .

دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

مؤلف الكتاب باحث معروف ، وله عدة مؤلفات في التاريخ والآداب . كما ساهم وترجم بعض الكتب من الفارسية وغيرها إلى العربية . وفي كتابه هذا يبحث بإيجاز عن التاريخ الإسلامى ، لشبه القارة الهندية وإيران وبلاد ما وراء النهر وأفغانستان وتركيا ، وذلك منذ دخول الإسلام إلى هذه البلاد وحتى التاريخ المعاصر لها .

١٣- أحمد محمود الساداتى :

تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم .

جزءان ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمايز ، ١٩٨٠ م .

والجزء الثانى من هذا الكتاب يبحث في الدولة المغولية وسلطينها ، بدءاً ببابر وانتهاءً بالاحتلال البريطانى ثم قيام دولة باكستان ،

وكذلك يتضمن الكتاب النواحي الحضارية للدولة المغليسة ، ولقد استفاد المؤلف في دراسته ، من المراجع الفارسية والعربية والأوربية .

- ١٤- أنور الجندى :
العالم الإسلامى ، والاستعمار السياسى والاجتماعى والثقافى .
دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٧٩م .

- ١٥- بدر الدين عباس الخصوصى :
دراسات فى تاريخ الخليج العربى والمعاصر .
ج ١ ، ط ٢ ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٤م .

- ١٦- حسن إبراهيم حسن :
تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى .
ج ٢ ، ط ٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

- ١٧- جلال يحيى :
العالم الإسلامى الحديث والمعاصر .
ج ١ ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية ، ١٩٨٢م .
يشمل الجزء الأول من هذا الكتاب دراسة تاريخ العالم الإسلامى ،
منذ فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م على يدى محمد الفاتح ،
حتى نهاية القرن الثامن عشر .

١٨ - جمال الدين الشيال :

تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند .

منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٦٨م .

الكتاب من عشرة فصول ، أرخ المؤلف فيها لأباطرة الدولة المغولية العظام : بابر وهمايون وأكبر وجهانكير وشاه جهان وأورنكزيب ، كما خصص فصلا لشير شاه وخلفائه ، وفصلا آخر للشيخ أحمد سرهندي وحركته التجديدية كمجدد للألف الثانية ، ويتضمن الكتاب أيضا بعض الصور التوضيحية للأباطرة وأضرحتهم وبعض الخرائط .

واهتم المؤلف بعصر أكبر اهتماما بالغا ، حيث خصص أربعة فصول من كتابه لدراسة ما يتعلق بأكبر وعصره ، كما يشمل الكتاب تحليلات وتفسيرات قيمة ، وهو مفيد في بابيه للطلبة والمختصين مع صغر حجمه ، ولقد استفاد المؤلف في كتابه هذا من المراجع العربية وغير العربية ، ولكن غالبيتها مراجع أوروبية ، ويبدو أن المراجع العربية في ذلك الوقت لم تكن إلا نادرا ، فيعتبر كتاب الأستاذ هذا ، من المراجع العربية الأولية في هذا الباب .

١٩ - دولت صادق :

جغرافية العالم

ج ١ ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

٢٠ - زكي محمد حسن :

فنون الإسلام

القاهرة ، ١٩٤٨م .

٢١ - سعاد ماهر :

البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية .
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

٢٢ - شبيب أرسلان :

حاضر العالم الإسلامي

ج ٤ ، ط ٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ م .

يتضمن الكتاب موضوعات متنوعة في التاريخ الإسلامي الحديث ، ومما تضمنه " تاريخ الممالك الإسلامية الهندية " والذي ذكر فيه موجز تاريخ الإسلام في الهند ، منذ الفتوحات الإسلامية الأولى ، إلى أن سيطر الإنجليز على الهند وقضوا على آخر سلاطين المغل .

وفيما يتعلق بتاريخ الدولة المغلية في الهند ، فقد أفاد المؤلف فيه ، وخاصة فيما يتعلق بعصر أكبر ، ولقد قدم المؤلف في كتابه تحليلات قيمة ، ورد على بعض الاتهامات التي تصدر عن عدد من المستشرقين ضد الإسلام وطوك المسلمين ، وذلك في أسلوب شيق رائع .

٢٣ - عادل حسن غنيم وعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم :

تاريخ الهند الحديث

مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٨٠ م .

يشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب : الباب الأول في الهند والغرب ، والباب الثاني في الدولة المغلية والباب الثالث في الهند من الثورة إلى الاستقلال ، كما يتضمن كل باب عدة فصول ، بحث المؤلفان خلالها تاريخ الهند الحديث ، ومع أن الكتاب ربما يكون أحدث مؤلف عربي في موضوعه ، إلا أنه لا يبدو أكثر من تلخيص لمراجع عربية سابقة .

- ٢٤ - عبد الحى الحسنى : (ت ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م) :
الهند فى العهد الاسلامى
دائرة المعارف العثمانية بحيد رآباد الدكن ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢
بدأ المؤلف كتابه بالكلام عن جغرافية الهند وكورها وأشهر مدنها
وقراها فى الدولة الإسلامية ، ثم كتب عن ظهور الإسلام بأرض الهند
وأخبار ملوكها من الدولة الغزنوية ومن أتى بعدها حتى الثورة
الهندية (١٨٥٧م) كما كتب المؤلف عن النظم والحضارة الإسلامية
بالهند ، والكتاب مفيد فى موضوعه خاصة فى التعرف على كور الهند
وأشهر مدنها ، ولقد ألحق بالكتاب نجل المؤلف تذييلاً ، إكمالاً
للأحداث الأخيرة حتى استقلال الهند .

- ٢٥ - عبد العزيز سليمان نوار :
الشعوب الإسلامية
دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣م .
يبحث الكتاب فى التاريخ الحديث للأتراك العثمانيين والفرس ومسلمى
الهند ، منذ القرن الخامس عشر وحتى أوائل القرن العشرين .

- ٢٦ - عبد القادر أحمد اليوسف :
العصور الوسطى الأوربية .
المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٧م .

- ٢٧ - عبد المتعال الصعدي :
المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر ،
ط ٢ ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمايز ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .

٢٨ - عبد المنعم النمر :

تاريخ الإسلام في الهند

دار العهد الجديد للطباعة ، القاهرة ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م

قضى المؤلف سبعة وعشرين شهرا في الهند ، متديا من قبل الأزهر والمؤتمر الإسلامي ، وكرس فيها الكثير من وقته لهذا الكتاب ، فجاء كتابه متضمنا نبذة عن جغرافية الهند وتاريخها القديم ، ثم تاريخها الإسلامي ، من أيام فتوحات محمد بن القاسم الثقفي إلى ثورة ١٨٥٧م ضد الإنجليز ، والكتاب مفيد جدا في معرفة تاريخ الهند الإسلامي ، وكتبه المؤلف بأسلوب سهل وشيق ، ولقد استفاد المؤلف في كتابه هذا ، من المراجع الأردية بحكم وجوده فترة طويلة في الهند ، ونال في ذلك مساعدة أساتذة جامعة ديوبند الإسلامية وتلاميذها ، بالإضافة إلى رجوعه إلى المراجع العربية التي ذكرها في الهوامش فقط ، فجاء كتابه هذا مريزا عن كثير من المراجع العربية التي اقتصرت في معظمها على المراجع الأوروبية ، كما يتضمن الكتاب هوامش قيمة في التعريف بالأعلام والأماكن ، ويبد وأن الكتاب من أوائل المراجع العربية الحديثة في موضوعه .

٢٩ - عبد المؤمن السيد أكرم :

أضواء على تاريخ توران .

ط ٢ ، مطبعة رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٣٩٩هـ .

الكتاب عبارة عن دراسة موجزة لتاريخ ما وراء النهر ، ومؤلفه من الأسرة المالكة التي حكمت تلك الأقطار الشاسعة حقبة من الزمان ، إلى أن احتلت من قبل الروس ، وأصبح المؤلف مهاجرا إلى مكة المكرمة ، ولقد استفاد في تأليفه من بعض المصادر الفارسية ، إضافة إلى معاشته

لبعض الحوادث التي يذكرها ، والكتاب مفيد في التعرف على تاريخ
تركستان ، وخاصة فيما يتعلق بتاريخها المعاصر .

٣٠ - علي حسون :

الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية .
المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٣١ - محمد صالح ضرار :

تاريخ سواكن والبحر الأحمر .
الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٣٢ - محمد كمال الدسوقي :

الدولة العثمانية والمسألة الشرقية .
دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

٣٣ - محمد فؤاد شكرى ومحمد أنيس :

أوروبا في العصور الحديثة .
ج ١ ، ط ٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١م .

٣٤ - محمد فريد :

تاريخ الدولة العلية العثمانية .
دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٣٥ - نعيم زكى فهمى :

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب .
(أواخر العصور الوسطى)

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م

٣٦ - يوحنا أفندى أبكارىوس :

قطف الزهور فى تاريخ الدهور .

ط ٢ ، بيروت ، ١٨٨٥م .

المراجع المترجمة للغة العربية

- ٣٧ - أئمة المستشرقين في العالم :
دائرة المعارف الإسلامية
ج ٤ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٣٣ م .
كتب المطالب الخاصة بالسلطان أكبر ، أ . س . بيفر د ج . كولن ديفز
ترجمها إبراهيم زكي خورشيد .
- ٣٨ - أحمد محمود المعمرى :
عمان وشرقي إفريقيا
مطابع سجل العرب ، مسقط ، ١٩٨٠ م .
ترجمة : محمد أمين عبدالله .
- ٣٩ - أرمنيوس فامبرى :
تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر .
مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، بدون تاريخ ،
ترجمه وطق طيه : أحمد محمود الساداتى .
راجعته وقدم له : يحيى الخشاب
مؤلف الكتاب مستشرق مجرى ، عاش في القرن التاسع عشر ، واشتهر
بكتابه عن البلاد الشرقية عامة والتركبة بوجه خاص .
ويتناول الكتاب تاريخ بخارى منذ أقدم العصور وحتى عام ١٨٧٠ م ،
كما جاءت الترجمة في أسلوب عربي شيق وإضافة إلى أن المترجم زود

الترجمة بأكثر من مائة حاشية ، تناول في بعضها شرح النقاط التاريخية التي تركها المؤلف دون توضيح ، وعرض في بعضها الآخر آراء المؤرخين الثقة فيها ، وأثبت في ذلك كله أسماء المراجع الأصلية التي رجع إليها ، كما حقق الأعلام وأسماء الأماكن راجعا إلى المصادر الرئيسية في ذلك عربية وفارسية وتركية .

٤٠ - أرنست كونل :

الفن الإسلامي ،

بيروت ، ١٩٦٦م

ترجمة : أحمد موسى .

٤١ - أرنولد ت . ويلسون :

الخليج العربي .

مكتبة الأم - ل ، الكويت ، بدون تاريخ

نقله إلى العربية وقدم له : عبد القادر يوسف .

٤٢ - ج . ج . لوريمر :

دليل الخليج (القسم التاريخي)

ج ١ ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

طبعة جديدة معدلة ومنقحة ، أعدها قسم الترجمة بمكتب

أمير دولة قطر .

٤٣ - رولان موسنييه :

تاريخ الحضارات العامة ،

ج ٤ (القرن السادس عشر والسابع عشر) ، بيروت ، ١٩٦٦ م
نقله إلى العربية : يوسف أسعد داغر ، وفريد م داغر .

٤٤ - غوستاف لوبون :

حضارات الهند

دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٨ م
نقله إلى العربية : عادل زعيترة .

يتضمن الكتاب جغرافية الهند الطبيعية والبشرية ، وموجز تاريخ الهند القديم والوسيط وحتى تاريخها المعاصر ، كما يشمل على تطور الحضارة في الهند ، منذ أقدم العصور ، إلى حضارة العصر الإسلامي للهند ، كما يذكر الآثار التي تركتها حضارات الهند من لغات وآداب وبيان وطوم وفنون .
وفيما يتعلق بموضوع بحثنا ، فالكتاب مفيد في معرفة جغرافية الهند ، لأن المؤلف جال أنحاء الهند المختلفة ، ثم كتب بعد قراءة ومشاهدة ، وحاول الدقة في كتابة أسماء الأماكن والأشخاص ، صحيحة كما تنطبق عند أهلها . ويلاحظ أن المؤلف يمر مرورا سريعا فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي للهند ، وكذلك بالنسبة للحضارة الإسلامية في شبه القارة الهندية .

٤٥ - ك . م . بانيكار :

آسيا والسيطرة الغربية

القاهرة ، ١٩٦٢ م .

ترجمه : عبد العزيز توفيق جاويد ، وراجعته : أحمد خاكي .

٤٦ - م . س . ديمانند :

الفنون الإسلامية

القاهرة ، ١٩٥٤ م

ترجمه : أحمد محمد عيسى

٤٧ - ول ديورانت :

قصة الحضارة

الجزء الثالث من المجلد الأول : الهند وجيرانها ،

ط ٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،

١٩٦٨ م

ترجمة : زكى نجيب محمود

مع شهرة المؤلف العلمية ، إلا أنه فى كتابه هذا ، يتحامل على
الفتح الإسلامى للهند ، ويستعمل أفضل التفضيل فى وصف هذه
الفتوحات ، بالوحشية والدموية وغير هذه الأوصاف السيئة ، ونسى
أوتناسى أن المسلمين تركوا آثارهم الخالدة فى الهند وحضارتها ،
مما أوضحه كبار مثقفى الهند من غير المسلمين أيضا .

ومع أن المؤلف يقصر فى معرض حديثه عن سلاطين دهللى ، وميان
آثارهم الإصلاحية ، ويكتفى بالإشارة العابرة إليهم وإلى أتباعهم ،
إلا أنه أطال الكلام فى بحثه عن عصر أكبر ، متدحيا إياه ، كما أن
كتابة مفيد فى معرفة جغرافية الهند وتاريخها القديم وحضاراتها
القديمة .

٤٨ - وليام لانجر :

موسوعة تاريخ العالم

ج ٤ ، القاهرة ، ١٩٦٣م

أشرف على الترجمة : محمد مصطفى زيادة

معتبر المؤلف من مشاهير العلماء في الولايات المتحدة

الأمريكية .

٤٩ - هـ . ج . ولز :

معالم تاريخ الإنسانية

ج ٣ ، ط ٣ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،

١٩٧٢م

ترجمة : عبدالعزيز توفيق جاويد .

المصادر الفارسية

(المخطوطة والمطبوعة)

المخطوطات الفارسية

- ٥٠ - بهگوانداس : تاريخ آباء وأجداد شاه جهان .
ألف المخطوط في سنة ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م ، ويتميز بأنه من تأليف
رجل هندوكي ، ويبين المؤلف فيه ، أحوال أسلاف شاه جهان ،
من الأمير تيمور وحتى السلطان جهان كير .
والمخطوط محفوظ بمكتبة جامعة پنجاب بـ لاهور ، تحت رقم ١١٤٤ /
٠٤١٩٧ .

- ٥١ - سليم شاه الهندي :
تاريخ أكبر شاه
إن هذا المخطوط قد كتبه جهان نكير ابن أكبر وخليفته ، وهو
ليس تاريخاً لأكبر بقدر ما هو شرح لوقائع بعض سنن حكم جهان نكير ،
ولكنه يستعرض أثناء الكلام عن إجراءاته ، وقائع تتعلق بعصر أبيه .
ولقد كتب هذا المخطوط المذهب ، بخط فارسي جميل ، ويبدو أن
المخطوط أخذ خطأ اسم تاريخ أكبر شاه واسمه الصحيح هو
توزك جهان نكير وقد طبع بهذا الاسم ، مضافاً إليه ما كتبه محمد -
هادي عن بقية أيام حكم جهان نكير ، ونظراً لأن المخطوط هذا يفسر
بمعلومات لم نجدها في المطبوع ، قررنا الاستفادة منه .
والمخطوط محفوظ بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ٥٣ ،
وهو بدون تاريخ .

٥٢ - لاله سيل چند :

تفريح العمارات

ولقد ألف هذا المخطوط في العصر الإنجليزى ، ويبدو من اسم المؤلف أنه من الهندوكيين ، ويتركز معظم فقرات المخطوط ، في التعريف بالعمارات والبناني التي بناها أكبر أو أمراؤه في مدينة آگره ، وكذلك يتعرض المؤلف لتعريف بعض العمارات التي بنيت في عهدى جهانگیر وشاه جهان .

وبالنسبة لعصر أكبر ، فإن المؤلف يعرف القصور الخاصة بأمراء السلطان أكبر ، من أمثال خان خانان منعم خان وراجہ - تودرمل ، وأبو الفضل وغيرهم ، كما يشير المؤلف إلى أسواق المدينة وشوارعها وحدائقها وخاناتها وحاراتها وغير ذلك . ولا يحمل المخطوط تاريخا لنسخه ، وهو محفوظ بمكتبة جامعة پنجاب بـلاهور ، تحت رقم ١٥٣٠ / ٨٢ / ٤٠٠ .

٥٣ - محمد عبدالله خان :

تذكرة في سير آگره

تم تأليف هذا المخطوط في ذى الحجة عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦١م ، ويتضمن بعض أحوال سلاطين المغل ، من بداية بابر شاه إلى نهاية أيام بهادر شاه ، كما يشمل المخطوط على ذكر سلطنة اللوديين الأفغان ، وأحوال عدد من الرئاسات ، وبداية تأسيس عدد من المدن مستفيدا في ذلك من كتب تاريخية سابقة ومعاصرة ، كما تحدث

المؤلف عن العصر الإنجليزى فى الهند الذى كان يعايشه .
والمخطوط محفوظ فى مكتبة جامعة پنجاب بلاهور ، تحت رقم

٠٣٨٤٦/٨١٣

٥٤ - محمد طى خان أنصارى (ت ١٢٠٦هـ) :

تاريخ مظفرى

إن المؤلف شيعى ، ولقد ألف المخطوط هذا فى سنة ١٢٠٢هـ .
ويبحث المخطوط فى تاريخ سلاطين المغل ، وقد سماه بتاريخ
مظفرى نسبة إلى معين الدولة خان خانان سيد محمد رضا مظفر -
جنگ ، الذى يبد وأن كان فى مقدمة كبار الأمراء أثناء حكم عالم -
شاه (١١٧٣هـ / ١٢٠٢هـ - ١٢٥٩ - ١٢٨٨م) ، الذى يعتبر
المؤلف ذكر وقائع سلطنته ، العلة الغائية لتأليف هذا الكتاب .
والمخطوط موجود فى مكتبة جامعة پنجاب بلاهور ، تحت رقم

٠٣٣٧٥/٣٧١

٥٥ - محمد هاشم خوافى خان (ت ١١٤٤هـ) :

منتخب اللباب

ج ٢ .

لقد تم تأليف المخطوط فى سنة ١١٣٣هـ ، وخصص الجزء الثانى منه
فى بيان أحوال سلسلة التيموريين فى الهند ، منذ أيام بابر شاه
وحتى سنة ١١٣٣هـ فى أيام أبى المظفر ناصر الدين محمد شاه
(١١٣١ - ١١٦١هـ / ١٢١٩ - ١٢٤٨م) ، وهى فترة قرنين من الزمان .
والمخطوط محفوظ بمكتبة جامعة پنجاب بلاهور ، تحت رقم ٤١٨٨/١١٣٥

٥٦ - مولوى عبدالكريم :

زبدة التواريخ

لقد عاش المؤلف فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى ومخطوطه عبارة عن موجز لتاريخ سلاطين دهلئ ، لخصه من كتب تاريخية سابقة . والمخطوط محفوظ فى مكتبة جامعة پنجاب بلاهور ، تحت رقم

٠٣٧٤٧/٧١٤

٥٧ - مؤلف مجهول :

تاريخ هندوستان

إن هذا المخطوط عبارة عن خلاصة لتاريخ الهند منذ أقدم العصور ، وإلى عهد نكير بن أكبر ، ويركز المؤلف فى المخطوط هذا ، على تاريخ سلاطين دهلئ ، ويبدأ المخطوط بمقدمة للتعريف بالهند جغرافيا .

والمخطوط موجود بمكتبة جامعة پنجاب بلاهور ، تحت رقم

٠٣٨٥٢/٨١٩

المصادر الفارسية

٥٨ - أبو الفضل علا مى (ت ١٠١١ هـ) :

تئين أكبرى

ثلاثة أجزاء ، مطبعة نول كشور ، لكهنو ، ١٨٦٩ م
يقع الكتاب فى ثلاثة أجزاء ضخمة ، وهو عبارة عن دائرة المعارف الهندية ،
تتضمن علوم ومعارف الهند المسلمين منهم والهند وكيين ، كما يشير
إلى عقائد أهل الهند ، ونظم السلطان أكبر وتشريعاتها ، وغيرها
من معارف عامة وفنون وحرف وصناعات فى ذلك العصر .

٥٩ - أبو الفضل علا مى (ت ١٠١١ هـ) :

أكبر نامه

ثلاثة أجزاء ، مطبعة نول كشور ، لكهنو ، ١٢٨٤ هـ .
يذكر المؤلف أنه ألف كتابه هذا فى أحوال أكبر وفتوحاته ، ويدائع
محافلته وغرائب معاركه ، وشرائف عباداته ولطائف عاداته ، بصدق
ومدون تكلف ، كما يصرح بأنه استفسر فى هذه الناحية عن الشيخوخ
والشباب الذين صا حبوا الأسرة الحاكمة ، وكذلك استجمع المسودات
والمذكرات الموجودة بحوزة البعض فى مختلف أنحاء البلاد ، ويشير
المؤلف أيضا أنه كان يسمع السلطان ما يكتبه ، كما يذكر أنه استفاد
فى كتابه أيضا ، من المراسيم الصادرة من قبل أكبر ، ومن عرائض
أعيان الدولة وكبار رجالها الذين شرحوا فيها أحوال الولايات .
والمؤلف يعتبر مؤرخ البلاط وكاتب سر السلطان أكبر ،
وكتابه هذا أكثر الكتب تفصيلا فى موضوعه ، وهو يشتمل على ثلاثة أجزاء ،

يختص الجزء الأول منه في مسائل تتعلق بولادة أكبر ، ثم يبدأ المؤلف بذكر أحوال آدم عليه السلام ، متتبعا لأجداد أكبر إلى زمن همايون ، والجزءان الثاني والثالث ، يشتملان على أحوال أكبر ودولته ، وهذان الجزءان يحتويان على أكثر من ألف وثلاثمائة صفحة من المقياس الكبير ، وكلها في تاريخ أكبر حتى وفاة المؤلف .
وكان المؤلف مقربا جدا من السلطان ، وهو يغلو كثيرا في مدح أكبر ، ومن هنا يجد رأن ينظر إلى بعض كتاباته بنظرة الحبيطة .

٦٠ - بايزيد بييات :

تذكرة همايون وأكبر .

مطبعة بيست مشن ، لكنته ، ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م .

يتضمن الكتاب أربعة فصول ، يتناول المؤلف من خلالها ، موجزا لتاريخ همايون منذ أن طرد من الهند وإلى أن رجع إليها مظفرا ، وموجزا لتاريخ أكبر ، حتى أواخر عهده .

إن المؤلف أبى ، وقد تولى مناصب في عهد أكبر ، ومنها رئاسة شؤون المطبخ ، وأقدم إلى إملاء مذكراته ، بناء على أوامر من أكبر التي كانت تقضى بتسجيل كل ما يتذكره أحد من أيامه وأيام أبيه وجد .

ويعترف المؤلف بأنه قد أدركته الشيخوخة ولم تكن لحافظته قدرتها السابقة ، ومع هذا يؤكد في آخر كتابه بأنه لم يد رج في كتابه كذبا وما يخالف الحقيقة .

والكتاب في حقيقته مذكرات تاريخية ، عايش المؤلف ما يذكره

من الأحداث ، وللكتاب قيمته التاريخية ، لمعاصرتة لموضوع بحثنا من جهة ، ولأن الأثر قد يكون أكثر أمانة في النقل التاريخي ، لبساطته وبعد ، عن التعقيد ، واستخدام الاستعارات وما شابه ذلك .

٦١ - سجان راى بهندارى :

خلاصة التواريخ

مطبعة جى ايندسنس ، دهللى ، ١٩١٨ م .

إن الكتاب قد ألف في السنة الأربعين من حكم السلطان أورنگزيب ، وهي سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م ، وقد قضى المؤلف سنتين في تأليف الكتاب وترتيبه ، ويتضمن الكتاب موجزا في جغرافية الهند الطبيعية والبشرية والاقتصادية ، وأحوال راجوات الهند ، ثم يبدأ في بيان حالات سلاطين الإسلام منذ أيام سيكتكين (٣٦٦ - ٣٨٢ هـ) / (٩٢٢ - ٩٩٢ م) وإلى عصر أورنگ زيب (١٠٦٩ - ١١١٨ هـ / ١٦٥٩ - ١٧٠٢ م) ويذكر المؤلف ، أنه منذ بلوغه سن الرشد ، كان يلزم ناظم أمور المملكة والمال ، وكان يتولى حرفة التحرير ، ومقتضى اشتغاله بهذا الفن ، اطلع على كثير من كتب التاريخ ، ويذكر في هذا الصدد قائمة للمصادر التاريخية التي اطلع عليها ودون منها مؤلفه هذا .

وما يميز الكتاب ، أنه كتب من قبل مؤرخ هندوكى ، ومعيدا عن رقابة السلطة ، إضافة إلى أنه ، يشمل الجيل الثالث بعد عصر أكبر ، ومعنى هذا أنه ربما يكون قد اتضعت له جوانب كثيرة فيما يتعلق بعصر أكبر ، ويكون قد أبدى رأيه بوضوح ودون تحفظ ، في إطار ما اطلع عليه من المصادر التاريخية ، وفي إطار هندوكيته ، علاوة على

على أنه عاش في عصر عرف بشدة التعصب الديني من قبل أورنكزيب ،
على عكس ما أشيع عن بعض فترات حكم أكبر ، من تهاون وتساهل .
ويؤكد المؤلف ، أنه دون خلاصته هذه ، من كتابات من
سبقوه في تاريخ الهند ، ولكنه لم يقم بسرقة العبارات والاستعارات
بل قد منها بتعبيره الخاص ، وفق استعداده وقدراته ، ذاكرة سبب
هبوط حاكم وطلوع آخر .

٦٢ - عبدالصمد أفضل محمد :

مكاتبات علا مى

مطبعة نول كشور ، لكهنؤ ، ١٢٨٠ هـ .

إن المصنف ابن أخت أبى الفضل ورييه ، ولقد أتم تصنيفه هذا فـى
سنة ١٠١٥ هـ ، كما قسمه إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول عبارة عن
المكاتبات والمراسيم التى وجهت من قبل أكبر إلى زعماء الدول والأمراء
الكبار ، والقسم الثانى يشتمل على العرائض والرسائل التى كتبها
أبو الفضل لأكبر ولأمراء الكبار ، كما أن القسم الثالث والأخير ،
يتضمن منتخبات من كتابات أبى الفضل النثرية .

وفيدنا الكتاب بقسميه الأول والثانى ، حيث نقل لنا نصا ،
بعض الرسائل التى تبادلها أكبر مع بعض زعماء الدول المجاورة فى ذلك
الوقت ، وكذلك بعض المراسيم والتشريعات التى أصدرها أكبر .
وكان يقوم بتحرير هذه المكاتبات أبو الفضل بحكم مركزه ككاتب
سر للسلطان ، وروعت فى المكاتبات هذه ، الدقة فى التعبير

وانتخاب الكلمات ، إضافة الى روعتها الأدبية ، وما ينقصها هو خلوص الكثير منها من التأريخ ، فلا يعرف هل هذا من عمل المصنف الذى جمع هذه المراسلات على أنها قطعاً أدبية رائعة ، أم كانت هى خالية منه ، وعلى أية حال ، لا يصعب تعيين تاريخ لها ، وذلك بالرجوع الى المصادر المعتبرة المعاصرة ، والموجودة لدينا ، والتي كتبت على شكل الحوليات ، وفيها ذكر وإشارة الى مثل هذه المراسلات .

- ٦٣ - عبد القادر بدايونى :

منتخب التواريخ

مطبعة نول كشور ، لكهنو ، ١٢٨٤ هـ .

إن المؤلف كان من المقربين لبلاط أكبر ، ولقد اشترك فى حركة التأليف والترجمة فى ذلك العصر ، ولقد وقف موقفاً معارضاً للسلطان حينما قام السلطان بإعلان دين والهى ، كما يهجم هجومياً شديداً على العلماء الذين استسلموا للدنيا ، وتناسوا مسئولياتهم تجاه الدعوة الإسلامية ، مما مهد الطريق أمام تقرب الآخرين للسلطان والتأثير عليه .

ويكاد يكون هو الوحيد الذى انتقد فى كتاباته بعض إجراءات السلطان وبشدة ، فالكتاب مفيد جداً من هذه الناحية ، أى أنه يقدم رأى المعارضة إضافة الى أهمية الكتاب البالغة كمصدر معاصر للموضوع .

ولقد تم تأليف الكتاب فى جمادى الثانية سنة ١٠٠٤ هـ ، وهو يقع فى ثلاثة أجزاء وفى مجلد واحد ، ويستعرض المؤلف موجز تاريخ

الهند الإسلامي منذ عهد الغزنويين إلى عودة همايون في عرش الهند ، ثم يبدأ بذكر تاريخ عصر أكبر شاه الذي خصص له ثلثي الكتاب .

٦٤ - غلام حسين خان طباطبائي :

سير المتأخرين

ط ٢ ، مطبعة نول كشور ، لكهنو شوال ١٣١٤ هـ / مارس ١٨٩٧ م
يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء وفي مجلد واحد ، وما كتبه المؤلف هو
من بداية وفاة عالمكير (١١٨ هـ / ١٧٠٧ م) وإلى سنة ١١٩٥ هـ / ١٧٨٠ م
وأما الوقائع والحوادث التي تسبق ذلك التاريخ ، نقلها عن كتاب آخر ،
لم يذكر اسمه ولا اسم مؤلفه (١) ، وإن كان قد أشار إلى نقله هذا ،
ويذكر المؤلف أن كتابه هذا بالانضمام إلى ما نقله من مؤلف سابق
يتضمن وقائع حوالى خمسة آلاف سنة ، بالتسلسل والانتظام والإيجاز ،
وأما فيما يتعلق بطلب موضوع بحثنا ، فإنه لا يقدم لنا شيئا جديدا ، إلا
أنه ربما يقدم ما يفيدنا في التعرف على الأقاليم الهندية وولاياتها
ومدنها ، وإن يعرف أماكن أكثر ، مما عرفها السابقون .

٦٥ - گلبدن بیگم :

همايون نامه

طبع في إله آباد بالهند ولا يحمل تاريخا لطبعه .
مؤلفة الكتاب هي عمة السلطان أكبر ، وجاء تأليفها ، استجابة لرغبة
السلطان ، حيث طلب من كل من يعرف شيئا عن تاريخ أبيه وجده
أو يتذكر ما يتعلق بأيامه هو ، القيام بتدوين مذكراتهم تلك .

(١) ويبدو جليا أن هذا الكتاب هو ما ألفه سجان راي الهند وكى باسم
خلاصة التواريخ ، والذي ذكرناه سابقا .

٦٦ - محمد شريف معتمد خان (ت ١٠٤٩ هـ) :

إقبال نامه جهانگیر

مطبوعة نول كشور ، لكهنؤ ، ١٢٨٦ هـ / ١٨٧٠ م .

لقد تم تأليف الكتاب في سنة ١٠٢٩ هـ / ١٦٢٠ م بكشمير وفي أيام السلطان جهانگیر (١٠١٤ هـ - ١٠٣٧ هـ / ١٦٠٥ - ١٦٢٧ م) ، ولقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول في تاريخ الأمير تيمور إلى زمن همايون ، والجزء الثاني في تاريخ أكبر شاه ، والجزء الثالث والأخير في ذكر وقائع أيام جهانگیر .

٦٧ - محمد عبدالقادر خان :

أويماق منغل

مطبوعة روزبازار أمريت سر ، پنجاب ، ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م .

إن المؤلف من سلالة المنغل ، ولقد أتم تأليف كتابه هذا في شعبان سنة ١٣١٩ هـ الموافق لنومبر من سنة ١٩٠١ م ، وكان أثناء التأليف ، موظفا في الإدارة الانجليزية بما لوه .

والكتاب يقع في ٨٣٢ صفحة ، وهو مهم جدا في التعرف على القبائل المغلية المتعددة ، ومن وصل منها إلى الحكم في مناطق مختلفة من العالم ، وربما يكون الكتاب فريدا في نوعه ، وكذلك تحدث المؤلف في كتابه عن الدول الإسلامية المعاصرة له ، وعلى رأسها الخلافة العثمانية بقيادة السلطان عبدالحميد الثاني الذي يذكره المؤلف بالحب والدعاء له .

٦٨ - محمد غياث الدين :

غياث اللغات

سعید کمینی ، کراچی ، بدون تاریخ

إن المؤلف كان من أهالي لكهنوبالهند ، ولقد ألف معجزة اللغوى هذا فى سنة ١٢٤٢ هـ مستفيدا من كثير من المعاجم والكتابات السابقة من عربية وفارسية وتركية وهندية ، ولقد صرح بأسماء كثير من المصادر والمراجع التى استفاد منها .
ولا شك أن هذا المعجم قد ساعدنا كثيرا فى حل بعض الكلمات والمصطلحات وخاصة فيما يتعلق بالمصطلحات التركية والهندية الواردة فى مصاد البحث .

٦٩ - محمد قاسم هند وشاه استرآبادى المہشور بفرشته :

تاريخ فرشته

ط ٣ ، مطبعة نول کشور ، لكهنو ، ١٣٠١ هـ / ١٨٨٤ م
اشتهر هذا الكتاب بتاريخ فرشته ، مع أن المؤلف نفسه قد سماه
گلشن ابراهيمي ، نسبة إلى ابراهيم عادل شاه الثانى حاكم بيجاپور ،
الذى ألف الكتاب بتشويق منه .
ويقع الكتاب فى جزئين وفى مجلد واحد ، ويقول المؤلف إنه
سعى لجمع مادته التاريخية من أطراف الممالك وأكنافها ، وحصل على كثير
من النسخ ، ولم يجد فى هذه الكتب ، كتابا يشمل حالات جميع ملوك
الهند ، فبذل أقصى جهده لقراءة كتب المتقدمين ، وجمع خلاصة هذه
الكنوز فى كتابه المذكور ، وبدأ بتأليف الكتاب فى سنة ١٠١٥ هـ إلا أنه
أشار فى كتابه إلى الحوادث التى وقعت (١) فى سنة ١٠٣٣ هـ ، ما يدل

(١) تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

أن تأليف الكتاب استغرق وقتاً طويلاً . وجاء الكتاب متضمناً على تاريخ الهند منذ أقدم العصور وإلى زمان المؤلف ، كما أن الكتاب ينفرد بذكر معلومات قيمة فيما يتعلق بالوجود البرتغالي في الساحل الهندي ، وأفاده في هذا قربه من الأحداث ، حيث عاش في بيجاפור المطلّة على المحيط الهندي ، وعلى مقربة من مقر حاكم البرتغاليين في كوهه ، وكذلك لا يغفل المؤلف عن ذكر المصادر والمراجع التي أخذ عنها مادته التاريخية ، كما يختم كتابه بتعريف موجز لجغرافية الهند .

٧٠ - محمد هادي معتمد الخدمة :

توزك جهانگيرى

مطبوعة نول كشور ، لكهنؤ ، بدون تاريخ

إن المؤلف كان من أمراء جهانگير المعتمدين ، ويقول إنه من أوائل سنوات رشد ، وإلى بدايته لتدوين هذا الكتاب وهو في الستين من عمره ، كان يرغب في قراءة التاريخ والسير ، وقرأ بنظرة الاعتبار ، كثيراً من الكتب التاريخية ، ويضيف أن جهانگير حرر بنفسه وقائع أيام حكمه من بدايته الجلوس (١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م) إلى السنة الثامنة عشرة من سنوات حكمه ، فبدأ هو يكمل كتابة وقائع بقية سنوات حكمه ، عارضاً ما كتبه إلى جهانگير للتصحيح .

وما كتبه جهانگير بنفسه ، يكون أهم موضوعات الكتاب بالنسبة لموضوع البحث ، إذ يعرض فيه ، كثيراً من الوقائع والحوادث التي عايشها في عصر والده ، وما أنه يكتب هذا التاريخ وهو جالس على العرش خلفاً لأبيه فان احتمال المجاملة والحيطة في ذكر ما فات ومضى ، يكون ضعيفاً ، وكما أشرنا في السابق يوجد لهذا الجزء الذي كتبه جهانگير ، نسخة مخطوطة مذهبية في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة .

٧١ - نظام الدين أحمد بن محمد الهروى (ت : ١٠٠٣ هـ) :

طبقات أكبرى

مطبعة نول كشور ، لكهنو ، ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م

كان المؤلف من المقربين للسلطان ، وكان يعمل فى منصب بخشى -
گرى ، وألف كتابه هذا فى سنة ١٠٠٢ هـ ، وهو أول كتاب تاريخى
جامع لجميع أقاليم الهند ، منذ عهد سبكتكين وإلى سنة ١٠٠١ هـ .
ولقد ذكر المؤلف المصادر والمراجع التى أخذ منها ، كما قسم كتابه
إلى مقدمة وتسع طبقات وخاتمة ، وذكر فى المقدمة أحوال الغزنويين
وطبقات الكتاب هى كالآتى : طبقة دهلى ، طبقة دكن ، طبقة گجرات ،
طبقة بنكاله ، طبقة مالوه ، طبقة جنونپور ، طبقة سند ، طبقة كشمير وطبقة
ملتان ، وخصص الخاتمة فى ذكر بعض الخصائص المتفرقة لهند وستان .
والكتاب هذا مفيد جدا للموضوع بحثنا ، فبالإضافة إلى أنه مصدر ألفه
أحد رجالات السلطان أكبر ، والذى عايش كثيرا من الوقائع المتعلقة
بذلك العصر ، فهو يبدو فى كتاباته معتدلا ، ولا يغفلونى مدحه
للسلطان كما هو واضح فى كتابات أبى الفضل .

المراجع الفارسية

- ٧٢ - حسن عبيد :

فرهنگ عبيد (٢ جلدی)

مؤسسة انتشارات أمير كبير ، تهران ، ٢٥٣٧ شاهنشاهی
إن هذا الكتاب عبارة عن معجم لغوی فارسی حديث ، ساعدنا كثيرًا
في حل بعض الكلمات والمصطلحات .

- ٧٣ - خليل الله خليلي :

آرامگاه بابر

أنیس لمتد مؤسسة ، کابل ، ١٣٧٣ هـ .

إن هذا المؤلف عبارة عن رسالة صغيرة ، كتبت في بيان ضريح بابر
في کابل ، إلا أنها أشارت أيضًا إلى وقائع تتعلق بمحمد حکيم مرزا ،
حاكم کابل ، في عصر أكبر .

- ٧٤ - عبد الحق حبيبي :

ظهير الدين محمد بابر شاه

بيهيقي ، کابل ، ١٣٥١ هـ ش

إن المؤلف باحث تاريخي معروف في أفغانستان ، وألف كتابه هذا في
تاريخ بابر شاه ، إلا أننا استفدنا منه في حل بعض المصطلحات
العسكرية والإدارية وغيرها ، كما يشير المؤلف أحيانًا إلى وقائع
تتعلق بعصر أكبر .

٧٥ - م . آد ينفـر :

دائرة المعارف زرین
انتشارات زرین ، تهران ، بدون تاریخ

المراجع الانجليزية

76 - IBN HASAN :

The Central Structure of the Mughal Empire
Ed.II. Oxford University Press (Pakistan Branch),
Karachi, 1967.

يتناول الكتاب التشكيلات المركزية للدولة المغلية في الهند ، منذ
باشرة السلطان أكبر الحكم في ٩٦٧هـ / ١٥٦٠م ، إلى نهاية حكم
السلطان شاه جهان في ١٠٦٨هـ / ١٦٥٧م .

77 - ISHWARI PRASAD :

A Short History of the Muslim Rule in India.
Indian Press, Allahabad, 1982.

يتناول الكتاب حكم المسلمين في الهند ، منذ دخول الإسلام فيها
إلى وفاة السلطان أورانغزيب (١١١٨هـ / ١٧٠٧م) ، ومؤلف الكتاب
أستاذ في جامعة آلہ آباد بالهند .

78 - PERCIVAL SPEAR :

A History of India
V.II, Ed. XI, London, 1982.

المجلد الثاني من هذا الكتاب ، يتناول تاريخ الهند منذ العهد
المغلي إلى استقلال الهند وتقسيمها إلى دولة مسلمة وأخرى هندوكية .

79 - S.M. EDWARDES and H.L.O. GARRETT:

Mughal Rule In India

Asian Publication Services, New Delhi, 1979.

يتناول الكتاب تاريخ الحكم المغلى فى الهند منذ دخول بابر شاه
والى عصر السلطان أورنگزيب (١٠٦٩هـ/١٦٥٥م - ١١١٨هـ -
١٢٠٢م).

80 - VINCENT A. SMITH, C.I.E.

Akbar

The Great Mogul

Ed.II, S. Chand Company, New Delhi, 1966.

يتضمن الكتاب كلاماً موجزاً عن أسلاف أكبر وعودة والده إلى عرش
الهند ثم يبدأ بشرح تاريخ دولة السلطان أكبر.

الفهرست

الفهرست

الصفحة

٢١ - ٢

المقدمة

٨٠ - ٢٢

الفصل الأول : الحالة غداة بدء عصر السلطان أكبر

- وفاة همايون وجلوس أكبر على العرش

- هيمو

- شاه أبو المعالي

- بيم خان

- نساء القصر

- بني أعمام السلطان

- الأزابكة .

... ..

١٦٦ - ٨١

الفصل الثاني : تأمين أبواب الهند وغزو الدكن

- مالوه

- قلاع الراجپوت

- گجرات

- بنگالہ

- كابل

- كشمير

- السند

- بلوچستان

- الدكن

... ..

الصفحة

٢٥٥ - ١٦٧

الفصل الثالث : الأحوال الداخلية .

- الإدارة
- الجيش
- الدستور
- الاقتصاد
- الثقافة والفنون
- قافلة الحجيج الهندية
- أكبر والهنداكة
- مذهب ((دين إلهي))

... ..

الفصل الرابع : العلاقات الخارجية وموقف أكبر من البرتغاليين

٣١٨ - ٢٥٦

على الساحل الهندي .

- العلاقات مع الأزابكة
- العلاقات مع الصفويين
- العلاقات مع العثمانيين
- موقف أكبر من البرتغاليين

... ..

٣٧٢ - ٣١٩

الخاتمة : التحليل والنتائج .

٣٧٤، ٣٧٣

خريطة الدولة المغولية في نهاية عصر السلطان أكبر

الصفحة

٤١١ - ٣٧٥

ملحق المصادر والمراجع :

- مخطوطة عربية
- مصدران عربيان
- المراجع العربية
- المراجع المترجمة للغة العربية
- المخطوطات الفارسية
- المصادر الفارسية
- المراجع الفارسية
- المراجع الإنجليزية

... ..

٤١٥ - ٤١٢

الفهرس

... ..